



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

الفقيه

آية الله العظمى
الشيخ محمد باقر الكاظمي
رحمه الله

كتاب الاجتهاد

١٠٩

دار العلوم
بمكة المكرمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفقه: موسوعه استدلاليه فى الفقه الاسلامى

كاتب:

آيت الله سيد محمد حسينى شيرازى

نشرت فى الطباعة:

موسسه الفكر الاسلامى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٧	موسوعه استدلاليه فى الفقه الاسلامى المجلد ١٠٩
١٧	اشاره
١٧	اشاره
٢١	كتاب الاجتماع الجزء الأول
٢١	اشاره
٢٣	المقدمه
٢٤	كيفيه إعاده المجتمع الإسلامى
٢٤	تجنب الأخطاء حين العمل
٢٧	مراحل التخطيط والعمل
٢٨	الميزانيه الدقيقه
٣٠	المعرفه
٣٠	اشاره
٣١	المعرفه صحيحه وخاطئه
٣١	سير الحركه الفكرية
٣٤	العاطفه
٣٤	اشاره
٣٤	العواطف المتحجره
٣٧	الحقائق ثابتة ومتغيره
٣٧	اشاره
٣٨	((ليست كل الأمور متغيره))
٣٩	لا مدخلية للزمان فى الحقائق
٤١	المعرفه علميه وفلسفيه
٤١	اشاره

٤٢	الواقع: تجربي وذهني
٤٤	الطريق إلى المعرفة
٤٤	اشاره
٤٤	مراحل المعرفة
٤٩	الإسلام والتفكير
٥٠	وسائل المعرفة
٥٣	من أين الاجتماع
٥٣	اشاره
٥٤	بين الترابط والتباعد
٥٧	الإسلام يدعو إلى السلم
٥٨	أقسام التجمعات
٦١	الجمهور والأمة
٦٢	الاجتماع وشعبه
٦٤	علاقه الفرد بالمجتمع ونحوه في ضوء الإسلام
٦٥	المجتمع المتخلف بؤره للردائل الخلقيه
٦٧	الثقافه الاجتماعيه
٦٧	اشاره
٦٨	الكفاءه ميزان التقدم
٦٩	التحرك الأفقى والعمودى للمجتمع
٧١	((جماعات ضد الدوله))
٧١	نظره على الانقلابات العسكريه
٧٣	بين حكم السماء وحكم الأرض
٧٥	مراحل علم الاجتماع
٧٥	اشاره
٧٦	علم الاجتماع: الموضوع والمسائل والغرض
٧٧	مهمه علماء الاجتماع

٧٩	علم الاجتماع النظرى والعملى
٧٩	علم الاجتماع سعةً وضيقةً
٨٠	علم الاجتماع من حيث السند
٨٠	علم الاجتماع وسائر العلوم
٨١	ما يجب ملاحظته فى التحقيق الاجتماعى
٨٤	مستلزمات إتقان التحقيق الاجتماعى
٨٤	اشاره
٨٤	((منطلق التحقيق))
٨٥	تشخيص مفردات البحث
٨٦	اتخاذ النماذج المختلفه
٨٦	الانتخاب الدقيق للجمل
٨٧	كشف الأسباب والمسببات والملازمات
٩٠	العوامل المؤثره فى الفرد
٩٠	اشاره
٩٠	١: الجسم
٩٢	٢: الغرائز
٩٢	٣: العقل
٩٣	٤: الوراثة
٩٤	٥: القوم
٩٥	٦: الدين
٩٧	٧: الثقافه
٩٨	٨: الأسوه
٩٩	٩: المحيط الطبيعى
١٠٠	١٠: المحيط الاجتماعى
١٠١	لا للأناثيه والعصبيات
١٠٣	الزهد فى الدنيا

- التأثير المتقابل بين المحيط الاجتماعي والمحيط الطبيعي ١٠٥
- اشاره ١٠٥
- قد تختلف معيشه الأبناء مع معيشه الآباء ١٠٧
- قوه الاجتماع تبعد الإنسان عن أضرار الطبيعه ١٠٩
- أسس رقى المجتمعات ١١١
- اشاره ١١١
- المجتمع كلى متمايز عن أفراده ١١٥
- الثقافه ١١٨
- اشاره ١١٨
- تكامل الثقافه ١٢٠
- تعقد الثقافه ١٢١
- تشابه المجتمعات ١٢٢
- تاريخ الإنسان ١٢٣
- التنقيب عن الآثار التاريخيه ١٢٤
- فكأنهم كانوا على ميعاد ١٢٤
- عوامل تشكل الجماعات ١٢٩
- اشاره ١٢٩
- التسامم والتنازع فى الجماعات ١٣٠
- النضج الفكرى يقلل النزاعات ١٣٢
- أنواع التسالم ١٣٣
- طرح تحقيق الانسجام ١٣٤
- بين الجماعه والأعضاء والجماعات الأخرى ١٣٤
- بين الفرد والجماعه ١٣٨
- اشاره ١٣٨
- الانغلاق والانطلاق والانفلاق ١٣٩
- دور الثقافه فى حركه المجتمع ١٤١

- ١٤٤ الانضمام إلى الجماعات
- ١٤٥ موقف الجماعه تجاه المنضمين إليها
- ١٤٨ الإسلام والحريه الثقافيه
- ١٥١ التعديل الاجتماعي
- ١٥١ اشاره
- ١٥٢ إشكال التعديل الاجتماعي
- ١٥٣ لكي يكون التعديل الاجتماعي ناجحاً
- ١٥٥ المتمردون بين المحيط الطبيعي والمحيط الاجتماعي
- ١٥٦ مصدر التعديل الاجتماعي
- ١٦٢ الجمع والجماعه
- ١٦٢ اشاره
- ١٦٢ الفرق بين الجمع والجماعه
- ١٦٣ العقل أم العاطفه
- ١٦٤ الإسلام يدعو إلى التعقل
- ١٦٦ الانسجام بين أفراد الجماعه
- ١٦٧ تأثير الجماعه فى الفرد
- ١٦٨ عوامل قوه الجماعه
- ١٧١ منطلقات الجماعه
- ١٧١ اشاره
- ١٧١ أقسام الجماعه
- ١٧٣ التوعيه الجماهيرييه
- ١٧٤ بذلك الظهور حتى يتمكن تحصيلها
- ١٧٥ داء التعصب الاجتماعي
- ١٧٧ الإعلام الصحيح والإعلام المزيف
- ١٧٨ طرق التزييف الإعلامى
- ١٨١ كيفيه مجابهه قوى الضغط المنحرفه

١٨٤	الأدوار الاجتماعيه
١٨٤	اشاره
١٨٧	مقياس الرتب الاجتماعيه
١٨٩	مظاهر اختلاف الرتب
١٨٩	مناقشه فى نظريه المساواه
١٩٢	مزايا الرتبه الاجتماعيه
١٩٣	المكانه الاجتماعيه
١٩٣	القيمه الاجتماعيه
١٩٥	المكانه الطبيعيه والمكانه المكتسبه
١٩٥	الدور الاجتماعى
١٩٧	انتخاب الدور الأفضل
١٩٧	ملاك الأدوار الاجتماعيه
١٩٨	الجماعات والأدوار
١٩٩	تحرك الإنسان فى رتبته
١٩٩	ضروره الرتب
٢٠١	عوامل تكون الرتب
٢٠٢	التفاوت الصحيح والتفاوت الباطل
٢٠٤	تأثير الرتبه فى الإنسان
٢٠٥	الطبقه المنحرفه تؤثر فى الحياه
٢٠٥	اشاره
٢٠٦	الفقر والحياه
٢٠٨	الفقر والأخلاق الفاضله
٢٠٨	الفقر والصحه
٢٠٩	الفقر والسلام
٢٠٩	الفقر والعلم
٢١٠	الفقر والعمران

- ٢١٠ الفقر والحياه النظيفه
- ٢١٠ الفقر والقدره
- ٢١١ الاختلاف الفكرى بين الفقراء والأغنياء
- ٢١٢ موقف الإسلام تجاه الفقراء
- ٢١٥ عوامل تكوين الشخصيه
- ٢١٥ اشاره
- ٢١٥ الفطره والشخصيه
- ٢١٦ الوراثه والشخصيه
- ٢١٧ دور المحيط الطبيعى فى تكوين الشخصيه
- ٢١٨ تأثير المحيط الاجتماعى
- ٢١٨ الثقافه صانعه الإنسان
- ٢٢٠ الثقافه والحريه
- ٢٢١ المسلمون والنبوغ العلمى
- ٢٢٤ العلم فى خدمه الإنسان
- ٢٢٧ كيف تتكون الشخصيه؟
- ٢٢٧ اشاره
- ٢٢٨ تكون شخصيه الطفل
- ٢٣٠ بين الضمير والمجتمع
- ٢٣١ مراحل تدرج الطفل
- ٢٣٢ تصورات الإنسان عن نفسه
- ٢٣٥ الشخصيه الفرديه والشخصيه الاجتماعيه
- ٢٣٦ الشخصيه ماديه ومعنويه
- ٢٣٨ أقسام الشخصيه المعنويه
- ٢٤٢ أجواء نمو الشخصيه
- ٢٤٢ اشاره
- ٢٤٤ طبيعه الحكم الدكتاتورى

- ٢٤٥ اختلاف النفسيات
- ٢٤٦ الاهتمام بالتربيه والتثقيف
- ٢٤٧ عوامل صياغه الشخصيه الفرديه
- ٢٤٧ اشاره
- ٢٤٧ ١: الصفات النفسيه
- ٢٤٨ ٢: الخصوصيات الجسديه
- ٢٤٩ ٣: المحيط الطبيعى
- ٢٤٩ ٤: الوضع المعيشى
- ٢٥٠ ٥: العمل الاجتماعى
- ٢٥١ ٦: التعليم
- ٢٥٢ اختلاف الاستجابه للمؤثرات
- ٢٥٢ التخطيط لإنماء الشخصيه
- ٢٥٣ التوجيه السليم لصفات الامه
- ٢٥٥ انحراف الشخصيه
- ٢٥٥ اشاره
- ٢٥٥ الانحراف ليس قدراً
- ٢٥٧ انحراف الحكام
- ٢٥٨ لا لفرديه الحكام
- ٢٥٩ موقف المجتمع من الانحراف
- ٢٦١ عوامل الانحراف
- ٢٦٢ تأثير المجتمع فى الانحراف والاستقامه
- ٢٦٣ الكبت والأمراض النفسيه
- ٢٦٤ العائله وانحراف الشخصيه
- ٢٦٦ دور الحرمان فى الانحراف
- ٢٦٧ تناقضات المجتمع تزرع الانحراف
- ٢٦٨ حرب الاستعمار تصيب حاملها

- ٢٧٠ شروط عقاب المنحرف
- ٢٧٠ اشاره
- ٢٧١ كيف يعالج الانحراف؟
- ٢٧٥ إصلاح المجتمع الصغير
- ٢٧٦ إصلاح المجتمع الكبير
- ٢٧٦ دعائم إصلاح المجتمع
- ٢٧٦ اشاره
- ٢٧٦ ١: الإيمان بالله
- ٢٧٦ ٢: اقتسام القدرات
- ٢٧٩ القوانين الوضعيه تصنع الانحراف
- ٢٨١ بين المدينه والقرية
- ٢٨١ اشاره
- ٢٨٢ الاجتماع العام والاجتماع المحلى
- ٢٨٣ بدء الحياه الإنسانيه
- ٢٨٤ القرية أم المدينه
- ٢٨٥ المدن المغلقه أم المفتوحه
- ٢٨٥ الفوارق بين المدينه والقرية
- ٢٨٨ الدين والمسكن
- ٢٨٩ بناء المدن
- ٢٨٩ اشاره
- ٢٩٠ أقسام المدن
- ٢٩١ المدن الكبيره، المشاكل والحلول
- ٢٩٤ بحث فى الجمعيه
- ٢٩٤ اشاره
- ٢٩٤ توزيع الجمعيه
- ٢٩٥ تركيب الجمعيه

٢٩٥	حركه الجمعيه
٢٩٥	الحركه الكيفيه
٢٩٦	الحركه الكميّه
٢٩٨	الهجره من الريف إلى المدينه
٢٩٩	الأرض والسكان
٢٩٩	اشاره
٢٩٩	تراكم السكان وأسبابه
٣٠١	دور الثقافه فى ازدياد الأفراد
٣٠٢	الثقافه وكثره الولاده
٣٠٣	الثقافه وقله الموت
٣٠٤	الثقافه وطول العمر
٣٠٥	الانفجار السكانى والتخطيط الدقيق
٣٠٧	هل الأرض تكفى
٣٠٩	عوامل ارتفاع مستوى المعيشه
٣١١	المؤسسات الاجتماعيه
٣١١	اشاره
٣١٢	المؤسسه والأعراف الاجتماعيه
٣١٣	بين المؤسسه والمؤسسات الأخرى
٣١٤	مهمات المؤسسه
٣١٥	أنواع المؤسسات
٣١٨	الانشطار والاندماج فى المؤسسه
٣١٩	نفوذ الطبقية فى المؤسسات
٣٢٠	الفقراء والمؤسسات
٣٢١	كبر المجتمع يتطلب كثره المؤسسات
٣٢٢	التعقيد النافع والتعقيد الضار
٣٢٥	بحوث فى الاقتصاد الاجتماعى

- ٣٢٥ اشارة
- ٣٢٥ حاجات الإنسان
- ٣٢٦ تكامل جوانب الحياه
- ٣٢٧ عصر الآله
- ٣٢٨ المعامل تقضى على محوريه العائله والعشيريه
- ٣٢٩ الصناعه فى خدمه التجاره والزراعه
- ٣٣٠ تحولات عصر الصناعه
- ٣٣٠ الاستعمار وليد الرأسماليه
- ٣٣١ الإسلام هو الخلاص
- ٣٣١ ضروره التوازن بين المستوى الصناعى والزراعى
- ٣٣٢ الدين وعصر الآله
- ٣٣٤ الأخطبوط الرأسمالى يمتد إلى الريف
- ٣٣٤ مضاعفات النظام الرأسمالى
- ٣٣٧ المنطق الرأسمالى والمنطق الشيوعى
- ٣٣٧ مناقشه المنطقين
- ٣٣٨ مآخذ على النظامين الغربى والشرقى
- ٣٣٩ جوهر المشكله
- ٣٤٤ الاقتصاد الإسلامى
- ٣٤٤ الحكومه
- ٣٤٤ اشارة
- ٣٤٧ الحكومه فى الأمم البدائيه
- ٣٤٧ الحكومه فى العصر الحاضر
- ٣٤٨ الاحتياج إلى الحكومه
- ٣٤٩ أسباب تعقد الحكومه فى العصر الحاضر
- ٣٥١ لا لتكثير الدوائر
- ٣٥٢ اعتذارات زائفه

- ٣٥٧ ----- طريق الخلاص
- ٣٥٩ ----- كيفيه إنقاذ المسلمين
- ٣٦٠ ----- كيفيه التوعيه والتنظيم
- ٣٦٢ ----- التنظيم الإسلامى وعوامل الاستقطاب
- ٣٦٣ ----- كيف يتم تأمين البعد المالى؟
- ٣٦٤ ----- التحرير يجب أن يكون شمولياً
- ٣٦٥ ----- نقاط فى كيفيه العمل
- ٣٦٦ ----- الحكومه الإسلاميه الواحده والمؤامرات الاستعماريه
- ٣٦٧ ----- ركائز البناء الحركى
- ٣٦٩ ----- المحتويات
- ٣٨٦ ----- تعريف مركز

اشاره

سرشناسه : حسینی شیرازی، محمد

عنوان و نام پدید آور : الفقه : موسوعه استدلالیه فی الفقه الاسلامی / المؤلف محمد الحسینی الشیرازی

مشخصات نشر : [قم] : موسسه الفکر الاسلامی، ۱۴۰۷ق. = - ۱۳۶۶.

شابک : ۴۰۰۰ ریال (هر جلد)

یادداشت : افست از روی چاپ: لبنان، دارالعلوم

موضوع : فقه جعفری -- قرن ۱۴

موضوع : اخلاق اسلامی

موضوع : مستحب (فقه) -- احادیث

موضوع : مسلمانان -- آداب و رسوم -- احادیث

رده بندی کنگره : BP۱۸۳/۵-ح ۵۶ ۷۶ ۱۳۷۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۳۴۲

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۰-۵۵۱۵

ص: ۱

اشاره

الفقه

موسوعه استدلاليه فى الفقه الإسلامى

الجزء التاسع بعد المائة

آيه الله العظمى

السيد محمد الحسينى الشيرازى

دام ظله

كتاب الاجتماع

الجزء الأول

ص: ٣

الطبعه السادسه

١٤٠٨ هـ _ ١٩٨٧ م

دار العلوم: طباعه. نشر. توزيع.

العنوان: حاره حريك، بئر العبد، مقابل البنك اللبناني الفرنسى

ص: ٤

كتاب الاجتماع الجزء الأول

اشاره

كتاب الاجتماع

الجزء الأول

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنه الدائمه على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

ص: ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

أ: الإنسان نفس وبدن وروح، وقد ذكر القرآن الحكيم (النفس) وجعلها محتمله الأمرين، مثل قوله سبحانه: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} (١).

وقد ذكر (البدن) بطور حيادي كأنه لا شأن له، مثل قوله سبحانه: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (٢).

وذكر (الروح) بإعظام كآييه الأنفه وغيرها.

فكأن البدن سفلي، والروح علوي، والنفس بينهما، إن مالت إلى الأعلى كانت مع العليين، وإن مالت إلى الأسفل كانت في سجين.

والنفس يحيط بها البدن، والبدن في الاجتماع، ويحيط به المدينه ونحوها، وحولها المحيط الطبيعي، والنفس قادره على إصلاح نفسها، ثم بدنها، ثم الاجتماع، ثم المحيط الاصطناعي، ثم المحيط الطبيعي، كما أن النفس قادره على تخريب الكل.

والمجتمع إنما يتولد من نقطه البدء، فاللازم في علم الاجتماع أن نشرع من هنا، ونبنى الهيكل الاجتماعي الصحيح من النفس النقيه النظيفه، و(أفلح) و(خاب) في الآيه الكريمة ليسا للآخره

ص:٧

١- سورة الشمس: الآيه ٧.

٢- سورة الحجر: الآيه ٢٩.

فحسب، وإنما للدنيا أيضاً، فإنه وإن كان مطرح نظر القرآن الحكيم الآخره، فإن الدار الآخره هي الحيوان، لكنه ينظر إلى الدنيا كقنطره، ولذلك ورد في القرآن الحكيم: {وَأَبْغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} (١).

كيفية إعادة المجتمع الإسلامي

كيفية إعادة المجتمع الإسلامي

ب: وحيث إن الاجتماع الإسلامي لألف مليون مسلم قد تحطم، بل قد تحطم الاجتماع البشري كله، حيث استبدت بالعالم قيادات غير رشيده، فاللازم أن نتحرى أفضل السبل لإعادة الاجتماع الصحيح، لا بالنسبه إلى المسلمين فقط، بل بالنسبه إلى البشريه جمعاء.

قال سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ} (٢).

وقال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُشْتَضِعِّينَ} (٣).

وهذه الإعادة تكون بالأسس الخمسه بإذن الله تعالى، وهي:

١: التنظيم الحديدي الذي يراعى فيه جانب التنظيم من ناحيه، وجانب الحريه من جانب آخر، حتى يكون التنظيم هيكلاً استشارياً في العمل.

قال سبحانه: {مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ} (٤).

وقال علي (عليه السلام): «نظم أمر كم» (٥).

ص: ٨

١- سورة القصص: الآية ٧٧.

٢- سورة سبأ: الآية ٢٨.

٣- سورة النساء: الآية ٧٥.

٤- سورة الحجر: الآية ١٩.

٥- نهج البلاغه: الكتب ٤٧.

وقال سبحانه: {يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} (١)

٢: التوعية الكامله المناسبه للعصر، والتي تبدأ _ بعد الإيمان الرشيد _ بالسياسه والاقتصاد والاجتماع، فقد ورد: «وساسه العباد».

و: «من لا معاش له لا معاد له».

وقال على (عليه السلام): «واجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك» (٢).

٣: السلم، فإن السلام نبتة لا تقلعها العواصف، قال سبحانه: {ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَأَفَّةٍ} (٣)، وشعار الإسلام السلام، وحتى الدوله المرهوبه الجانِب خير لها أن تحل كل مشا كلها بسلام، لأنه أحمد عاقبه، وأهنأ مذاقاً، والقوه وضعت لقصوى حاله الضروره، ولذا نرى شعار الأنبياء (عليهم السلام) عند دعوتهم السلام، وقد روى عن المسيح (عليه السلام): «أحبوا أعداءكم».

٤: الجماهيريه، فلا يكون التنظيم صنماً دون المبدأ، وكل حركه اتخذت الصنميه انفصلت عن الجماهير، وبذلك تذوى وتذبل، وجزاؤها حينئذ أن لا تصل إلى الهدف المنشود، بينما ترى غيرها تقدمت في الميادين، وأخذت الساحات التي كانت الحركه تأمل كسحها، فالناس إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

٥: ويأتى أخيراً، دور الاكتفاء الذاتى، فكل محتاج إلى غيره مقود

ص: ٩

١- سوره الأعراف: الآيه ١٥٧.

٢- نهج البلاغه: الكتب ٣١.

٣- سوره البقره: الآيه ٢٠٨.

له، وبذلك يفقد صفه القيادة.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره)(١).

تجنب الأخطاء حين العمل

تجنب الأخطاء حين العمل

ج: ويلزم تجنب الأخطاء التي كثيراً ما تقع فيها الجماعات العاملة، مما يسبب وقوفها في منتصف الطريق، أو ارتدادها القهقري.

١: مثل الانتهازية بالأعمال النفعية التي لا تؤمن بها الجماعة، وإنما لكسب القوة الوقتية، إذ بعد عمل أو عملين كهذه تنكشف سوء الجماعة، ومثل هذه الجماعة غير جديرة بالاعتماد، فينفض الناس من حولها، وكثيراً ما ترى حزباً يعمل خمسين سنة أو أكثر ولا يكون إلاّ كجمعيه خيريه كبيره، لها شعب وفروع وبينه وبين هدفه مسافه شاسعه، وليس ذاك إلاّ لارتكابه مثل هذا الخطأ أو غيره.

٢: أو عدم أطروحه جديده لهم، بعد نقدهم الأطروحه الموجوده المطبقه في الساحة، فنظامهم الذي يأملون تطبيقه، فيه إبهام وإجمال، من حيث الحريات، أو السياسه والاجتماع والاقتصاد، أو معامله الأقليات، أو نحو ذلك، والناس لا يتركون ما جربوه إلى شيء مجهول.

فعلى الجماعة التي تريد التقدم والاشتهار والسيطره، أن يكون لها برنامج معلوم مفهوم، ويكون أفضل من البرنامج الموجود، وإلاّ باء بالفشل.

٣: أو توجس الناس منهم خيفه، حيث لا سلام لهم مع الجماعات

ص: ١٠

١- انظر بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٤١١ ب ٣٠ ح ٢١.

والقوذ التي في الساحة، وبذلك يأخذون في هدمهم، وتفريق الناس من حولهم، وقد ورد في الحديث: «لو وضع الرفق على شيء زانه، ولو وضع عنه قط إلا شانه»^(١).

وفي الحديث: «إن جبرئيل (عليه السلام) كلما نزل، أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بمداراه الرجال»^(٢).

وهكذا يلزم على كل جماعه عامله أن تدقق في الأخطاء التي وقعت فيها الجماعات الأخرى، فتتجنبها، وإلا كان مصيرها الفشل، كما كان مصير تلك الجماعات.

مراحل التخطيط والعمل

مراحل التخطيط والعمل

د: ثم إن الطريق إلى جمع كلمه المسلمين، وإنقاذهم من براثن التخلف والذل، بعيد المدى، حيث إن الأمراض قد استفحلت فيهم، وقد انطبق على جملة منهم قوله سبحانه: {فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} ^(٣).

هذا بالنسبه إلى إنقاذ المسلمين فحسب، فكيف بإنقاذ غيرهم، من الذين سقطوا في أنياب الطغاه.

إذا فاللازم على الجماعه العامله أن تخطط تخطيطاً سليماً، لأجل الوصول إلى الهدف، والتخطيط لا يبد وأن يقسم إلى مراحل ثلاث:

١: المرحله القصيره المده، بالتكوين والتنظيم بكل هدوء وحزم وتعقل، كالنبته تكوّن نفسها بإذن الله تعالى تحت التراب، فتمتص من

ص: ١١

١- وسائل الشيعه: ج ٨ ص ٤٥٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٢ ص ٦٩.

٣- سوره البقره: الآيه ١٠.

الماء والنور والآملاح وغيرها حتى تتأهل لأن تكون نبتة تخرج برأسها إلى السطح، {كَزْرَعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ} (١١)

٢: المرحلة المتوسطة المده، وذلك بوضع الأسس الفكرية الصحيحة المتكامله اللائقه، المؤهله لأن تكون بديله عن الأوضاع السائده، وهذه المرحلة متوسطه بين الأولى والأخيره، حيث تهضم في نفسها المرحله السابقه، وتكون كالفرخ الذى يخرج من البيضه، وقد تقوى بالبيضه وجعلها قاعده الانطلاق، وهذه المرحله تحمل أعباء المرحله السابقه من ناحيه، وتؤهل نفسها للمرحله اللاحقه.

٣: ثم يأتى دور المرحله الأخيره والنهائيه بتجميع القوى والقدرات، وتكوين الأنصار والشمول والسعه، حتى تكون بالفعل بديلاً عن النظام القائم، وبذلك تكون الجماعه قد وصلت إلى هدفها المنشود، وتمكنت من إقامة حكم الله فى الأرض، بما لا مثيل له، لا من حيث الحريره، ولا من حيث السلام، ولا من حيث الرفاه.

الميزانيه الدقيقه

الميزانيه الدقيقه

و كما نشاهد فى عالم الصناعات وجود الميزانيه الدقيقه للأخذ والعطاء، فإذا زادت الكهرباء مثلاً جعل الميزانيه الضغط منخفضاً، وإذا قلت جعلته عالياً، كل ذلك لحفظ التوازن المطلوب فى المحل المجهز بالكهرباء، كذلك يلزم أن تكون الجماعات العامله ذات ميزانيات دقيقه، تعرف كيف تأخذ الكر والفر مع الضغوط العالميه على البلاد الإسلاميه، فإذا علا الضغط تخففه، وإذا

ص: ١٢

١- سورة الفتح: الآيه ٢٩.

انخفض تأخذ بالسير للأمام وهكذا.

وهذا الأمر فى الإنسان يحتاج إلى رؤيه مستقبله دقيقه، بينما الماديات مثل الميزانيه الكهربائيه لا تحتاج إلى ذلك.

ثم لا يخفى أن ما ذكرناه فى هذا الكتاب، كما أن ما ذكرناه فى كتابى (الفقه: الاقتصاد) و(الفقه: السياسه) كان حسب ما وصل إليه الفكر مما يستنبط من الأدله الأربعة مع أخذ الموضوعات من العرف، حسب {مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ} (١)، و«نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» (٢).

ولعل الله سبحانه يقيض جماعه من علماء المسلمين ليستنبطوا هذه المواضيع الثلاثه بالإضافة إلى الكتب المعنيه بهذه الشؤون من قبل، ليجد الطالب فيما يستخرجه من الأوفق بالحق منها بغيته، والله المسئول أن يوفقنا لاتباع مرضيه، وهو الموفق المستعان.

ص: ١٣

١- سوره إبراهيم: الآيه ٤.

٢- بحار الأنوار: ج ٢ ص ٦٩.

(مسأله ١): الإنسان يتلاقى مع المحيط الطبيعي أو الاجتماعي أو الصناعي، وقد أودع الله في الإنسان ذخائر، كما قال علي (عليه السلام) في حكمه بعث الأنبياء (عليهم السلام): «ويثيروا لهم دفائن العقول»^(١)، وبهذا التلاقى تنعكس حالات المحيط إلى داخله، مما يسمى (أول المعرفة).

وقد أودع الله في الإنسان حب الاستطلاع، ولذا نرى الطفل منذ صغره الباكر يهتم بالأشياء، يأخذها ويقبلها ويتذوقها ويستمتع إليها، ليعرف خصوصياتها وطعومها وأصواتها وملمسها، وأحياناً يستشمها لمعرفة روائحها.

ثم هناك في داخل الإنسان جهاز العقل، وهو كالنبته، تنمو وتنمو، فإن شذب وهذب نمت مستقيماً، وإلا نمت منحرفاً، وهذان: (الحس والعقل) يتعاونان ليكونا للإنسان المعرفة، إن قليلاً أو كثيراً.

والتواب والعقاب في الدنيا والآخرة مرتبطان بالعقل، وإلا فالمجنون يحس ولا يعاقب كما لا يثاب، لأنه لا عقل له، وفي الحديث: «إن الله لما خلق العقل قال له: بك أثيب وبك أعاقب»^(٢).

١- نهج البلاغه: الخ ط ٤٣.

٢- غوالي اللثالي: ج ٤ ص ٩٩ ح ١٤٢.

ثم إن تلاقى الإنسان والمحيط، يوجب تأثير أحدهما في الآخر، فالمحيط بأقسامه الثلاثة يؤثر في الإنسان من طريق الحواس الخمس، ولذا كان المحكى عن ابن سينا أنه قال: (من فقد حساً فقد علماً)، أى سلسله من العلوم المرتبطه بتلك الحاسه.

كما أن الإنسان يؤثر في المحيط تشديباً وتهذيباً وتنظيماً وإصلاحاً.

المعرفه صحيحه وخاطئه

المعرفه صحيحه وخاطئه

والمعرفه الذهنيه المستفاده من الحواس، والعقليه التى تتكون عند الإنسان من داخله، ليست صحيحه دائماً ولا باقيه دائماً، بل أحياناً تكون اشتباهاً، كمن يرى ماء البحر أسود، أو الشىء الكبير من البعيد صغيراً.

كما أن المعرفه أحياناً تتغير بأقسامها الثلاثة من الصحيح إلى الغلط، وبالعكس، أو من الغلط إلى الغلط، ونادراً يمكن أن يكون من الصحيح إلى الصحيح، باعتبار أن الصحيحين لهما جامع صحيح هما جزئياه، كما فى قصه داود وسليمان (عليهما السلام) حيث كان أخذ صاحب البستان الأغنام لنفسه فى قبال زرعه، حيث كانا بقيمه واحده، وكان أخذها لأجل الاستفاده مده استدراكه مقدار ما فسد من زرعه، ثم ردها، كلاهما صحيحاً، ولذا قال سبحانه: {وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} (١)، وإن كان الثانى أفضل، ولذا قال تعالى: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} (٢).

سير الحركه الفكرية

سير الحركه الفكرية

ثم إن المعرفه تبتدىء _ صحيحه أو منحرفه _ بالرؤيه، حسيه _ والمراد بها أعم

ص: ١٥

١- سورة الأنبياء: الآيه ٧٩.

٢- سورة الأنبياء: الآيه ٧٩.

من الحواس الخمس _ أو عقلياً، ثم تتحول إلى الشك، وبعده الظن، ثم العاطفه، وأخيراً العقيدة، والمرتببه الرابعه إلا ما كانت فى سلسله العواطف، قد تكون مقرونه بالحقيقه، وقد تكون مقرونه بالإحساس المجرد.

والدال إن كان لفظاً، أو غير لفظ، يرشد إلى شىء آخر يسمى (مد لولاً) و(مفهوماً) و(معنى) باعتبارات ذكرناها فى الأصول، وقد يسمى (مراداً) و(مقصوداً) وغير ذلك.

ثم إن جمع المعلومات تنتهى إلى الاستنتاج بسبب الفكر، وقد عرّفه الحاج السبزوارى بقوله:

والفكر حركه إلى المبادئ

ومن مبادئ إلى المراد

لكن (الجزئى لا يكون كاسباً ولا مكتسباً)، وإنما الكاسبه والمكسوبيه تكونان بالكليه المنتزعه عن الجزئى، وللکليه كذلك.

فإن أقسام الحركه الفكرية أربعه: لأنها أما من الجزئى، أو من الكلى، وكل إما إلى الجزئى، أو إلى الكلى، فإن كان من الجزئى إلى الجزئى كذلك سمي (تمثيلاً)، وإن كان منه إلى الكلى سمي (استقراءً)، وإن كان من الكلى إلى الكلى أو إلى الجزئى سمي (قياساً).

والانتقال من شىء إلى شىء قد يكون سريعاً، وقد يكون بطيئاً، وقد يتوقف إلى الأبد، وقد يهبط المقدمات إنسان، فيأتى إنسان آخر ليأخذ النتيجة.

والماديون حيث ينكرون ما وراء الماده، ينكرون أن تكون المعرفة ما ورائه، لكن الثابت فى علم الفيلسفه وجود الماوراء، ولذا فقد تكون المعرفة غيبية، بمقدماتها ونتائجها، وقد لا تكون كذلك بإحداها.

ثم إن المعرفة تنقسم بانقسام الأحكام الخمسه:

(١) فهى بين واجبه: كمعرفة أصول الدين والأحكام الشرعيه المبتلى بها، وتعلم الصناعات كفايه.

(٢) ومحرمه:

ص: ١٦

مثل تعلم السحر وما أشبه على الشرط المذكور في كتاب المكاسب.

(٣) ومستحبه، كتعلم الآداب والأخلاق غير الواجبه منهما.

(٤) ومكروهه، كتعلم النساء الكتابه وسوره يوسف في صوره احتمال الخطر بما لا يوجب الحرمة.

(٥) ومباحه، هي ما دون الأقسام الأربعة، فتأمل.

ص: ١٧

(مسأله ٢): ارتظام الإحساس بالذهن قد يتولد منه العاطفه الحسنه أو السيئه، بينما الفكر المنطقي لا يوجد هذا الشيء إلا نادراً، فإن الإنسان قد يرى فقيراً يتضور جوعاً ويرتعد من البرد، فيأخذ طعام أطفاله ويعطيه له، فإن هذه العاطفه السيئه غالباً _ لأنها طغت على الحقيقه _ إنما وجدت لإجل ارتظام الحس بالذهن، بينما إذا كان قيل له: إن هناك فقيراً، ربما لم يقدم له حتى ما يستحق فكيف بطعام واجبي النفقه عليه، ولذا الإنسان لا يبكي غالباً لمأساه كربلاء وحده وإنما يبكي إذا سمع الخطيب ينعي، مع أن المأساه موجوده في ذهنه.

وكذلك الحال في العاطفه الحسنه.

لكن نفس العاطفه قد تتحرك بدون الارتظام بالخارج، وإنما من مجرد التفكير، ولذا قد يبكي أو يضحك الإنسان المنفرد، فيما لا- يواجه موجب الضحك أو البكاء خارجاً، نعم إنما تتحرك العاطفه من الحس أو الفكر إذا كان ما يراه أو فكر فيه من سلسله محركات العواطف.

العواطف المتحجره

العواطف المتحجره

وقد يوجد من لا تتحرك عاطفته، وإن واجهت مثل هذه السلسله، وهو لا يخلو من انحراف في خلقته، لا انحرافاً هو عله تامه بل بقدر المقتضى، إذ الإنسان وإن خلق أطواراً، إلا أنهم معادن كمعادن الذهب والفضه، بين خير

وأخير وحسن وأحسن، لا سىء وحسن، فقد ثبت فى أصول الدين أن الله لا يخلق ما لا خير فيه ولا شر، ولا ما شره يساوى خيره، ولا ما شره يزيد على خيره، وإنما يخلق الأمرين الآخرين فقط، وانحراف الخلقه يمكن تقليله وسحبه إلى الجاده المستقيمه ولو بقدر.

أو من عدم إنماء لملكته، فإن الصفات النفسيه على الأغلب، كالعضلات الجسميه قابله للنمو، كما ثبت فى علم الأخلاق، فكما أن الإنسان بالرياضه الجسديه يقوى وتتشد عضلاته وأعصابه، كذلك الإنسان بالرياضه الأخلاقيه تتقوى ملكاته الحسنه، وتزوى صفاته السيئه، قال الشاعر:

(ولن تستطيع الحلم حتى تحلما).

ولذا ورد مدح التباكى فى الأخبار.

وحيث إن جمود العاطفه مذموم فى الشريعه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لذلك الشخص الذى قال لم أقبل أولادى: ماذا أفعل إن نزع الله الرحمه من قبلك (١).

ومن المعلوم أن المراد بنزع الله، ما كان بسبب ترك الإنسان مقدماته، مثل طبع الله، وأضله الله، كما حقق فى علم أصول الدين، فى مبحث الجبر والاختيار.

وورد فى الدعاء الاستعاذه بالله من قلب لا- يخشع، ومن عين لا- تدمع، ومن هذا المنطلق _ منطلق تأثر الإنسان بالحواس فى تحرك عاطفته _ ذكر الإنسان فى القرآن الحكيم والسنه المطهره بالآيات الكونيه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢).

ص: ١٩

- ١- بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٩٢ ب ٢، وفيه: (قَبَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ فَقَالَ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا قَبَلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَالَ مَا عَلَيَّ إِنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْكَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا).
- ٢- سوره آل عمران: الآيه ١٩١.

مع وضوح أن الأدلة المنطقيه والاستدلالات العقليه كانت كافيه فى الدلاله والإيصال.

ثم إن إنماء العاطفه الموجب للعمل بالواجب واجب، لو قيل بوجوب مقدمه الواجب، مثل إنماء العاطفه نحو واجب النفقه والأرحام حتى يوجب القيم بشؤونهم الواجبه والصله الواجبه.

وللعمل بالمحرم محرم، إن قيل بحرمة مقدمه الحرام، كإنمائها لأجل الزنا وما أشبهه.

وإنمائها لأجل المستحب والمكروه له حكمهما.

وما عدا ذلك مباح.

ص: ٢٠

الحقائق ثابتة ومتغيره

(مسألة ٣): إن العالم منقسم إلى حقائق ثابتة ومتغيره.

فالثابتات أمثال الرياضيات، والكل أعظم من الجزء، وامتناع اجتماع وارتفاع النقيضين، واحتياج كل معلول إلى علته، وحسن الإحسان، وقبح الظلم.

والمتغيرات مثل تحول الزمان، واللغات، والإضافات، والحالات.

فإنه من غير المعقول أن تكون نتيجة ثلاثة في ثلاثة ذات يوم ثمانية أو عشرة، وأن يصبح جزء الشيء أعظم من كله، وأن يوجد زيد وعدمه في آن واحد، أو أن يوجد لا زيد ولا لا زيد في آن واحد بشرائط اجتماع النقيضين وارتفاعهما، وأن يوجد شيء بلا علة، مثل أن ترتفع كفه ميزان وتنخفض الأخرى بدون سبب إطلاقاً، وأن يكون رفع الظلم عن المظلوم قبيحاً، أو يكون ظلم الناس حسناً.

كما أن في المتغيرات من غير المعقول أن يجمد الزمان، بأن لا يكون للجسم بعد رابع، وجرت العادة بتغير اللغات؛ كما أن الإنسان المنفرد قد يتزوج فيصبح زوجاً، والرجل بلا ولد قد يلد فيصبح أباً، والطفل يتحول شاباً، وهكذا.

وربما ينقسم الأشياء إلى حقائق خارجيه، كالإنسان والحيوان، وإلى أمور انتزاعيه لا مدخلية للاعتبار فيها، فهي لا تتغير بتغير الاعتبار، مثل

زوجيه الأربعة، وإلى أمور اعتباريه تحتاج إلى اعتبار المعترف، مثل جعل الورقه مألأ، فباعباره تكون ذات ماليه، كما أن بسبب الاعترار تسقط عن الاعترار.

وبذلك ظهر أن المعرفه قسمان: ثابتة و متغيره.

((ليست كل الأمور متغيره))

((ليست كل الأمور متغيره))

أما جعل بعض علماء الاجتماع تبعاً لبعض علماء الفلسفه، كل الأمور متغيره، كما ذكره في منطق الديالكتيك، وتبعاً لذلك جعلوا المعرفه متغيره ونسيه، بحجه أن المعرفه فرع المحيط والإنسان، وحيث إن كليهما في تغير وتحول دائم، فلا بد وأن تكون المعرفه متغيره أيضاً، فذلك مما لم يقيم عليه دليل، بل الدليل على خلافه، إذ يرد عليه:

١: إن المعرفه قسم منها فرع المذكورين، لا كل أقسامها، كما تقدم.

٢: إن جمله من الحقائق في الخارج لا تتغير.

٣: النقض، بأنه لو كانت كل الحقائق في تغير والمعرفه تبع لها، فمن أين أثبتتم تلك الكليه، القائله بأن المعرفه تتغير، فاللزام بطلان أحد الأمرين كما ذكروا في من قال: كل أخبارى كاذبه.

ومما تقدم ظهر أن المعرفه قد تكون صحيحه، وقد تكون فاسده، وإحداهما لا يمكن تنقلب إلى الأخرى، فإن المعرفه الصحيحه حق باعتبار أن الواقع يطابقها، وصدق باعتبار أنها تطابق الواقع، أما اصطلاح الصحيح والأصح والفاسد والأفسد، فذلك باعتبار مجموع الأجزاء، فإن طابق الكل كان أصح، وإلا كان صحيحاً، وإن خالف الكل كان أفسد، وإلا كان فاسداً.

مثل الغذاء الصحيح الذي هو عبارته عما يلائم الصحه، وإن كان يحرف الصحه بقدر غير ضار، مثل إيجابه بعض النعاس في غير مورده، بينما الأصح لا يوجب

حتى مثل ذلك، وقد تقدم أن فتوى داود وسليمان (عليهما السلام) كانت صحيحة بينما فتوى الثاني كانت أكثر استيعاباً للفضل.

وكذلك الكلام في الفاسد والافسد.

لا مدخلية للزمان في الحقائق

لا مدخلية للزمان في الحقائق

ثم إن الزمان بعد رابع للموجود الخارجي، كما ذهب إليه بعض المحققين، وهو لا- تأثير له على الموجود، بأن يجعله نسبياً، بل عامل يقع في زمان دون زمان، فلا تتغير الحقيقة بأن تكون نسبية، بل بتبدل العوامل تتبدل المسببات، كالطفل والشاب والهرم، أما في مثل الرياضيات وما تقدم من سائر الأمثلة، فلا عوامل متعددة حتى توجب التغيير.

وعلى كل، فتوهم جماعه من الديالكتيكيين من علماء الاجتماع أن الحقيقة بدون الزمان وهم، لا أساس له من علم أو منطق.

أما قوله (عليه السلام): «إن الليل والنهار يبلان كل جديد ويقربان كل بعيد»^(١)، فهو كناية محضه، بالإضافة إلى أنه لا ربط له بكلام أولئك.

ولما كانت العلة والمعلولات لها نظام عام، مثل قاعده (طغيان القدره بدون الإيمان)، قال سبحانه: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ} (٢) استغنى.

ومثل: (إن السلاح والعلم والمال والكثرة قدره)، كان ماضى الزمان دائماً مرآه لمستقبله، مثلاً يقال: التاريخ يعطينا أنه كلما تجمعت القدره في يد إنسان _ غير المعصوم وشبهه _ طغى في السابق، كان الحكم كذلك في اللاحق، ثم يقال: إن البلد الفلاني قد أخذ يجمع القدره، فلا بد وأنه يطغى، وطغيانه يسبب

ص: ٢٣

١- نهج البلاغه: الخ طبه ٩٠.

٢- سورة العلق: الآية ٦.

إضرار جيرانه، فاللازم تهيئه القدره فى قبالة، أو الحيلولة دون تجميعه القدره، ومن هنا أخذ المثل المعروف: (التاريخ يعيد نفسه).

وقال على (عليه السلام): «وسر فى ديارهم، وانظر إلى آثارهم»^(١).

ص: ٢٤

١- انظر نهج البلاغه: ال كتب ٣١. وفيه: (وسر فى ديارهم و آثارهم فانظر فيما فعلوا و عما انتقلوا و أين حلوا و نزلوا).

المعرفه علميه وفلسفيه

(مسأله ٤): المعرفه قديقال لها (علم)، وقد يقال لها (فلسفه)، وهى كلمه يونانيه من (فيلاسوفا) أى محب الحكمه، وبينهما عموم مطلق، إذ كل فلسفه علم، وليس العكس، والفارق اصطلاحى.

فإن الإنسان قد يكون بصدد معرفه موضوع واحد ينتهى إلى غايه واحده، فيحصل ذلك، وهذا ما يسمى بالعلم، كما إذا صار بصدد الموضوع الذى هو بدن الإنسان ليعرف صحته وسقمه، وعلائم كل منهما، وعلاج سقمه بمختلف أقسامه.

ولذا كان موضوع كل علم هو الجامع لموضوعات مسأله، كما أن محمول كل علم هو الجامع لمحمولات مسأله، وهذه الجملة الواحده اعتباراً من المسائل تعطى معرفه الغايه المتوخاه، وكذلك الكلام فى علم التفسير والتاريخ والنحو والبلاغه وغيرها.

أما الفلسفه فهى عباره عن المسائل التى تعطى المعلومات العامه عن الحياه والكون، والمبدأ والمعاد، ولذا قد تسمى بالمعرفه الكونيه، وليس ذلك خاصاً بطائفه خاصه من المعلومات، مثل العلوم التى هى عباره عن طائفه خاصه، ولذا يتكلم فى الفلسفه عن الوجود والعدم، والمهيه والجواهر والأعراض وغيرها، ولذا كان الفيلسوف فى الزمان السابق يسعى لاستيعاب العلوم، ثم يسعى لاستخراج الفلسفه الموحده من كل تلك.

أما فى الحال الحاضر، حيث تكثرت العلوم تكثراً خارجاً عن استيعاب الإنسان، لم يبق للفيلسوف إلا أن يعرف العموميات.

ثم إن جملة من علماء الاجتماع جعلوا (الفنون الجميله) فى قبال (العلم)، وذكروا أن الفارق بينها وبين العلم: أن العلم يتغلب فيه الجانب الإدراكي، بينما الفنون الجميله يتغلب فيها الجانب العاطفي، وهذا ليس أكثر من اصطلاح، فهو مثل أن يجعل (العلم) فى قبال (النحو) بحجه أن العلم يهتم بالفكر، والنحو يهتم باللسان، أو غير ذلك من التشقيقات الممكنه التى لا تخرج الشقوق من واقع كونها أقساماً من العلوم.

الواقع: تجربى وذهنى

الواقع: تجربى وذهنى

ثم إن الواقع قسمان: قسم يخضع للتجربه، حيث إنها أمور عمليه، والتجربه تقود إلى القوانين المودعه فى ذات الأشياء، مثلاً مكتشف الكهرباء وصل إليها بسبب التجربه، فكانت قوانينها المودعه فى الكون مجهوله، والتجربه والبحث قادا المجرى إلى تلك القوانين.

عليه فلا مدخلية للتجربه فى تغيير الواقع، وإنما لها مدخلية فى كشف الواقع، وكلما زاد الإنسان تجربه فى هذا الميدان زاد كشافاً الواقع، وقد قال على (عليه السلام) فى حكمه بعث الأنبياء (عليهم السلام): «ويروهم الآيات المقدره، من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع»^(١).

وقسم آخر لا يخضع للتجربه، مثلاً هل أن الشىء مركب من جنس وفصل، وأن الوجود والعدم لا يجتمعان، وأن الزمان لا يعقل جمع أطرافه،

ص: ٢٤

وأن كل ترجح بلا مرجح محال، و... لا يمكن إخضاعه للتجربه.

ومنه يعلم أن قول بعض الماديين: إن كلما لم يخضع للتجربه ليس بعلم، مخالف للبدايه.

وعلى ما تقدم فتراكم التجارب لا يغير الواقع، وإنما يصل إلى أسرار أكثر تعقداً وغموضاً، كالذى يسير فى المدن كلما أكثر من السياحه ظهرت له مجهولات جديده، لا أن المعلوم الجديد ناسخ للمعلوم القديم.

ثم إن التجربه التى هى مقدمه للعلم الواجب واجب، على القول بوجود المقدمه، ومن ذلك يعرف الأقسام الأربعة الأخر من الأحكام الخمسه.

ص: ٢٧

الطريق إلى المعرفة

(مسألة ٥): العلماء قسموا العلم إلى قسمين: قسم مرتبط بما وراء المادة، وقسم مرتبط بالمادة.

أ: فالأول هو العلم الإلهي، وما يتبع ذلك من النبوه والإمامه والمعاد، وهذا هو المسمى بعلم أصول الدين، في قبال علم فروع الدين المرتبط بالسلوك الإنساني، والذي يتمركز في حواسه الخمس، بإضافه ما يرتبط بعمل نفسه، أي النيه والفكره.

وقد ورد في الحديث الشريف: «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى»^(١).

وورد أيضاً: «فكره ساعه خير من عبادته سبعين سنه»^(٢).

ب: والثاني هو العلم المرتبط بالمادة، والمراد بالماده الأعم من الماده الثقيله كالأرض والجسم، أو الخفيفه كالنفس والعقل، إذ لم يثبت أنهما مجردان، فإن أدله تجردهما لا تكفي لإثبات ذلك.

وعلى أى حال، فهذا العلم في تقسيم أولى ينقسم إلى خمس علوم:

١) علم النفس، والمراد به الأعم من النفس والعقل والروح، في الاصطلاح.

ص: ٢٨

١- الوسائل: ج ١ ص ٣٤ الباب ٥ من أبواب مقدمه العبادات ح ١٠.

٢- بحار ال أنوار: ج ٦٨ ص ٣٢٦.

٢: علم الجسد.

٣: علم المحيط الاجتماعي المكون من الترابط الإنساني بعضهم ببعض.

٤: علم المحيط الاصطناعي المرتبط بالمدينه، مما يعيش الإنسان فيه، سواء كان المحيط مرتبطاً بالصنعه، كالمحيطات الحاضره، أم لا كالمحيطات السابقه على اكتشاف العلوم والصنائع الحديثه.

٥: علم المحيط الطبيعي مما حول الإنسان، من سماء وأرض، وحيوان ونبات وماء، وغير ذلك.

وقد جاء بعض المحدثين فقسّموا العلوم إلى أربعة:

(١) العلم الإلهي.

(٢) العلم بالماده التي لا روح لها، مما يسمى بالفيزياء الأعم، كعلوم الفيزياء والكيمياء وعلم الفلك، وعلم الأرض بمختلف شعبه من معدن وماء وتراب وغيرها.

(٣) العلم بالماده التي لها روح، مثل علم النبات وعلم الحيوان وعلم البيئه.

(٤) العلم الاجتماعي المرتبط بالإنسان، وقد يسمى بالعلوم الإنسانيه، كعلم الاجتماع، وعلم السياسه، وعلم الاقتصاد، وعلم النفس.

والمهم في هذا الكتاب نوع من القسم الرابع، أي علم الاجتماع بالمعنى الأخص.

وحيث إن كل واحد من هذه العلوم له جهه مشتركه مع سائر العلوم وجهه مختصه، يحتاج كل عالم بأحدهما إلى نوعين من العلم:

ص: ٢٩

(١) مبادئ العلوم العامه، وقد يصطلح عليه بالجنس أو الجامع.

(٢) العلم بالشىء الذى يهمله من العلم الخاص مثل هذا، مثل من يريد معرفه الإنسان فإنه بحاجة إلى معرفه الحيوان فى الجمله، ثم معرفه الإنسان بما هو إنسان.

ثم إن كشف المعلومات فى كل علم مادى بحاجة إلى شيئين:

الأول: الطرق الفكرية.

والثانى: الطرق التجريبية.

وذلك لأن الفكر هو الذى يصدق أو يكذب التجربه، وبعبارة أخرى يقول: بأن ما أدر كه الإنسان هل هو صحيح مطابق للواقع أو لا، إذ ربما يدرك الإنسان الشىء فيزعمه صحيحاً، بينما يدل الفكر على بطلانه، وبالعكس.

وقد عد بعض السوفسطائيين أخطاء الحس فأوصلها إلى ثمانمائه، مثلاً يرى الإنسان منتهى الخطين الموازيين ملتصقاً، بينما لا التصاق، وإنما تخيله الحس كذلك حيث التصاق نوري العينين، وهكذا بالنسبه إلى المريض الذى يزعم أن الحلومر، أو أن القريب بعيد، أو ما أشبه ذلك.

إذاً يحتاج كل علم مادى إلى معرفه الفلسفه ومعرفه المنطق، قبل البدء فى تحقيق مسائل ذلك العلم الخاص، وإخضاعها للتجربه، فالمنطق يعطى معرفه استقامه الفكر وانحرافه، والفلسفه تعطى العلم بالحقائق فى مجالها الواسع الشامل لكل العلوم.

وبعد هذين تأتى دور التجربه لاكتشاف مجهولات كل علم علم، من طرقه التجريبية.

مراحل المعرفة

مراحل المعرفة

وحيث قد ظهر أن الفكر والتجربه يتعاضدان فى كشف القوانين وحل

المشاكل، لا بد وأن يعرف أن كشف القانون وما وراء القانون يمر بمراحل ستة:

١: معرفه المقصود، إذ بدونها يكون الإنسان طالباً المجهول، ولذا كان اللازم على كل باحث أن يعرف أول ما يعرف ما هو مقصوده للبحث والفحص، كالمسافر الذى يعين مقصده ثم يسير إليه متحريراً أفضل الطرق وأقصرها.

٢: تجربه بدائيه للوصول إلى المقصود، فإن التجربه كالنبات تبتدئ بنبتة صغيره ثم تنمو، وهكذا التجربه، وهى وإن كانت ربما تصادف الواقع، لكن الأغلب أنها تخفق، بل وتخفق معها تجارب أخرى، خصوصاً إذا كان الهدف عالى المنال.

وقد نقل عن مكتشف الكهرباء أنه جرب لحفظ النور فى الزجاج أكثر من تسعه آلاف تجربه، حتى قال له بعض أصدقائه: ألم يكفك ما صرفت من عمرك هباءً أن تعترف أن ما ترومه شىء غير عملى، قال: إنى لم أصرف ولا شيئاً قليلاً من عمرى هباءً، لأنى عرفت أن هذه التسعه الآلاف تجربه ليست بطرق، والآن أحاول تجربه جديده لسلوك طريق جديد لعله يكون موصلاً، وأخيراً وصل، واستنار الإنسان بالمصابيح الكهربائيه.

٣: تكوين فرضيه للوصول إلى الهدف، لأن التجربه العميقه إنما تكون بعد الفرضيه.

٤: تجربه وسيعه لأجل معرفه مدى صحه الفرضيه المذكوره، بالملاحظه والتجزئه والتركيب والتحليل والدقه وما أشبه ذلك.

٦: وعند ذلك ينكشف القانون، الذى كان الهدف الأسمى للعالم الباحث، ولذا قالوا: إن الغرض أول فى الفكر وآخر فى العمل، كمن يفكر فى دار سكنى ثم يهيه أدواتها وبيئتها، فإذا تم البناء صارت صالحه السكنى،

ويحصل غرضه فى الخارج.

٧: وتبقى مرحله أخيره إن كان الباحث يريد التوسع والتقدم، لا الجمود والوقوف، وهى مرحله الربط بين هذا القانون المكتشف وسائر القوانين، أياها تجتمع مع هذا القانون المكتشف فى قانون أعم، وأياها لا تجتمع، وإن شئت قلت: كشف النسب الأربعة بين المكتشف وغيره، هل تباين، أو تساوى، أو عموم مطلق، أو عموم من وجه.

مثلاً- إذا كان عالم الاجتماع يرى فساد المجتمع بتفشى المنكرات، المقامر والمخامر والمباغى وما إليها، ويفكر فى علاجها، فإنه يمر بالمراحل الست المذكوره.

فأولاً: مسألته تفشى المنكرات، لا تدنى مستوى المعيشه، ولا كثره اللصوص فى الطرق.

وثانياً: يفكر فى أن العلاج غلق أبواب المباغى والمقامر والحانات.

وثالثاً: يرى بعد التعمق فى المسأله، أن ليس العلاج ذلك، إذ ما دام جماعه من الناس يتعاطونها، يكون الغلق علاجاً صورياً، فإن المتعاطين ينتشرون ويتحايلون بالاختفاء عند التعاطى إلى غير ذلك، فيصل إلى فرضيه مفادها العلاج الحقيقى هو إيجاد الوعى فى الناس، لأن تعاطى هذه الأمور الضاره إنما يكون لعدم رشد الناس فكريباً، ولذا لا يعرفون مصلحتهم ومفسدتهم، فيرجحون اللذه العابره على العاقبه المحموده.

ورابعاً: يقوده الأمر الثالث إلى تجربه فكريبه أو عمليه واسعه، من باب تداعى الأفكار فى الفكر وارتباط الأمور فى تجربه العمليه، إلى أنه لماذا المنكرات، لماذا الاستعمار، لماذا تحطم الزراعه والصناعه والتجاره، لما انعدام الحريه،

لماذا السجون، وهكذا من الأفكار المناسبة أو العمليات المناسبة في حقل التجارب.

وخامساً: يصل الأمر إلى اكتشاف القانون، وهو (كلما تدنى وعى الأمة تفتت المنكرات، وكلما ارتفع الوعي قلت المنكرات إلى أن تنعدم)، إذاً فالعلاج ترفيع مستوى الوعي.

وسادساً: إذا أراد الانطلاق وعدم الجمود على القانون المكتشف، يفكر في النسبه بين هذا القانون المكتشف، وقانون السياسه والاجتماع والاقتصاد والعقيده والأخلاق والحريات والقدرة وغيرها، وبذلك يظهر طريق العلم (وحدته وكثرته، وتداخله وتباينه) وطريق العمل.

وإذا لم يمر الإنسان بهذه المرحله السادسه، كانت علومه المتناثره وتجاربه المتشتته غير مرتبطه، ولا تعطى رؤيه وسيعه، ولا قاعده متينه.

الإسلام والتفكير

مراحل المعرفه

وقد أمر الإسلام بالتفكير والتدبير، والتفقه والتعقل، وما إلى ذلك، كما يجدها المتتبع في القرآن الحكيم، وأقوال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأولاده الطاهرين (عليهم السلام).

وقدورد في الحديث: «في التجارب علم مستأنف»^(١).

وقال علي (عليه السلام): «قيمه كل امرئ ما يحسنه»^(٢).

وقال (عليه السلام): «فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك، فإنك أول ما خلقت كنت جاهلاً ثم علمت، وما أكثر ما تجهل من الأمر، ويتحير فيه رأيك

ص: ٣٣

١- فروع الكافي: ج ٨ ص ٢٢.

٢- نهج البلاغه: قصص الحكم ٨١.

ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد حين»(١).

وقال (عليه السلام): «الفكر مرآة صافيه»(٢).

وقال (عليه السلام): «اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعايه لا عقل روايه، فإن رواه العلم كثير ورعايته قليل»(٣).

وقال: (عليه السلام): «لا علم كالتفكر، ولا شرف كالعلم»(٤).

وقال: (عليه السلام): «ما لى أرى الناس إذا قرب إليهم الطعام ليلاً تكلفوا إناره المصاييح ليصروا ما يدخلون بطونهم، ولا يهتمون بغذاء النفس بأن ينيروا مصاييح ألبابهم بالعلم، ليسلموا من لواحق الجهاله والذنوب، فى اعتقاداتهم وأعمالهم»(٥).

وقال (عليه السلام): «العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل عنه»(٦).

وسائل المعرفة

وسائل المعرفة

ثم إن العلوم تختلف فى الوسائل التى تنتهى إلى مسائلها:

١) فالعلوم الفلسفيه والعقائديه تعتمد على الطريقه التفكيريه.

٢) والعلوم الفيزيائيه والكيميائيه تعتمد على الأغلِب على التجربه العمليه، وإن كان اللازم التفكير والتدبر حول جمله من خصوصياتها كما تقدم

ص: ٣٤

١- نهج البلاغه: الكتب ٣١.

٢- نهج البلاغه: قصار الحكم ٣٦٥.

٣- نهج البلاغه: قصار الحكم ٩٨.

٤- بحار الأنوار: ج ١ ص ١٧٩.

٥- شرح نهج البلاغه: ج ٢٠ ص ٢٦١.

٦- نهج البلاغه: قصار الحكم: ٣٦٦.

فى بحث المراحل الست.

٣) أما العلوم الاجتماعيه، بمختلف شعبها كالاقتصاديه والسياسيه والتاريخيه ونحوها، فإنها تعتمد على المشاهدات والإحصاءات والأسناد، فالعالم الاجتماعى يلتقى بالأفراد ويسألهم، أو يقدم لهم أوراقاً بالأسئله ليملئوها، أو يأخذ نماذج من الأمور ليعلم بها كليات تلك النماذج، إلى غير ذلك.

والواجب على المحقق الاجتماعى فى اللقاءات وما أشبه، أن لا يعتمد على الشائعات والأجواء المصطنعه، بل يكون له من الذكاء ما لا يخلط معه الحقيقه بالاصطناع، مثلاً- المستبدون من الحكام يفرضون أنفسهم على وسائل الإعلام وعلى المحلات العامه بواسطه البوليس السرى، وعلى قطاعات كبيره بواسطه الترغيب والترهيب، وبذلك يملؤون الاجتماع من أنفسهم، مع أنه إملاء كاذب، فالمحقق يجب أن يميز بين مثل هذه الأجواء، وبين مثل الأجواء الحره، مما يكون كل شىء طبيعياً فيها.

فإذا كان الجو من القسم الأول كان على المحقق أن يتجنب فى إحصائياته ومقابلاته عمّا يرتبط بالحاكم ولو كان سيطر عليه بسبب الإعلام وسياسه التجهيل.

أما إذا كانت الأجواء مثل القسم الثانى، تمكن المحقق من السؤال والاستعلام بكل حريه، مثالهـما مثال من يمشى فى أرض شائكه حيث يلزم عليه أن يلاحظ بكل دقه لثلا يصيب الشوك بدنه وملابسه، بينما من يمشى فى أرضه مستويه ليس عليه هذه الملاحظه.

وقد يذهب الحاكم الدكتاتور إلى أبعد من ذلك، فيشترى _ فى خارج بلده _ وسائل الإعلام والضماير، ويكون بذلك قد نصب شبكه لاصطياد المغفلين.

والعلامه للقسمين لا تخفى، فإنك إذا رأيت فى دوله الباطل حزباً واحداً، وتقديساً للفرد، وعدم تبدل الحاكم بين مده ومده،

وعدم حرية الصحافة والإذاعة والتلفزيون، وما أشبهه، علمت بأن الجو ملغوم، فالإحصاءات وأوراق الأسئلة والنماذج لا تعطى إلا رائحته الحاكم، إلا إذا كان المحقق دقيقاً نابهاً، وبالعكس من ذلك إذا رأيت أحزاباً متعددة، وتعرض الفرد للتقديس والنقد، إلى آخره، فإنه علامه صلاح الجو، وإمكان الاعتماد عليه.

والأسناد أيضاً يجب أن نعرف صحيحها من سقيمها، وهي تعرف من الخط والورق والإنشاء، وزمان ومكان الإنشاء، كما أن ما ينشأ في حاشيته رئيس مستبد لا يكون سنداً، بينما ما ينشأ في جو نظيف يكون سنداً، وهكذا يلزم الإحصاء في صحه هذا التاريخ أو ذاك، إلى غير ذلك.

من أين الاجتماع

(مسأله ٦): الإنسان خلقه الله سبحانه جسماً ونفساً، وله متطلبات جسميه، ومتطلبات نفسيه.

فالأكل والسكن والراحه واللباس ونحوها من الأول.

والعلم والأدب والاجتماع والفضيله ونحوها من الثاني.

ثم إن الله سبحانه هياً للإنسان حاجياته _ سواء حاجياته التي لا- تحتاج إلى العمل كالهواء والأرض ونحوهما، أو التي تحتاج كالدار والمأكل والملبس _ من ناحيه، كما بين له بقوانين سماويه، كيفيه حركته وسكونه وتفكيره وعمله من ناحيه ثانيه، حاله في ذلك _ في مثال بسيط _ حال صانع معمل ما، حيث يهيؤ لوازم المعمل ويبين قوانين المعمل.

فهناك في الخلقه تعادل بين الإنسان في حاجياته وقوانينه، والانحراف عن تلك القوانين يوجب العطب والهلاك، ولذا قال سبحانه: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} (١).

وقال تعالى: {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} (٢).

وقال عن لسان نوح (عليه السلام): {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} (٣).

ص: ٣٧

١- سورة طه: الآية ١٢٤.

٢- سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

٣- سورة نوح: الآية ١٠.

فإن الإعراض عن القوانين الصالحة يوجب ارتطام الإنسان بالحواجز، كالذى يسير فى الطريق المسدود حيث يرتطم بالجدار، كما أن اتباع غير السنن الالهيه يوجب ثقل الحياه على الإنسان ثقلاً على نفسه (إصرهم) وثقلاً على أعضائه وجوارحه (والأغلال التى كانت عليهم).

أما الاستغفار بالسير فى طريق الله _ وهو الاستغفار الحقيقى _ فإنه يوجب تدارك نقص السابق (إنه كان غفاراً)، كالمريض إذا شرب الدواء حيث يستعيد صحته.

وإذا مشى الإنسان فى طريق الله بالتعاون وزراعه الأرض وشق الأنهار والتزواج والاستيلاء، كان درّ المطر كثيراً، لأنه يتولد من كثره مياه الأرض، ويكثر الأموال بالتجاره والزراعه والصناعه، ويكثر البنون، وتكون الجنات والأنهار.

فآيات الثلاث هى بيان لطبيعته عدم سلوك أو سلوك القوانين الصالحة التى جعلها الله سبحانه، بالإضافة إلى الأمر الغيبى الذى يعمل به سبحانه ما ورائياً، فإن الحياه يسيرها أمران:

١: القوانين الطبيعیه المودعه فى الكون بإذن الله سبحانه.

٢ والأمر الماورائيه التى يجريها الله سبحانه، بدون أسباب ظاهره.

كالمعمل الذى يسير بسبب قوانينه، وبسبب المهندس الذى يسيره.

أما من يقول بالإنسان الأول المنحدر من نسل الحيوان، وبلاشتراكه الأولى، وبالاجتماع لأجل الاقتصاد، وأن الاقتصاد هو البناء التحتى لكل القوانين والأنظمه والأخلاق والآداب والأديان وما إلى ذلك، فإنه لا يعوزه الدليل فحسب، بل الدليل على خلافه فى كل خطوه خطوه.

بين الترابط والتباعد

بين الترابط والتباعد

ثم إن الإنسان حيث خلق اجتماعياً بالطبع، لا لحاجاته الجسديه فقط، بل

لحاجاته النفسية، حيث الإنسان يستأنس بالإنسان، ويستوحش لفقده، كان الإنسان يؤثر في الإنسان الآخر، سواء كانا فردين أو مجتمعين، أو بالاختلاف.

والتأثير قد ينتج الإيجاب بالترابط، وقد ينتج السلب بالتدابير.

والترابط:

١) قد يكون لأجل هدف واحد، فيجتمعون للوصول إليه، بدون أن يكون للمجتمعين لون واحد، وهذا يسمى بالترابط الهدفي.

٢) وقد يكون من أجل وحده اللون التابعه لوحده الثقافه فى الأخلاق والآداب والدين والمراسيم، وهذا يسمى بالترابط الاجتماعى.

كما أن التدابير بانفصال أحدهما عن الآخر على ثلاثه أقسام، لأنه:

١: قد يكون لأجل الوصول وحده إلى الهدف بدن عمل ما يوجب تأخير الآخر، وإن كان الآخر أيضاً يريد نفس الشىء، سواء فى فردين أو جماعتين، وهذا يسمى بالاستباق، حيث إن كلاً منهما يستبق الآخر فى نيل هدف خاص كالمسابقه بالخيل.

٢: وقد يكون كالأول، ولكن مع عمل ما يوجب تأخير الآخر، فهو إيجابى بالنسبه إلى نفسه وسلبى بالنسبه إلى الآخر، ويسمى بالرقابه، كرقابه التجار وسائر الحرفيين.

٣: وقد يكون الثانى بإضافه كون الرقابه بالعداء والبغضاء، ويسمى بالمحاربه، كما فى المقاتلات والحروب.

ثم إن كلاً من الترابط والتدابير غالباً ينتهيان إلى المسالمة، وهى العيش الاجتماعى بين الفردين أو الطائفتين بسلام، فالمسالمة فى الترابط قد تكون مسالمة الأمرىه والمأمورىه، حيث يتسلط أحد الطرفين على الآخر

ص: ٣٩

فيسلم الطرف الثاني بآمره الطرف الأول.

وقد تكون مسالمة التوافق الاجتماعي بدون الأمر والمأموريه، والتوافق قد يكون بالعدل بأن أعطى كل طرف حقه، وقد لا يكون بالعدل، مثلاً- نهر بين قريتين، نفوس إحداهما ألف ونفوس الأخرى ألفان، فإن قسم النهر بينهما نصفين كان مساواتهما بدون عدل، وإن قسم للأولى ثلثه كان عدلاً، فإن بين اللفظين عموماً من وجه.

وكل من الأمر والمأموريه والتوافق، قد يكون مع الرضا الباطني، وقد يكون بدون، وأهم القسامين ما يكون بالرضا، إذ القسر لا يدوم، ولا يحصل الرضا الباطني أبداً إلا إذا كان التطبيق يصادف الأصول المقبوله.

وبعبارة أخرى كان النظام مطابقاً للإيدولوجيه، لأنه بدون ذلك يقع التدافع الخفي، ثم الجلي، بين النظام والأصول، وينتهي أخيراً إلى الانفصام، سواء في الحقل السياسي أو الاقتصادي أو غيرهما.

مثلاً إذا كانت السياسه المتخذة من الشريعة الإسلاميه في قياده الأمة بالنحو الاستشاري، كانت القياده الديكتاتوريه فرضاً على الأمة، فيقع التصادم بين معتقد الأمة وبين نظامها السياسي، وذلك ينتهي إن عاجلاً أو آجلاً إلى التضارب والانفصام، ولذا قالوا خير القيادات وأطولها عمراً ما نبعت من باطن الأمة.

وكذلك في الاقتصاد، فإذا كان الاقتصاد الإسلامى أمراً وسطاً بين إفراط الرأسماليه، وتفريط الشيوعيه، كان الاقتصاد السليم القابل للتطبيق ما كان وسطاً بينهما، فإذا جعل النظام الاقتصادي مائلاً إلى أحدهما، أوجب التصارع بين الأصول: الأيدولوجيه الاقتصاديه، والتطبيق: النظام المجهول، وينتهي أخيراً إلى التعارض والانفصام، وكذلك الأمر في الثقافه وغيرها.

أما المسالمة التي ينتهي التخالف إليها، فالغالب أن تكون بسبب المصلحين، بعد تهيؤ الطرفين نفسياً لها، حيث إن الإنسان مغرور غالباً، فيزعم أنه بإمكانه أن يخرج خصمه عن الساحه، وبعد تجربه العداة يرى أنه لم ينفعه ذلك، وأخذ من طاقاته الشيء الكثير، بالإضافة إلى ما حط من سمعته، بما لو صرفها في البناء لكان أجدى له.

وذلك هو المناخ المناسب التعايش السلمى، وحينذاك ينشط المصلح لجعل شروط تقارب وجهات النظر.

والتوافق بين الجانبين قد يكون على نحو (المهادنة)، أو على نحو (المعاهدة)، أو على نحو (المصالحة)، أو على نحو (المعايشه).

وهذه مراتب متدرجه، فالمهادنة عدم الخصام، والمعاهدة يضاف إلى المهادنة أن يتعهد كل طرف بعدم الاعتداء، ثم يأتي دور المصالحة حيث يصطلح الطرفان ويكونان كأخوه، وأخيراً يمتزجان كجماعه واحده وهى المعايشه.

الإسلام يدعو إلى السلم

الإسلام يدعو إلى السلم

وقد حرض الإسلام على السلام، حتى مع الأعداء، قال سبحانه: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} (١).

وقال الامام السجاد (عليه السلام): «اللهم سددنى لأن أعارض من غشنى بالنصح، وأجزى من هجرنى بالبر، وأثيب من حرمنى بالبذل، وأكافى من قطعنى بالصله، وأخالف من اغتابنى إلى حسن الذكر، وأشكر الحسنه، وأغضى عن السيئه» (٢).

ص: ٤١

١- سورة فصلت: الآيه ٣٤.

٢- الصحيحه السجديه: دعاء مكارم الأخلاق.

وفى القرآن الحكيم: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} (١).

وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} (٢).

أما قوله سبحانه: {أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ} (٣)، فذلك حيث قصوى حالات الاضطراب، كالعلمية الجراحية الخطره حيث لا يقدم عليها إلا فى قصوى حالات الضروره، ولذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمه (عليهم السلام) يخففون أبدأ أسباب العداة ويقصونها، فقال (صلى الله عليه وآله): «أذهبوا فأنتم الطلقاء» (٤)، وأعطى على (عليه السلام) الماء لمن حاربوه، وكذلك فعله ابنه الحسين (عليه السلام) فى كربلاء، إلى غير ذلك.

أقسام التجمعات

أقسام التجمعات

والجماعه قد تكون جماعه إراديه، أى اجتمع أفرادها بالإراداه والتخطيط المسبق، وتسمى بالجماعه الرسميه، أو الهيئه الرسميه. مثل أعضاء الحكومه فإنها جماعه شكلت لأجل حفظ العداة وتقديم البلاد إلى الأمام، مع إراداه وتخطيط.

وقد تكون جماعه غير إراديه، بأن لم يكن اجتماعهم عن تخطيط وإراداه خاصه، مثل الاجتماع فى القرى والمدن، حيث لم يجمع الأفراد تخطيط وإراداه خاصه فهى جماعه غير إراديه.

ثم الجماعه المجتمعه قد تكون طويله الأمد، كالمثاليين السابقين، وقد تكون قصيره الأمد.

وهذه الثانيه قد تكون عن تخطيط، وقد لا تكون كذلك.

ص: ٤٢

١- سورة الأنفال: الآية ٦١.

٢- سورة البقره: الآية ٢٠٨.

٣- سورة الفتح: الآية ٢٩.

٤- الوسائل: ج ١١ ص ١١٩ الباب ٧٢ من أبواب جهاد العدو ح ١.

فالأولى: كالمظاهرات التي خطط لها، ولا بد أن يكون وراءها عقل مدبر.

والثانية: كالمظاهرات العشوائية، كما إذا اجتمع جماعه في أيام الغلاء عند الخباز، ثم أخذوا يتظاهرون بسبب الجوع وتطلب الخبز.

والجماعه قد تكون بدائيه طبيعیه، كأفراد عائله واحده، أو غير طبيعیه، كالأطفال الذين يجتمعون للعب، وقد تكون غير بدائيه، وتسمى بالجماعه الثانويه، وهى التى تجتمع لأجل هدف خاص، ويصرف أفرادها قسماً من نشاطهم فى إطار الاجتماع، كالجماعه الاقصاديه أو الثقافيه أو الصناعيه.

وأعضاء الجماعه قد يكونون أعضاء مواجهه، لأن اجتماعهم يتطلب مواجهه، مثل أعضاء العائله، وأعضاء اللعب، وقد يكونون أعضاء غير مواجهه، حيث إن اجتماعهم لا يتطلب مواجهه، مثل أعضاء الشركات والأسهم، حيث إن التلاقى لا يكون بينهم، وإنما يرتبط كل عضو بالمكتب الذى فتح لأجل تلك الشركه أو تلك الأسهم.

والأعضاء إن ربوا فى محيط واحد أو محيط مشابه، سميت الجماعه بالجماعه المنسقه، وإلا كانت جماعه غير منسقه، حيث إن العرف والعاده والأعمال عند الفعل وردود الفعل فى الأولى مشابهه، بخلافها فى الثانية.

مثلاً قد يكون من ربي فى الغابه، إذا رأى السبع حمل عليه، بينما من ربي فى المدينه إذا رأى السبع فر منه، فإذا رأى أحدهم من صديقه فراراً أو حملاً وهو بعيد عنه علم الحادث فى المنسقه، بينما لا يعلم الحادث فى غير المنسقه، إلى غير ذلك من الأفعال وردودها.

ثم إن كل جماعه بالنسبه إلى أفرادها تسمى بالداخله، وبالنسبه إلى غير أفرادها

تسمى بالخارجيه، سواء كانت الخارجيه أفراداً متناثرين، أو جماعه أخرى.

والأعضاء قد يكونون أصليين، فيما كانوا نواه مركزيه، وقد يكونون فرعيين فيما كانوا ثانويين، وهكذا قد يكونون أعضاء التشكيل، وقد يكونون أعضاء الولاء، حيث لا- يتركب تشكيل الجماعه منهم وإنما هم موالون يجمعون لهم المال، ويدافعون عنهم، ويروجون لهم.

وقد تحتاج التشكيله إلى أفراد آخرين، فتنخب من الموالين من تجعلهم ضمن التشكيله.

والأعضاء قد يربطهم رابط اللحم والدم، وتسمى بالعشيره أو نحوها، وقد يربطهم رابط غيره، وتسمى بالجماعه الاسترشاديه، حيث يستر شد أعضاؤها بالآراء والأفكار التي تتخذها الجماعه منهجاً لأجل بقاء الجماعه وتقدمها إلى الأمام في مقاصدها وأهدافها.

ثم الجماعات العامله لها حركه خاصه بها في البعد الذي يهتم الجماعه، كالبعد السياسى بالنسبه إلى الأحزاب، والطبى بالنسبه إلى جماعه الأطباء وهكذا، وهذه الحركه الخاصه غالباً تكون دوريه، أى إن الجماعه توجد في أفرادها نوعاً من الحركه من حيث الكيف والكم، والفرد من الأعضاء المتأثر بالحركه يعطى رد الفعل إلى الجماعه، بما يزيدها حماساً وحركه، والجماعه بدورها سترد الحركه على نحو أشد من حركتها الأولى إلى الأعضاء، وهكذا تكون حركه الجماعه والفرد بين فعل ورد فعل.

وهذه الحاله كما توجد في الجماعه المنظمه ذات الأهداف البعيده، كذلك توجد في الجماعات التلقائيه الذين اجتمعوا صدفةً لأجل حادث طارئ، مثل مشاهدته تمثيليه، أو انتظار مآكل أو سفر، أو ما أشبه ذلك، فإن أخذت الجماعه في الهرج والمرج والتخريب سميت بالغوغاء.

ثم قد يكون للجماعه معنى غير ما تقدم، وهو الأفراد المشترك كون في أمر حسن أو سىء، بدون أن يكون بينهم ربط أو رابطه، مثل جماعه المهرين، وجماعه اللصوص، وجماعه الكتّاب، وجماعه الفقراء، وما أشبه.

وفى الاصطلاح فى اللغه العربيه تختلف (الجماعه) عن (الجمعيه)، وإن كان بينهما لغهً تساو أو ترادف، مثلاً- إذا كانت هناك جماعه مترابطه لأجل التأليف والنشر يقال لهم: (جمعيه)، بينما إذا لم يكن بينهم ترابط، بل كانوا متناثرين، إذا أريد التعبير عنهم يقال لهم (جماعه) المؤلفين، وهكذا.

وهكذا جرى الاصطلاح فى تسميه الجماعات السياسيه بالأحزاب، وإن كان المعنى اللغوى أعم من ذلك، فكل تجمع يسمى (حزباً) وإن كان بدون ترابط قريب كترابط الجمعيات.

قال سبحانه: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ} (١).

وقال: {أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ} (٢).

وقال: {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} (٣).

وكذلك جرى الاصطلاح على تسميه جماعه بالهيئه، ولا- يطلق عليهم حزب أو جمعيه، مثل هيئه الدوله، لأعضائها، أو الهيئه لحسينيه كذا ونحو ذلك، وقد يطلق على الهيئه (الجماعه) أيضاً.

الجمهور والأمة

الجمهور والأمة

أما (الجمهور) أو (الجماهير) فالغالب إطلاقها على (العامه)، وإنما يطلق عليهم هذا اللفظ إذا أريد التعبير عن إرادته لهم، مثل: لا يرغب الجمهور فى كذا، أو الجمهور يريدون المرشح الفلانى، فقد يلاحظ كل قطعه من العامه

ص: ٤٥

١- سورة الأحزاب: الآية ٢٢.

٢- سورة المجادله: الآية ٢٢.

٣- سورة المؤمنون: الآية ٥٣.

جمهوراً، فيقال المجموع (جماهير)، وقد يلاحظ المجموع من حيث المجموع فيقال (جمهور)، وحيث إن الجمهور يطلق على القطعة من العامه، صح إطلاقه على طائفه خاصه مثل: جمهور الفقراء، أو جمهور البطالين، أو جمهور الزراعين، إلى غير ذلك.

و(الأمه) و(الشعب) يطلقان على طائفه كبيره من الناس، والفارق بينهما أن (الأمه) تقال باعتبار المبدأ، و(الشعب) يقال باعتبار الذات.

قال سبحانه: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} (١).

وقال: {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ} (٢).

ولذا لا يصح أن يقال: الأمم الإسلاميه، لأن كلهم أمه واحده، بينما يصح أن يقال: الشعوب الإسلاميه، لأن الإسلام اشتمل على شعوب.

وحيث إن الجماعه المشتركه فى هدف خاص طويل الأمد، كالجماعه الاقتصاديه أو الثقافيه أو ما أشبههما لها نظم خاص، وروابط بين أفرادها، وعمل خاص، سميت بـ (المنظمه).

الاجتماع وشعبه

الاجتماع وشعبه

أما (الاجتماع) فهو المركب من أناس كثيرين، وغالباً يكون لهم منظمات وجماعات، وجمعيات، ومؤسسات، سواء كانت رسميه أى دوليه، أو غير رسميه.

والاجتماع يشتمل على (الأخلاق الاجتماعيه)، و(الآداب الاجتماعيه)، و(المواثيق الاجتماعيه)، و(القوانين الاجتماعيه)، و(الموارث الاجتماعيه)،

ص: ٤٦

١- سورة المؤمنون: الآية ٥٢.

٢- سورة الحجرات: الآية ١٣.

و(الشعائر الاجتماعيه) و(المقررات الاجتماعيه).

فالأول: صفاتهم النفسيه، كالكرم والبخل، والشجاعه والجبن، وحبّ الضيف وكرهه.

والثانى: آدابهم فى بناء الدور، والسلام، والمجالسه، والصله للرحم، وكيفيه الملابس، وما أشبه.

والثالث: ما يحصل من العهود بواسطه جماعه من كبار المجتمع مع آخرين منه، أو مع مجتمع آخر.

والرابع: القوانين المرعيه فى بيعهم ونكاحهم ومواريتهم ومرافعاتهم، مما جعل العقاب لمن خرقها.

والخامس: ما ورثوها من الآباء والأجداد من الرسوم والآداب وغيرها.

والسادس: ما يظهر ونها من الأعمال فى فترات خاصه بحسب عقيدتهم.

والسابع: ما كان من القوانين المرعيه مما يحسن اتباعها ولا تصل إلى القانون الذى يعاقب مخالفه، فإذا لم يسر فرد على هذه الأمور سمى (شاذاً)، فإن استمر على خلافه مع الاجتماع سمى (منحرفاً).

ثم الحاله التى تظهر فى الاجتماع وتشمل قطعه كبيره منه بما فيها من حركه واضطراب إن كانت سريعه الزوال سميت (هوساً اجتماعياً)، وإن كانت بطيئه الزوال سميت (جداً اجتماعياً)، فإن وافق تلك هرج ومرج وحالات غير عاديه سميت بـ (الجنون الاجتماعى)، فإن كان مثل ذلك حصل من حادث مخوف كسيل أو حرب فجائيه أو زلزه شديده، سميت بـ (الوحشه الاجتماعيه).

والروابط التى تحكم أفراد الاجتماع إن كانت سماويه سميت (دينياً)، كما أن الروابط سواء كانت سماويه أم لا، تسمى (أنظمه) و(مناهج) و(قوانين) و(مسائل) و(روابط) وغيرها.

علاقه الفرد بالمجتمع ونحوه فى ضوء الإسلام

ثم لنختم هذه المسأله بكلمات عن على أمير المؤمنين (عليه السلام) فى (نهج البلاغه).

قال (عليه السلام) فى وصيه له للحسنين (عليهما السلام): «أوصيكما... بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإنى سمعت جد كما (صلى الله عليه وآله) يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامه الصلاه والصيام» (١).

وقال (عليه السلام): «وعليكم بالتواصل والتبادل، وإياكم والتدابير والتقاطع» (٢).

وقال (عليه السلام): «وإنما أنتم إخوان على دين الله، ما فرق بينكم إلا خبث السرائر وسوء الضمائر، فلا توازرون ولا تناصحون، ولا تباذلون ولا توادون، وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخالف من عيبه إلا مخافه أن يستقبله بمثله» (٣).

وقال (عليه السلام): «فإن الله سبحانه قد امتن على جماعه هذه الأمه فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفه، التى ينتقلون فى ظلها، ويأوون إلى كنفها، بنعمه لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمه، لأنها أرجح من كل ثمن وأجل من كل خطر» (٤).

ص: ٤٨

١- نهج البلاغه: الكتب ٤٧.

٢- نهج البلاغه: الكتب ٤٧.

٣- نهج البلاغه: الخ طب ١١٣.

٤- نهج البلاغه: الخ طب ١٩٢.

وقال (عليه السلام): «وألزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس الشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب» (١).

وقال (عليه السلام): «ألزموا ما عقد عليه جبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة» (٢).

وقال (عليه السلام): «إياكم والتلون في دين الله، فإن جماعه فيما تكرهون من الحق خير من فرقه فيما تحبون من الباطل، وإن الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقه خيراً ممن مضى ولا ممن بقى» (٣).

وقال (عليه السلام): «فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء» _ جمع ملاء _ «مجتمعه، والأهواء مؤتلفه، والقلوب معتدله، والأيدى مترادفه، والسيوف متناصره، والبصائر نافذه، والعزائم واحده، ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين، فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم، حين وقعت الفرقة، وتششت الألفه، واختلفت الكلمه والأفئده، وتشعبوا مختلفين، وتفرقوا متحازبين» (٤).

المجتمع المتخلف بؤره للرذائل الخلقية

المجتمع المتخلف بؤره للرذائل الخلقية

ثم إن الاجتماع إذا انحرف صار مركزاً للرذائل الخلقية والعملية، حيث إن الاجتماع هو الجهاز الضاغظ على الأفراد والجماعات في الاستقامه أو الانحراف، والفرقة من مواليد الاجتماعات المنحرفة.

فإن الاجتماع إذا كان مستقيماً، اشتغلت جماعته وأفراده بالبناء، فتوجد المؤسسات البانية، والجمعيات الخيره، والمنظمات العامله في سبيل التقدم، وهى تجذب أكثر قدر من الأفراد، فيعج الاجتماع بالفضيله، ويأخذ سبيل

ص: ٤٩

١- نهج البلاغه: الخ طب ١٢٧.

٢- نهج البلاغه: الخطب ١٥٤.

٣- نهج البلاغه: الخطب ١٧٦.

٤- نهج البلاغه: الخطب ١٩٢.

الرقى والتقدم، والسير فى مدارج الكمال.

بينما الاجتماع إذا كان منحرفاً، أخذت الجمعيات فيه بالتحلل والتفسخ، وتفشت البطاله، وكثر الجهل، وشاعت الفرديه، وصار مركزاً للجمود والتأخر، وشاع فيه الفساد والإفساد.

أما اختلاف الاجتهادات، ففى الاجتماع المتقدم يعالج بسياده الكلمه، والبحث الحر، والانتقاد النزيه، وحتى فى الحقول السياسيه نجد الأحزاب الحره تحاول كل واحده منها التقدم بكثره العمل وحسن الخدمه، ويقع التنافس فى البناء، والاستباق إلى الفضيله.

وقد أكد القرآن الحكيم على ذلك، قال سبحانه: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} (١).

وقال: {اسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} (٢).

وقال: {وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} (٣).

بالعكس من الاجتماع المتخلف، حيث تأخذ القوه مكان الكلمه، والسيف والسجن والسوط مكان الانتقاد البناء والبحث الحر، ويسلط الأشرار حيث إنهم أقدر على الفتك والإرهاب، هذا من ناحيه.

من ناحيه أخرى تكثر فيه العزله والانزواء، حيث لا يجد الصالحون مجالاً للتنفس، وتفشت البطاله والترهب والتزهد، وكذلك صار المجتمع المسيحي إبان حكم البابوات، بل والمجتمع الإسلامى فى فترات منه، وكان من تلك ما قبل خلافه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد ورد أن علياً (عليه السلام) لما جاء إلى الكوفه رأى فى مسجده أناساً لا عمل لهم يعيشون على صدقات الناس ويتزهدون فى الدنيا، فأخرجهم الإمام (عليه السلام) عن المسجد بنهر وأمرهم بالعمل.

ص: ٥٠

١- سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

٢- سورة البقره: ال آيه ١٤٨.

٣- سورة المطففين: الآية ٢٦.

الثقافه الاجتماعيه

(مسأله ٧): لكل إنسان ثقافه دينيه أو دنيويه، ورثها أو اكتسبها من مجتمعه، أو اخترعها، وثقافات الأفراد تتجمع حتى تعطى لوناً خاصاً للمجموع، ثم تتجمع ثقافات الجماعات في وحده أكبر، وتتغير اللون إلى المتوسط بين تلك الألوان، وهكذا تتجمع الوحدات الكبرى في وحده جامعته تعد تلك ثقافه المجتمع.

مثلاً- إذا اجتمعت عائله كرمها مائه في مائه، وعائله كرمها عشرون في المائه، وعائله كرمها ثلاثون في المائه، كان المجتمع من هذه العوائل كرمهم خمسون في المائه، فإذا جمعت وحده كبرى بين هذه المجموعه ومجموعه أخرى كرمهم عشره في المائه، كان الاجتماع كرمه ثلاثون في المائه.

وكذلك الحال في الثقافه، والصناعه، والأخلاق، والشجاعه، وغيرها، ولذا كان في الثقافه الاجتماعيه جهات اجتماع و جهات اختلاف، وكما كبرت الوحده الجامعه، كان الرقى أكثر، حيث إن الفضائل في الأفراد والجماعات تجد متنفساً أكثر وظهوراً أقوى، ولذا حيث جمع الإسلام بين الشعوب المختلفه من عرب و فرس و قبط و هند وغيرهم، وصلت الأمه الإسلاميه إلى أكبر قدر من النضج في مختلف ثقافات الحياه.

لكن إنما يكون ذلك إذا توفر مناخ الحريه الكامله للأفراد، وإلا لم تكن حصيله الاجتماع الكبير إلا التأخر، فإن الثقافه بحاجه إلى تحرك وانتشار

وهما لا يتوفران إلا في مناخ الحرية، وكذلك ما يتبع الثقافه من فروسية وصناعه وزراعه وتجاره وغيرها.

ثم الثقافه ماديه ومعنويه، فالماديه ما يرتبط بالجسد، والمعنويه ما يرتبط بالنظام والعقيده ونحوهما، وكلتاهما في عرض واحد.

أما قول جماعه من الماديين بأن الاقتصاد هو البناء التحتي للدين والأخلاق والأنظمه وغيرها، مما هي في نظرهم بناء فوقى، فهو قول خال عن الدليل، بل قام الدليل على خلافه.

والفرد في الاجتماع، وكذلك في الجماعه المترابطه في وحده منظمه واحده، له:

(١) مكانه.

(٢) وعمل اجتماعى.

فالأول: عبارته عما له في الاجتماع من الشخصيه الموجهه لاحترامه، ولسهوله نفوذ أوامره، وهذه المكانه الاجتماعيه تابعه للمال والسلاح والعلم والعشير ونحوها، والإيمان والأخلاق والأعمال، وأحياناً الجسد، كالإنسان الجميل أو الإنسان القوى البنيه.

بينما الثانى: عبارته عما يزاوله الشخص من الأعمال، وكلما كان عمل الإنسان أكثر وأحسن، كماً وكيفاً، زاد ذلك في مكانته الاجتماعيه.

الكفاءه ميزان التقدم

الكفاءه ميزان التقدم

ثم في المجتمع الصالح تكون الكفاءه والحرية ميزان التقدم، فـ {كل امرئ بما كسب رهين} (١)، و {أن ليس الإنسان إلا ما سعى} (٢)، و«الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم» (٣).

ولذا تكون السيادة والمال وغيرهما منقسمه بين المجتمع، والاجتماع في مثل هذا المجتمع يأخذ في التحرك.

ص: ٥٢

١- سورة الطور: الآية ٢١.

٢- سورة النجم: الآية ٣٩.

٣- بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٧٢، غوالى اللئالى: ج ١ ص ٢٢٢.

بينما فى المجتمع الطبقي المنحرف، تستولى طبقه على الناس، فهم طبقه والناس طبقه، والكفاءات تسحق، والحريات تسلب، والطبقه الحاكمه هى كل شىء، بيدها المال والسلاح والسياده، أو الطبقة الحاكمة تتحالف مع الأثرياء ليكون بيدهما كل شىء، والمال دوله، وسائر الناس طبقه مطحونه، كما نجد فى الحال الحاضر مثال الأول فى الشرق، ومثال الثانى فى الغرب.

التحرك الأفقى والعمودى للمجتمع

التحرك الأفقى والعمودى للمجتمع

قد تقدم أن الاجتماع يأخذ فى التحرك إذا كان المجتمع صالحاً، والتحرك على نحوين:

الأول: التحرك الأفقى، بأن يغير الفرد مكانته الاجتماعيه إلى مكانه مماثله، كان يخرج من جمعيه ليدخل فى جمعيه أخرى، حيث مكانته فيهما متساويه.

الثانى: التحرك العمودى، وذلك صعوداً، حيث إن الحريه والكفاءه توجبان صعود الفرد إلى المكانه اللائقه به فى أعلى درجات الاجتماع، أو نزولاً حيث إن توفر الكفاءه فى غير الصاعد، يوجب أن يصعد، فيخلى الصاعد مكانه للأكثر كفاءه، بينما هو ينزل إلى المستوى اللائق به، ولذا تكون المجتمعات الراقيه فى حال تحرك دائم وصعود ونزول، بخلاف المجتمعات المتأخره حيث إنها فى حال جمود وركود.

والاجتماع بالنسبه إلى تحرك الأفراد أفقياً أو عمودياً على ثلاثه أقسام:

الأول: الاجتماع المنغلق الذى لا يسمح للتحرك، لوجود الاستبداد المطلق الكابت للناس عن الحركه، والكبت يكون بالقتل والتعذيب والسجن والمصادره وتلفيق التهم، وفى مثل هذا المجتمع تموت المواهب، وتقبر الحريات.

والثاني: الاجتماع المنفتح، وهو بعكس الأول، وعلامة هذا المجتمع حريه الصحافه والتجاره والثقافه والإعلام والتحرك فى مختلف أبعاد الحياه، والحاكم فيه كسائر الأفراد ينتقد علناً، ويحاسب على كل ما عمله، وفى مثل هذا المجتمع تتفتق المواهب، ويتقدم الاجتماع بكفاءاته إلى الأمام.

الثالث: الاجتماع المتوسط بين الاجتماعين، فلا استبداد إلاً نصفياً، ولا حريات إلاً فى الجمله، وهذا الاجتماع أسبابه مأخوذه من الاجتماعين السابقين كل فى الجمله، كما أن علائمه وآثاره بين الأمرين.

وحيث كانت مزايا الاجتماعات الثلاثه على ما ذكر، المنطلق يتقدم على القسمين الآخرين دائماً، بينما المنبثق منهما يتقدم على المنغلق أبداً.

وقد كان هذا من أسباب تقدم بلاد الإسلام على بلادالعالم إبان ظهور الإسلام، حيث كانت بلاد العالم منغلقه، وبلاد الإسلام منطلقه، كما أن بنفس هذا السبب تقدمت البلاد الصناعيه على بلاد الإسلام فى هذه الحقبه من التاريخ، إذ أن تلك البلاد منبثقه، بينما بلاد الإسلام أصبحت منغلقه.

ثم إن التغيير الاجتماعى يحدث أول ما يحدث فى مؤسسه من مؤسسات الاجتماع، ثم ينتقل إلى مؤسسه ثانيه وثالثه، وهكذا حتى يشمل كل الاجتماع، سواء كان ذلك فى طرف الصعود أو النزول، مثلاً إذا نشطت المؤسسات الدينيه إيماناً وأخلاقاً وعلماً، سرى النشاط إلى المؤسسات الثقافيه، ومنها يسرى إلى المؤسسات الصناعيه، وهكذا حتى يعم المجتمع الإيمان الصحيح والأخلاق الفاضله والعلم الوفير، وإذا جمدت المؤسسه الحكوميه بأن صارت ديكتاتوريه، جمدت المؤسسات التابعه، ثم المستقله، ثم يسرى الجمود إلى الجماعات والأفراد، وينزل الاجتماع، فإن الانطلاق والجمود مثلهما مثل

الماء يتطلب تساوى السطوح.

((جماعات ضد الدوله))

((جماعات ضد الدوله))

ثم إنه قد يقوم جماعه من الناس ضد الدوله، فيسمون فى المنطق الإسلامى بالخوارج، وفى المصطلح حالاً بالمنشقين.

فإن أرادوا الانفصال سموا بالانفصاليين، فإن تمكنت الجماعه التى قامت ضد الدوله من إسقاط الدوله سموا بالثوار. وقد يطلق الثوار على مطلق الخوارج والمنشقين. وإن لم تتمكن من إسقاط الدوله، سموا فى منطق تلك الدوله بالتمردين والعصاه.

وإذا كان الذين قاموا ضد الدوله هم أغلبيه الناس سموا بالثائرين، وسمى عملهم إذا أسقطوا الدوله ثوره، ثم إذا استقر الحكم للثوريين وقام جمع ضد الثوره لإعادته الحكومه السابقه، أو تشكيل حكومه جديده سمي عملهم ذلك بالثوره المضاده.

وقد لا تكون الثوره فى البعد الحكومى، بل فى البعد الاجتماعى، بأن أراد الناهضون تحسين الوضع الاجتماعى، أو الصناعى، أو الزراعى، أو الثقافى، أو السياسى، فإن مثل هذه النهضات تسمى بأسمى أهدافها، فيقال: الثوره الاجتماعيه أو الصناعيه وإلى آخره.

نظرة على الانقلابات العسكريه

نظرة على الانقلابات العسكريه

أما كيف نجد الانقلابات العسكريه فى البلاد المتخلفه، ولا نجدتها فى العالمين الشرقى والغربى، فذلك لأن البلاد المتخلفه _ ومنها بلاد الإسلام فى الحال الحاضر _ فيها تخلف فى جميع أبعاد الحياه، من ناحيه، ومن ناحيه ثانيه هى تحت نير الاستعمار المباشر، أو غير المباشر، وكثيراً ما يتغلب استعمار على استعمار فى تبديل الحكام، أو يريد الاستعمار السابق تبديل وجوه عملائه،

ص: ٥٥

ليكونوا أرضى للشعب، أو يريد أرباحاً أكثر مما لا يسمح العملاء السابقون له بذلك، فيقوم المستعمر بواسطة جماعه من عملائه بالانقلاب في غياب من الوعي الجماهيري ورشد الأمة.

ولذا كان اللازم على المفكرين تنوير الأمة وتوعيتها حتى لا يقع فيها انقلاب، كما أن اللازم بيان أن كل الانقلابات التي وقعت في العالم الثالث _ بما فيها العالم الإسلامي _ كانت من ولائد الاستعمار، مهما أظهر عمال الانقلاب أنفسهم بمظهر النظاره والطهاره والإخلاص.

والدليل على ذلك أنك لا تجد في أى من تلك الانقلابات تحسیناً في حاله الشعب، بل بالعكس كانت كلها سبباً لإجراء سيل من الدماء، وملاً للسجون وتعذيب الأبرياء، وانتهاك أعراض النساء والأولاد، ومصادره الأموال، وتشريد الآمنين، وتحطيم بقايا الحريات، وإلى آخرها.

وقد ذكرنا في المقدمه الطريق إلى نجاه المسلمين من برائن المستعمرين وعملائهم.

أما أنه كيف لا تقع الانقلابات العسكريه في البلاد الشرقيه والغريه:

أما في البلاد الشرقيه فلأن الديكتاتوريه الحاكمه تقمع كل احتمال معارضه بأبشع أنواع القمع، فمثلاً في عهد ستالين قتل من الفلاحين زهاء خمس مائة مليون في تطبيق نظام المزارع الجماعيه، ووصل عدد السجناء والمباعدين إلى معسكرات الاعتقال في سيبيريا إلى أكثر من عشرين مليوناً، والأمر وإن خُف بعد ستالين، إلا أن الحال كذلك إلى الآن، حكومه بوليسيه، وكبت وخنق، والبلد سجن كبير، والناس يقتلون ويسجون بالشك والوهم، ويجبرون على الاعترافات على أنفسهم في أثر تعذيبات شديده وأعمال شاقه، وقد قتلوا من

المسلمين أكثر من خمسة ملايين عند استيلائهم على الجمهوريات الست الإسلاميه، وبعد أن مات ماوتسى تونغ ظهر أن قتلاه أكثر من عشرين مليوناً، وفي كوبا نصف مليون سجين من تسعه ملايين هم مجموع أفراد البلد، وهكذا.

وفي مثل هذه الأجواء من غير المترقب الانقلاب أو الثوره.

وأما في البلاد الغربيه، فإن الدعايه المكذوبه، وشيئاً من الحريه المخدره، وبعض الرفاه النسبي، والضبط البوليسى الشديد لعدم بروز أعمال العنف، أوجب عدم الانقلاب والثوره.

بين حكم السماء وحكم الأرض

بين حكم السماء وحكم الأرض

وإذا قامت دوله إسلاميه حسب موازين الكتاب والسنة، ومثل ما حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى (عليه السلام)، مما وفر للناس الحريه الكامله بما أوجب رفاه الناس كاملاً، وانطلاقهم كما أراد الإسلام، لرأى الناس البون الشاسع بين نمط هذا الحكم، وبين الإنمات للحكومات الغربيه التى تدعى الحريه والرفاه، ولرأوا أن البوليس الإجرامى يقل، والدعايه لا تكون إلاً صحيحه.

وأسس مثل هذا الحكم:

(١) الإيمان بالله واليوم الآخر.

(٢) الأخلاق الفاضله.

(٣) الشورى من القمه إلى القاعده، حتى إن القياده العليا تتكون من المراجع الذين هم المقلدون للأمم، فإن كان للأمم عشره مقلدين كانوا كلهم داخلين فى المجلس الاستشارى الأعلى وهكذا.

(٤) إطلاق كافه الحريات الفكرية والعملية فى جميع المجالات، إلاً

ص: ٥٧

مجال المحرمات، حيث إن المحرم ضار بالنفس أو الغير، ولا حريه للضار.

٥) تعدد الأحزاب الحره السليمه، والتي هي مدارس لتربيته القاده السياسيين.

٦) الاقتصاد السليم الذى لا يولد الرأسماليه المنحرفه، ولا الاشتراكيه الباطله.

٧) الاجتماع الصحيح الذى يتخذ قوانين الإسلام منهجاً فى العبادات والمعاملات والأحوال الشخصيه والعقوبات والقضاء وغيرها.

وحيث قد أزيح حكم السماء عن الأرض ابتلى الناس بالانحراف، وكما قال سبحانه فقد صار للناس: {معيشه ضنكاً} (١)، وقد وصف مثل ذلك الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن الشعار الخوف، والدثار السيف.

وقد صار للاجتماع البشرى بمجموعه الخواص التاليه:

أ: تمركز رأس المال بيد النخبه الحاكمه فى البلاد الشرقيه، والرأسماليين فى البلاد الغربيه، إلى جانب فقر مدقع ومسكنه لا نظير لهما فى التاريخ، شمالا الملايين والملايين من الناس.

ب: سباق التسلح والخوف المطلق، والحروب والمؤامرات، والانقلابات المتتاليه، واستيلاء روح الانتقام والتوحش.

ج: ضعف الإيمان والأخلاق، والتحاسد والتباغض، والفوضى والاضطراب.

د: استيلاء الروح المنفعيه والمصلحيه والانتهازيه على السياسه والاقتصاد والاجتماع وغيرها.

ولا- علاج لشيء من ذلك إلا- برجوع قوانين السماء إلى الأرض: {ومن يؤمن بالله يهد قلبه} (٢)، و {ألا- بذكر الله تطمئن القلوب} (٣).

ص: ٥٨

١- سوره طه: الآيه ١٢٤.

٢- سوره التغابن: الآيه ١١.

٣- سوره الرعد: الآيه ٢٨.

مراحل علم الاجتماع

(مسألة ٨): إذا لاحظنا علم النحو، رأينا أنه يمر بثلاث مراحل:

مرحلة المطالعة لكلمات العرب، ومرحلة كشف القوانين للغة العريية، ومرحلة تنظيم تلك القوانين فى الكتب تنظيمًا عمودياً، بتقديم ما حقه التقديم وتأخير ما حقه التأخير، وأفقياً بترتيب المسائل التى لا ترتب بينها.

وإذا لاحظنا سائر العلوم رأينا فيها المراحل الثلاث، مثلاً- علم الطب يمر بمرحلة ملاحظه الطبيب الأبدان وأمراضها وعلاجها وعلائمها، ثم مرحلة كشف القوانين العامه أو الغالبيه، ثم تدوين تلك القوانين عمودياً وأفقياً.

وكذلك علم الاجتماع له هذه المراحل الثلاث، فالعالم الاجتماعى:

أولاً: يلاحظ الاجتماع، ويدقق فى سير الأمور المرتبطه به تدقيق ملاحظه وإحصاء وكشف، لا تدقيق تجربه وعمل، إذ الاجتماع لا يفعل، وإنما يفعل، بخلاف من يجرب دواءً فإنه يجربه بالفعل، أى يزرعه ويسقيه ماءً زائداً أو ناقصاً، ويقطعه ويعطيه لحيوان ليرى أثره فيه، إلى غير ذلك.

فعلم الاجتماع داخل فى سلسله العلوم الانفعاليه، أى إن العالم يلاحظ، لا العلوم الفعلية فإن العالم الاجتماعى لا يفعل ولا يجرب.

وثانياً: يدرك القوانين المطلقه، مثل قانون (الحسن يحسنه الاجتماع) و(القبيح يقبحه الاجتماع)، وأنه (كلما ارتفعت ثقافه الناس ارتفع اقتصادهم) و(كلما تحسنت أخلاق الاجتماع تقدمت سائر شؤونهم).

أو المقيد، أى بزمان أو

مكان خاصين، مثل: (الولادة في الأرياف أكثر من الولادة في المدن)، و(الثقافة في المدن أكثر من الثقافة في الأرياف) حيث إنه لا تلازم بين الأمرين، وإنما الحكم كذلك غالباً في جملة من المدن والأرياف، لأسباب خاصة سببت هذا الاختلاف.

وثالثاً: يضع عالم الاجتماع القوانين المكتشفه في مدونات خاصه، مرتبه عمودياً وأفقياً، ويخرج علم الاجتماع إلى الظهور.

وقد كان علم الاجتماع قليلاً أو كثيراً منذ القديم منتشرأ في كتب، ثم في القرون الأخيره وضعت له كتب وقواعد وما أشبه، شأنه شأن سائر العلوم التي كانت منتشره ثم جمعت في مدونات خاصه، وتكاملت بكثره البحث والمطالعه.

علم الاجتماع: الموضوع والمسائل والغرض

علم الاجتماع: الموضوع والمسائل والغرض

حيث إن لكل علم موضوعاً، هو جامع موضوعات مسائله، ومحمولاً. هو جامع محمولات مسائله، موضوعاتها صغريات كلى الموضوع، ومحمولاتها صغريات كلى المحمول، وبهذه الوحده الاعتباريه يؤثر ذلك العلم في غرض خاص، هو مورد توجه المدون لذلك العلم، كان لعلم الاجتماع أيضاً تلك الأمور الثلاثه:

أ: فموضوع علم الاجتماع هو (كيفية الحياه البشريه من حيث الاجتماع)، وكما إذا قلنا: إن موضوع علم النحو (الكلمه من حيث نطق آخرها) كانت (الكلمه) موضوعاً للعلم، جامعاً لموضوعات مسائله، و(من حيث نطق آخرها) محمولاً للعلم، جامعاً لمحمولات مسائله، كذلك موضوع علم الاجتماع (كيفية الحياه البشريه) ومحموله (من حيث الاجتماع).

ولا- يخفى أن علم الاجتماع بمعناه الأعم، يشمل الاجتماع الحيوانى أيضاً، مثل حياه النمله والنحله والأرضه وما أشبهها، لكن المهم عندنا الآن علم الاجتماع بمعناه الخاص، أى الاجتماع الإنسانى.

ب: ومسائل علم الاجتماع صغريات ذلك الموضوع والمحمول العامين، مثل البحث عن الاجتماع المتقدم والمتأخر، والصناعى والزراعى وغيرهما، والمتقف والجاهل، والغنى والفقير، والمستعمِر والمستعمَر، إلى غيرها من المسائل الكثيره.

ج: والغرض من هذا العلم كشف القوانين الاجتماعيه العامه أو الخاصه لأجل معرفه الخطأ والصواب فى الاجتماع، حتى يمكن انتشار الاجتماع المتأخر بترشيده الفكرى ليعرف مواقع خطئه فيتجنبها، ولحفظ الاجتماع المتقدم عن الانحطاط بممارسه المناهج الصحيحه دائماً، لحث الاجتماع المتقدم للمزيد من التقدم.

وبذلك ظهر تعريف علم الاجتماع بأنه معرفه القوانين الحاكمه على الحياه البشريه من حيث الاجتماع(1).

مهمه علماء الاجتماع

مهمه علماء الاجتماع

ثم إن العالم الاجتماعى لدى ملاحظته الاجتماع ووضع، حيث يكلف بيان الروابط الاجتماعيه يلزم عليه:

أولاً: بيان:

ص: ٦١

١- لا يخفى أنا لم نلاحظ فى هذا المبحث الدقه المتعارفه فى علم الأصول، لأن المهم كان الإلماع فقط . منه (دام ظلّه).

١: الروابط الأحيائية المبعثره.

٢: الروابط التي يجرى عليها الاجتماع عادةً وتقليداً في شؤونه المتنوعه من ساعه ولادته إلى بعد موته، مما يشبه المؤسسات الدائمه، مثلاً- كل اجتماع له مراسيم خاصه للولاده، ومراسيم خاصه للزواج، ومراسيم خاصه للموت، ومراسيم خاصه للتهنئه والتعزيه، مما يجرى في الاجتماع نسلاً بعد نسل، وكأن تلك المراسيم مؤسسات تحقق خير الإنسان من ساعه ولادته إلى ساعه إهاله التراب مثلاً على قبره.

٣: الروابط الدائره في مؤسساته المختلفه من رسميه أو اقتصاديه أو سياسيه أو غيرها.

وثانياً: بيان مواضع الخطأ والصواب، والحسن والأحسن، والسيء والأسوأ، في تلك الأمور الثلاثه الآنفه الذكر، مثلاً في مراسيم الموت، من عاده بعض الوحوش أكل لحم ميتهم، ومن عاده بعض المبذرين دفنه بأشياء ثمينه، ومن عاده بعضهم حرق ميتهم، ومن عاده بعضهم دفنه في تابوت، كما أن من عاده المسلمين دفنه بعد تنظيفه بالغسل، ولفه في ثوب نظيف كالكفن، إلى غير ذلك، فاللازم على علم الاجتماع أن يبين فلسفه الفساد في الفاسد، والصالح في الصالح، وبذلك يقرب الاجتماع إلى ما يصلحه ويقدمه، ويبعده عما يفسده ويؤخره.

ثم إن علم الاجتماع لما كان يأخذ سير الاجتماع وخصوصياته ومزاياه فهو مجموعه علوم ألغيت فيها جانب مزايا تلك العلوم، وأدرجت في علم الاجتماع، ولذا فاللازم ملاحظه أربعة أمور:

(١) علم الاجتماع من حيث الغرض.

٢) علم الاجتماع من حيث الموضوع.

٣) علم الاجتماع من حيث السند.

٤) علم الاجتماع من حيث الحدود.

علم الاجتماع النظرى والعملى

علم الاجتماع النظرى والعملى

أ: أما علم الاجتماع من حيث الغرض، فإنه ينقسم إلى:

(١) النظرى.

(٢) العملى.

فالأول: هو الذى يعتمد على الذهن أكثر مما يعتمد على الخارج، بأن يأخذ من الخارج أشياء ليكشف بها القوانين العامه الحاكمه على الاجتماعات والمؤسسات الاجتماعيه، من دون نظر إلى كيفية التطبيقات.

بينما الثانى يهتم بالجانب العملى، أى كيف يمكن تطبيق تلك القوانين على الخارج، مثل أنه كيف يمكن إصلاح الاجتماع، وكيف يمكن التخطيط والهندسه للاجتماع، وكيف يمكن القيام بالثوره الاجتماعيه، وإلى آخر مثلهما فى ذلك، مثل من يتعلم قواعد علم الطب، ومن يتعلم كيف يطبق تلك القواعد على الخارج.

علم الاجتماع سعاً وضيقاً

مهمه علماء الاجتماع

ب: وأما علم الاجتماع من حيث الموضوع، فإن العالم الاجتماعى قد يتكلم حول هذا العلم بمعناه العام من دون ملاحظه كل مسأله مسأله على حده، وقد يخصص علمه بمسأله خاصه من هذا العلم، فإنه قد توسعت فروع علم الاجتماع، إلى علم الاجتماع السياسى، وعلم الاجتماع الاقتصادى، وعلم الاجتماع الصناعى، وعلم الاجتماع الزراعى، وعلم الاجتماع القضائى، وعلم الاجتماعى الحقوقى، وعلم الاجتماع الدينى، وإلى غير ذلك.

فالأول: وهو علم الاجتماع بمعناه العام والمطلق، يأخذ من كل علم

من هذه العلوم قدرأً أساسياً، ويتكلم حوله باقتضاب.

بينما الثاني يجعل أى فرع من تلك الفروع موضع هدفه، ويتكلم فيه بأسهاب.

ويلحق بهذا القسم الثاني فرع الفرع، كما إذا أخذ عالم الاجتماع جانب الإنتاج الاجتماعى، أو جانب التوزيع الاجتماعى بالنسبه إلى الاقتصاد، أو جانب الأحزاب الاجتماعيه، أو جانب قدره الاجتماعيه بالنسبه إلى السياسه.

علم الاجتماع من حيث السند

علم الاجتماع من حيث السند

ج: وأما علم الاجتماع من حيث السند، فإن العالم الاجتماعى قد يسند فى استخراج القوانين إلى الوثائق والمدارك التاريخيه، وذلك فيما إذا أراد التحقيق حول (الاجتماع التاريخى).

وقد يسند فى استخراج القوانين إلى الاجتماع الحاضر المشاهد، وذلك فيما إذا أراد التحقيق حول (الاجتماع الحاضر).

وإذا أراد عالم الاجتماع التحقيق حول ما سيكون عليه الاجتماع فى المستقبل كان لابد وأن يسند إلى كلا السندين، لأجل التكهن بالمستقبل فى حدود الإمكان.

علم الاجتماع وسائر العلوم

علم الاجتماع وسائر العلوم

د: وأما الأمر الرابع، وهو علم الاجتماع من حيث الحدود مع سائر العلوم، وبين علم الاجتماع المطلق، وعلم الاجتماع الخاص، فهو على ثلاثه أمور:

(١) بين العلم العام والخاص، أى علم الاجتماع بصوره مطلقه، وعلم الاجتماع السياسى مثلاً، والنسبه بينهما نسبه العموم المطلق، حيث الثانى أخص من الأول، نعم هناك أمور تذكر فى الخاص من حيث الاستيعاب لا

تذكر في العام إلا بالاجمال والإيجاز.

(٢) بين علم الاجتماع العام وعلم الزراعه مثلاً والنسبه بينهما عموم من وجه، حيث إن علم الاجتماع يشمل الزراعه الاجتماعيه والصناعه والسياسه وغيرها، بينما علم الزراعه يشمل هذا العلم سواء من جهته الاجتماعيه أو سائر جهاته.

(٣) بين علم الاجتماع الخاص، مثل علم الاجتماع الاقتصادي، وبين علم الاقتصاد، والنسبه بينهما عمومًا من وجه، حيث إن علم الاجتماع الاقتصادي يلون علم الاقتصاد بلون الاجتماع، بينما ليس هذا موجوداً في علم الاقتصاد، ومن ناحيه أخرى علم الاقتصاد يتعرض لما لا يتعرض له علم الاجتماع الاقتصادي، مثل تاريخ الاقتصاد، وكيفيه تحصيل الدوله لما تحتاجها من المال، وكيفيه صرفه، وأمور البنك، وغير ذلك.

ما يجب ملاحظته في التحقيق الاجتماعي

ما يجب ملاحظته في التحقيق الاجتماعي

بقي شيء، وهو أن من أهم ما يلزم على العالم الاجتماعي في تحقيقاته ملاحظه أمور:

أ: الدقه في التحقيق، فإنه بالإضافة إلى أن العلم أمانه، والخيانه من أشد المحرمات الشرعيه العقلية، قال سبحانه: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (١٧).

ص: ٦٥

١- سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

إن عدم استقامه القوانين والنظريات الاجتماعيه ينتهى إلى ظلم الناس، وذلك محرم عقلاً وشرعاً أيضاً، مثلاً لو لم يحقق العالم الاجتماعى فى الفوائد الاجتماعيه لتعدد الأحزاب، مما حَبَد وحده الحزب اجتماعياً انتهى إلى الديكتاتوريه الموجه لهدر الأموال والأعراض والدماء، فإن العلم يأخذ طريقه إلى العمل غالباً.

قال سبحانه: {وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ} (١).

وقال سبحانه: {وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} (٢).

وقال سبحانه: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} (٣).

ب: عدم التعصب، فإن المحقق كثيراً ما يقع تحت نير التعصب، وذلك يحرف تحقيقه مما له آثار سيئه، ولا فرق فى ذلك بين التعصب لبلده أو قومه أو دينه أو جماعته أو غير ذلك.

ج: عدم تأثير القدره عليه، سواء فى الحكومات الديكتاتوريه بسبب المال والسلاح، أو فى الحكومات الاستشاريه بسبب المال والجاه، ولذا نرى سقوط كثير من المؤرخين لأجل تزلفهم للسلطات خوفاً أو طمعاً، فلا عبره بتوارىخهم، وهكذا حال غير المؤرخ من العلماء الذين يتأثرون بالقدره، ويصبحون فقهاء البلاط، أو وعاظ الملوك، أو شعراء وكاتب الأمراء.

د: عدم تأثره بالدعايه والأجواء، فإن عدم الاحتياط والحزم والدقه يسقط العالم فى الأجواء المصطنعه، بدعايه أو غيرها، فإن ذلك أيضاً يوجب

ص: ٦٦

١- سورة العنكبوت: الآية ١٣.

٢- سورة النحل: الآية ٢٥.

٣- سورة الإسراء: الآية ٣٦.

الانحراف المسقط العالم الاجتماعي، وغيره عن درجه الاعتبار ديناً ودنياً.

وقد ورد في الحديث: «رحم الله امرأً عمل عملاً فأتقنه»^(١).

وورد أيضاً: «من أبدى صفحته للحق هلك»^(٢).

وقال سبحانه: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} ^(٣).

وفي الحديث: «فلا يغرنك طنطنه الرجال من نفسك»^(٤).

ص: ٦٧

١- الأمثال النبويه: ج ٢ ص ١٠٣.

٢- ال كافي: ج ٨ ص ٦٧.

٣- سورة البقره: الآية ٧٩.

٤- نهج البلاغه: الخ طب ١٣٢ وف يه: (فلا يغرنك سواد الناس من نفسك).

مستلزمات إتقان التحقيق الاجتماعي

(مسأله ٩): المحقق الاجتماعي يلزم عليه لإتقان المسأله أمور:

((منطلق التحقيق))

((منطلق التحقيق))

الأول: انتخاب منطلق تحقيقه، فإن المنطلقات المختلفه تؤدي إلى النتائج المختلفه، وذلك يؤدي كثيراً ما إلى الخطأ، حيث إن المنطلق يكون منحرفاً.

مثلاً قد يرى المحقق بلداً فيه حريات النقد والكتابة والإذاعه والتلفزيون والكسب والانتخابات وما أشبهه، ومن هذا المنطلق المرئى يقول بوجود الحريات فى البلد الفلانى، بينما أن المنطلق ليس ما يرى، بل المنطلق هو البنيه الاجتماعيه للمجتمع، فإذا لو حظت تلك البنيه يجد أن تلك الحريات مزيفه، وأن الناس يعيشون تحت الكبت، حالهم حال المخدر الذى يظن أنه سالم، لكن التخدير أورثه هذا الزعم، وإنما هو فى أشد حالات المرض، فمثلاً الرأسماليه المنحرفه مسلطه على ذلك البلد، فقبضت كل شىء، فالنقد حر لكن لغير رأس المال، والانتخاب حر لكن لا يفيد حريه الإنسان بعد أن اشترت رأس المال الضمائر، والكلام حرّ لكن يخاف المجتمع من الكلام حيث إن من ورائه الأخطبوط الذى يسبب الازدراء بكل كلام ضد رأس المال، وهكذا، وقد ذكرنا شيئاً من تفصيل ذلك فى كتاب الاقتصاد.

بينما المحقق الاجتماعي إذا اختار المنطلق من الحريات الواقعيه، والتي لم يسيطر عليها الأخطبوط، ذهب إلى عدم الحريه الواقعيه فى ذلك البلد، وإنما فيه سراب حريه خادع، وشبح لا روح له ولا حول ولا طول.

الثانى: تشخيص مفردات البحث، وإلا لوقع فى الخطأ، على ما ذكروا فى علم المنطق.

مثلاً- إذا قيل هل البلده الفلانيه ديمقراطيه أم لا، أو الحكومه الفلانيه ديكتاتوريه، أو الجمعيه الفلانيه وطنيه، لولم يحقق المحقق حول الكلمات الثلاث بكل دقه ويبين حدودها، لوقع فى نتائج مغلوطة.

ففى (الديمقراطيه) لم لو يحقق أنها عباره عن الحريه الكامله فى الانتخاب، بدون تأثير جو أو دعايه أو مال أو ما أشبه، لزعم أنها ديمقراطيه، بينما الواقع أنها ليست كذلك.

وفى (الديكتاتوريه) لو زعم أنها ما يقابل البلد الذى فيه مجلس الأمه وصحف حره وما أشبه، لقال بأنها ليست ديكتاتوريه، بينما أحياناً الديكتاتوريه تغلف بثوب مهلهل من الحريات، يعرفها المدقق ويغفل عنها السطحى، فاللازم على المحقق الاجتماعى أن يحقق أولاً عن معنى كلمه (الديكتاتوريه) ثم يصدر حكمه بأن البلده ليست ديكتاتوريه.

و(فى الوطنيه) إن زعم أنها ما تكون أفرادها متجنسين بجنسيه الوطن، رأى أن الجمعيه وطنيه، أما إن حدد الكلمه بأنها ما تخدم الوطن، تغير رأيه حيث كانت تلك الجمعيه لا تخدم الوطن.

ومن هنا زعم كثير من المسلمين أن قوله (عليه السلام): «حب الوطن من الإيمان»، يراد به الوطن الجغرافى الذى حدد حدوده الاستعمار فى القرن الأخير، ولذا يطلقون كلمه (الأجنبى) على غير من كان فى تلك الحدود، بينما الوطن فى الحديث (الوطن الإسلامى)، والأجنبى من لم يكن مسلماً، وإن كان آباؤه منذ ألف سنه فى هذا البلد.

الثالث: اتخاذ النماذج المختلفه فى إرادته إصدار الأحكام الكليه الغالبية، إذ لما كان الإحصاء التام غير ميسور غالباً، يكتفى المحقق الاجتماعى باتخاذ النماذج، فقد يتخذها من رديف واحد، زماناً أو خصوصيه، وحينذاك لا يصح الحكم كلياً، وقد يتخذها من مختلف الأردفه، فيكون الحكم الكلى قريباً من الصواب.

ففى مثال الزمان، إذا أراد المحقق أن يحكم على أهل قطر كذا بالذكاء أو الغباء، لم ينفع أن يأخذ الإحصاء عن معاصريه فقط، بل اللازم أن يسبر غور التاريخ، فإذا رأى فى جملة من الأزمنه ذكاءهم، قال بأنهم أذكاء، وإلا لم يحكم بذلك.

وفى مثال المكان، إذا أراد أن يحكم بأن القطر الفلانى حسن المناخ أو سيئه، لم ينفع أن يجد أحدهما فى عشره من المائه من أماكنه، بل ولا الخمسين فى المائه، وإلا كان حكمه اعتباراً.

وفى مثال سائر المشخصات إذا أراد أن يحكم أن الشباب فى البلد الفلانى مائلون إلى العلم، لا ينفع أن يأخذ أمثلاً من شباب الأغنياء أو شباب الفقراء أو شباب الأحزاب، بل اللازم أن يأخذ عينات من كل الفئات حتى يكون حكمه غالبياً كلياً اصطلاحاً.

الانتخاب الدقيق للجمل

الانتخاب الدقيق للجمل

الرابع: الانتخاب الدقيق للكلمات والجمل التى يريد البحث حولها، حتى لا تسبب كتبه ومقالاته، ضلالاً وتحريفاً، فإن الكلمات الرجراجة والجمل المهلهله ذات الاحتمالات والمحامل تؤدى إلى الانحراف فى السامع والقارئ،

مثلاً- إذا قال: بأن المجتمعات التي وصلت إلى تساوى الحقوق بين أفرادها تعيش حياةً أكثر سلاماً ورفاهاً من غيرها، لم ينفع ذلك عن الانزلاق.

إذ هناك سؤال، هل المراد بالتساوى المماثلة أو العدالة، إذ كل واحد منهما قد يستعمل فى المقام الآخر، فإن بينهما عموماً من وجه.

وإذا قيل العدالة، فهل العدالة بالنسبة إلى رؤساء العوائل، أو افراد العائلة، وهكذا.

ثم يتساءل ما هو المراد من الحقوق، فهل المراد الحقوق السياسيه، أو الحقوق الاقتصادية، أو الحقوق الاجتماعيه، أو المراد كافه الحقوق، وإذا كان المراد الحقوق السياسيه، فهل السياسه عموماً، أو حق الانتخابات، أو حق الحكم والإداره.

كشف الأسباب والمسببات والملازمات

كشف الأسباب والمسببات والملازمات

الخامس: كشف الأسباب والمسببات والملازمات، وعلى قول الفلاسفه والأصوليين: العلل والمعلولات والملازمات، أو اللازم والملزوم والملازم، فإن الدنيا عالم الأسباب، وأبى الله أن يجرى الأمور إلا بأسبابها، وفى القرآن الحكيم: {ثم اتبع سبباً} (١)، وأصول ذلك يرجع إلى خمسة أمور:

أ: هل الشىء الفلانى عله، فإن المحقق الذى يريد كشف القانون يلزم أن يلاحظ أن الظاهره الاجتماعيه مسببه عما ذا، فإذا لاح فى ذهنه فرضيه يدقق ويتساءل: هل الشىء الفلانى عله، مثلاً رأى هياج الاجتماع، فيتساءل هل الأمر الاقتصادى عله لهذا الهيجان، بأن كان السبب تدنى الأجور وتضخم السلع.

ب: فإذا تحقق لديه أن السبب الأمر الاقتصادى يتساءل: هل هو وحده السبب، لإمكان أن يكون شىء آخر معه أيضاً، مثل بعض العوامل السياسيه مما يسبب الهيجان.

لا يقال: لا يمكن تأثير سببين فى سبب واحد.

ص: ٧١

لأنه يقال: إذا صار اثنين كان كل واحد جزء السبب، كما أن الرصاصه إذا كانت قاتله فتعددت صارت كل واحده جزء سبب القتل.

ج: فإذا تحققت العله واحده أو أكثر، كان على المحقق أن يتساءل: وهل للعله عله، وهكذا حتى ينتهى إلى جذور الظاهره، مثلاً ظهر له أن الهيجان لأجل قله المعاشات المسببه عن التضخم، فيتساءل: وما هى أسباب التضخم، فيصل إلى أنه من جهه صرف الدوله أموالاً طائله لأجل الحرب، فيتساءل: ولماذا الحرب، وهكذا.

د: وبعد الوصول إلى جذور المشكله، يأتى دور آثارها، وآثار آثارها، فإن المعلول قد يكون بدوره عله لشيء آخر، ففى المثال السابق حيث الهيجان يتساءل: فما هو آثار الهيجان، فإذا أجيب: مظاهرات وإضرابات، تساءل مره أخرى: وإلى ماذا تنتهى المظاهرات والإضراب، هل تقابلها الحكومه بالشده لتملاً السجون والمستشفيات والمقابر، وإلى غير ذلك.

هـ: وأخيراً يأتى دور التحقيق عن الملازمات، سواء للظاهره، أو لأسبابها، أو لمسبباتها.

ففى المثال السابق، المظاهره تلازم فصل المديرين جماعه من العمال عن أعمالهم، مما يوجب تفشى البطاله، والفرق بين المعلول والملازم واضح، فإن العله والمعلول فى سلسله واحده، بينما الملازم فى عرض المعلول، مثلاً نور النهار وحرارته ليس أحدهما عله للآخر، وإنما كلاهما معلولان لعله ثالثه هى إشراق الشمس مثلاً.

ثم إن الإنسان بالتعقل والتفكر والتجربه يصل إلى هذه الأمور، فاللازم أن يكون المحقق متأنياً دقيقاً، يلاحظ الأشباه ويقارن الاضداد حتى يستخلص الواقع.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «العقل حفظ التجارب، وخير ما جربت

ما وعظك»(١).

وقال (عليه السلام) في كتاب له إلى أبي موسى الأشعري: «فإن الشقى من حرم نفع ما أوتى من العقل والتجربه»(٢).

وقال (عليه السلام): «الفكر مرآة صافيه»(٣).

ص: ٧٣

١- نهج البلاغه: قصار الحكم ١٩١.

٢- نهج البلاغه: الخطب ٧٨.

٣- نهج البلاغه: قصار الحكم ٣٦٥.

العوامل المؤثره فى الفرد

(مسأله ١٠): إذا أردنا أن نعرف الاجتماع يلزم علينا أن نعرف كيف يتولد الاجتماع، وكيف يعيش، وكيف يصعد ويهبط، وكيف يضعف ويقوى كماً أو كيفاً.

فنعول: الاجتماع مركب من أفراد، وحالات الأفراد تتجلى فى الاجتماع، ولذا يلزم أن نعرف أول ما نعرف ما هى العوامل المؤثره فى الفرد.

إن العوامل المؤثره فى الأفراد _ على الأغلب _ أمور عشره:

١: الجسم

١: الجسم

الأول: جسمه الظاهر، فإن التركيب الخاص ببدن الإنسان مما يؤثر فى سلوكه وأعماله واجتماعه، فلو كان الإنسان مثل الفيل، أو مثل الطير، أو مثل السمك، أو مثل النمل، لكان اجتماع الإنسان بغير هذه الصوره الحالیه، وإن كان فى داخل ذلك الإنسان المفروض نفس العقل والغرائز الموجوده الآن فى داخل هذا الإنسان بهذا الشكل.

كما أن تلك الحيوانات التى مثل بها إذا كانت فى غير تلك الأشكال، لكان لها حياه بغير هذه الحياه التى تعيشها الآن، مثلاً لو كان النمل بقدر الحمام هل كان يعيش فى ثقب البيوت، أو هل كان يقتنع بجمع ذرات الطعام، ولو كان الفيل ذا أجنحه، هل كان يعيش كما يعيش الآن.

إن نطفه كل حيوان أو نبات بأيه كيفية كانتا، لا يبد وأن تشتمل على أربعة أجهزه (قوى)، هي التي تسيّر الحيوان من بدء تكونه إلى يوم وفاته، وكذلك هذه الأربعة موجوده فى داخل كل نطفه مثمره، وفى نطفه الإنسان أيضاً:

١: الجهاز الذى لا يترك الجسم ليكبر عن قدره المقدر له، أو يصغر عن ذلك، فمثلاً العصفور لا يبقى بقدره جواده، ولا يكبر إلى أن يكون بقدر الحمام، وكذلك قل فى التفاح إنه لا يبقى صغيراً بقدر لوزه، ولا يكبر بقدر دابوعه، والإنسان لا يبقى صغيراً بقدر أرنبه، ولا يكبر بقدر الخرتيت، أليس كل ذلك بسبب جهاز مخفى يترك الشىء إلى أن يصل قدره، ثم يمسه أن يتجاوز عن ذلك القدر.

٢: الجهاز الذى يحفظ الجسم عن خروجه عن التوازن المقدر بين أعضائه، مثلاً يد الإنسان لا تكبر بقدر ذراعين، ولا تبقى بقدر نصف ذراع، وعينه لا تأخذ مسافه بقدر الحاجب، ولا تبقى صغيره بقدر حمصه.

٣: وجهاز يلاحظ الكيفيه، فلا يسود الجسم فى الإنسان الأبيض، ولا يبيض فى الإنسان الأسود، وإن أكل الأول طول عمره الأشياء السود مثل التوت الأسود، والثانى الأشياء البيض كاللبن، لكن بشرط توفر المواد الحتاج إليها البدن فى تلك الأطمعه، وكذلك بالنسبه إلى الجميل لا ينقلب قبيحاً، وبالعكس، وحمرة الشفه، وسواد العين، وبياض أطراف الحدقه، إلى غير ذلك لا تتغير إلا فى حالات مرضيه، ليس الكلام فيها الآن.

٤: وجهاز يحفظ التوازن بين الذكر والأنثى فى حدود إمكانه، فلو لم تلد النساء خمسين سنه رجلاً أو امرأه لانعدم النسل، وكذلك فى الحيوان، أليس ذلك وليد جهاز خاص فى داخل أبدان الآباء أو المواليد يحفظ هذا

التوازن بما يمكن للإنسان ضبطه نسبياً.

وقد قال سبحانه: {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى} (١).

٢: الغرائز

٢: الغرائز

الثاني: الغرائز، فإن كل إنسان فطر على غرائز خاصة هي حقائق في داخله، تبعث على صفات خاصة، وقد سماها القرآن الحكيم فطره، فقال: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} (٢).

أليس الكرم والشجاعة والرافة وما أشبه صفات نابعه من داخل الإنسان، فكما أن الجسم يتلون بمختلف الألوان _ والتي عدت إلى خمسة وعشرين مليون لون _ كذلك النفس لها ألوان.

وفي الأحاديث: «إن الله خلق العقل والجهل، وأعطى كل واحد منهما جنوداً» (٣).

أليس ذلك حقيقه، وإلا فمن أين هذه الصفات.

كما أنا نشاهد أن في الحيوان أيضاً غرائز مختلفة.

أما قابلية الإنسان تغيير غرائزه دون الحيوان، فلعل ذلك لأن غرائز الإنسان خلقت هكذا دون غرائز الحيوان، أو لعل الحيوان قابل أيضاً لكنه بحاجة إلى وسائل صعبه ومدد طويله، مما ليس للإنسان كذلك، أو غيرهما.

٣: العقل

٣: العقل

الثالث: العقل، وهو ما يحسه الإنسان في باطنه، حيث يجد التنازع في

ص: ٧٦

١- سورة طه: الآية ٥٠.

٢- سورة الروم: الآية ٣٠.

٣- أصول الكافي: ج ١ ص ٢١.

كثير من الأمر بين نزعه الخير ونزعه الشر، ومن الواضح أن الذات الواحده لا اثنيه فيها حتى تكون أمره رادعه.

وقد وردت في الأحاديث أن أول ما خلق الله العقل، ثم قال له: «بك أثيب وبك أعاقب»^(١)، فالسارق مثلاً في داخله شيء يأمره بالسرقه، وآخر ينهاه عنها، ومن يريد بناء مسجد يقع بين ذلك الأمر والزاجر.

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ما تقدم من الأمور الثلاثه في جمله من كلماته.

فقال (عليه السلام): «أنشأ الخلق إنشاءً وابتداءً، بلا رويه أجالها، ولا تجربه استفادها، ولا حركه أحدثها، ولا همومه نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولا م بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها، علماً بها قبل ابتدائها»^(٢).

وقال (عليه السلام): «فجعل منها صورته ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول... فمثلة إنساناً ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرف بها، وجوارح يستخدمها، وأدوات يقلبها، ومعرفه يفرق بها بين الحق والباطل، والأذواق والمشام، والألوان والاجناس، معجوناً بطينه الألوان المختلفه، والأشبه المؤتلفه، والأضداد المتعاديه، والأخلاق المتباينه، من الحر والبرد، والبله والجمود»^(٣).

٤: الوراثة

٤: الوراثة

الرابع: الوراثة، فإن الإنسان كسائر الحيوانات يرث من أبويه كثيراً من

ص: ٧٧

١- بحار الأنوار: ج ١ ص ٩٧.

٢- نهج البلاغه: الخ ط ١.

٣- نهج البلاغه: الخ ط ٤٢.

الصفات والمزايا والخصوصيات مما يؤثر في حياته وطريقه أعماله، وقد ورد في الحديث: «الولد سرّ أبيه».

وفي حديث آخر: «العرق دساس»^(١).

وفي كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده محمد: «أدر كك عرق من أمك»^(٢).

إلى غير ذلك.

وقد أكد ذلك جمع من العلماء، بل إن بعضهم ذهب إلى أبعد من ذلك، من أن الإنسان يرث معظم الصفات، إلا أنها لا تظهر إلى الفعلية، بل تبقى كامنه لضغط العوامل الأخر على هذا العامل.

٥: القوم

٤: الوراثة

الخامس: القومية الخاصة، فإنها إطار أعم من إطار الوراثة، مثلاً الولد يشبه أبويه، وفي نفس الوقت يشبه قومه، وهذا شيء حفل به التاريخ الغابر والمعاصر، فبنو هاشم كانوا كرماء حلماء شجعان، بينما بنو أمية كانوا بخلاء لثماء أصحاب حيل ومكر وخداع.

وليس المراد بالقومية الرسوم والآداب والعادات غير المرتبطة بالعرق، بل بالتربيته، فإن ذلك من عامل خارجي، وإنما الكلام الآن في العامل الداخلي، حتى إذا ربي إنسان أجنبي مع قوم كانت له تلك الآداب والرسوم، ولكن لا تكون له تلك الصفات القومية.

ومن قبيل القومية، أن الإنسان من أي فصيل من فصائل البشر، الفصيل الأبيض أو الأسود أو الأصفر، فقد قسم جمع من علماء الاجتماع كل البشر

ص: ٧٨

١- مكارم الأخلاق: ص ١٩٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٩٨.

إلى هذه الفصائل الثلاث، وبعضهم قال بأنه أكثر، والمهم في البحث أن هذا الإطار العام أيضاً يؤثر في كيفية الإنسان الباطنية، كما يؤثر في كفيته الظاهرية.

بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، وقال بأن الذكاء يختلف في هذه الأجناس، لكن هذا ما لم يقم عليه دليل قطعي.

أما جمال الظاهر فمن الطبيعي أن ترى كل جماعه نفسها أجمل من غيرها، فالأسود يرى الجمال في السواد، بينما يرى الأبيض عدم الجمال في ذلك.

وهل هو حقيقي كالجمال، أم اعتباري في الجملة، أو واقعي، وإنما العاده سببت تحريف الذوق، احتمالان.

أما قوله سبحانه: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ} (١)، و {فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (٢)، فلا يستفيد منها الإطلاق، وإنما على نحو القضية الطبيعية، أو بالقياس إلى غير الإنسان.

بل قد ذهب بعض الحكماء، أن كل المخلوقات في غاية الجمال، والمجموع من حيث المجموع جمال المجموع، فحتى العقرب والرتيلاء جميلتان، وإنما حيث ينظر الإنسان إليهما نظر الاشمئزاز والتنفير يراهما قبيحتين، {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ} (٣).

٦: الدين

٦: الدين

السادس: الدين، فإن له أهميه كبرى في التأثير في الفرد، ثم التأثير في الاجتماع، ولذا نشاهد الفرق الشاسع بين المجتمع المتدين بدين والمتدين بدين آخر، وبينهما وبين المجتمع اللاديني.

ومن جراء ذلك نشاهد أن الخطط التي توضع لمجتمع ما، لا تصلح لمجتمع آخر، إذا كان الثاني بلون

ص: ٧٩

١- سورة غافر: الآية ٦٤.

٢- سورة المؤمنون: الآية ١٤.

٣- سورة الملك: الآية ٣.

غير لون الأول، مثلاً وضع الدكتور شاخت خطه للتنمية الاقتصادية في ألمانيا فنجحت نجاحاً باهراً، بينما وضع نفس الدكتور خطه مشابهه للتنمية في إندونيسيا، ففشلت فشلاً ذريعاً، ولم يكن السبب إلا- أن المجتمع الإندونيسى مجتمع إسلامى دينى، بينما المجتمع الألمانى مجتمع مسيحي علمانى.

ولا يخفى الفرق بين الدين المرتبط بالحياه كالإسلام، حيث له مناهج فى كل الشؤون، وبين غير المرتبط كالمسيحيه، ففي مثل الأول يلزم أحد الأمرين: إما انسلاخ المجتمع عن الدين حتى يتمكن منهاج موضوع على خلاف الدين من النفوذ، وإما أن يفشل المنهاج، قريباً أو بعيداً، حيث إن الأصول تصادم التطبيق. والأصول _ لكونها عقده فى جذور الإنسان وتحملها المليارات من الكتب _ ليست قابله للسقوط، وإنما يسقط المنهاج الموضوع.

وهذا هو سر ما نشاهده من تصادم الشعوب الإسلاميه مع حكوماتها، مما يسبب أن تعيش الحكومه فى عزله من الشعب إلى أن تسقط، وعند سقوطها تكون للشعب فرحه كبرى بزوال الطاغوت.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن الله تعالى خصكم بالإسلام، واستخلصكم له، وذلك لأنه اسم سلامه وجماع كرامه، اصطفى الله تعالى منهجه، وبيّن حججه، من ظاهر علم، وباطن حكم، لا- تفنى غرائبه، ولا- تنقضى عجائبه، فيه مرايبع النعم، ومصاييح الظلم، لا- تفتح الخيرات إلا- بمفاتيحه، ولا تكشف الظلمات إلا بمصاييح، قد أحمى حماه، وأرعى مرعاه، فيه شفاء المشتفى، وكفايه المكتفى»(١).

وقال (عليه السلام): «فمن يبتغ غير الإسلام ديناً، تتحقق شقوته، وتنقص عروته،

ص: ٨٠

وتعظم كبوته، ويكن مآبه إلى الحزن الطويل، والعذاب الويل»(١).

وقال (عليه السلام): «لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضر منه»(٢).

٧: الثقافة

٦: الدين

السابع: الثقافة، فإنها حيث تبين للناس رسم الحياه، التي يمكن أن يتجنب فيها الأخطار، بل الحياه السعيده إلى أن يصل إلى الحياه التقدميه، توجب توجيه الإنسان.

والمراد بالثقافه: أعم عن التي تعلمها من بيته أو مدرسته أو محيطه، أو اكتسبها هو بفكره وتجربته.

وما يقال: من أن (ولد العالم نصف العالم)، يراد به أنه رأى أباه كيف يعمل فتعلمه، والمراد أن العلم نظري وعملي، والعملى يستوعبه الإنسان من أبيه العالم، كما أن ما يقال: (لا أدري نصف العلم)، يراد به أن العلم نصفان، نصفه أن تعلم أنك تعلم، ونصفه أن تعلم أنك لا تعلم، في قبال الجهل المركب.

وقد ورد في الحديث: «إن لقمان (عليه السلام) كان كثير التفكير».

كما ورد في أبي ذر (رضوان الله عليه): كان أكثر عبادته التفكير(٣).

فالفكر يعطى الإنسان معرفه الأسباب والمسببات، وارتباط الأشياء بعضها ببعض، وطرق النجاح والفشل، والفكر مثله مثل القائد الأمر، بينما العمل الجوارحى مثله مثل التابع المأمور، ولذا ورد: «فكر ساعه خير من عباده سبعين سنه»(٤).

وورد: «إنما الأعمال بالنيات»(٥).

ص: ٨١

- ١- نهج البلاغه: الخ ط ١٦١.
- ٢- نهج البلاغه: قصار الحكم ١٠٦.
- ٣- بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٢٦.
- ٤- بحار ال أنوار: ج ٦٨ ص ٣٢٦.
- ٥- الوسائل: ج ١ ص ٣٤ الباب ٥ من أبواب مقدمه العبادات ح ٧.

إلى غير ذلك.

والسعداء لم يسعدوا إلا بالفكر الصالح الذى تعقبه عمل صالح، والأشقياء لم يشقوا إلا بالفكر الفاسد الذى تعقبه عمل فاسد، وقد تكرر فى القرآن الحكيم: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} (١)، فالإيمان فكر ونيه وعزم، والعمل الصالح ما يتبع ذلك.

٨: الأسوه

٨: الأسوه

الثامن: الأسوه، فإن الإنسان يتأسى فى أعماله بمثال أو أمثله، ويجعل تلك منهجاً لعمله، ولذا نجد الصالحين يتبعهم رعييل من الصالحين، وبالعكس من ذلك الفاسدين.

وفى القرآن الحكيم: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} (٢).

وقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (٣).

وفى كلام للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «فليتأس متأسٍ بنبيه وإلا فلا يأمنن الهلكه» (٤).

ولعله لذا ورد: «من سنّ سنه حسنه كان له أجرها وأجر من عمل بها، ومن سنّ سنه سيئه كان له وزرها ووزر من عمل بها» (٥).

ص: ٨٢

١- سورة البقره: الآيه ٢٥.

٢- سورة الممتحنه: الآيه ٤.

٣- سورة الأحزاب: الآيه ٢١.

٤- مكارم الأخلاق: ص ٩.

٥- مشكاه الأنوار: ص ٢٤٧.

التاسع: المحيط الطبيعي، فإنه يؤثر في الإنسان تأثيراً كبيراً، فكل إنسان كثيراً ما يكيف حياته على طبيعته، إما تكيفاً طبيعياً، وإما اصطناعياً.

فالأول: مثل تأثير المناطق الإستوائية في لون بشره الإنسان، بينما ليس كذلك تأثير المناطق غير الاستوائية، وإذا سمن إنسان من الإستواء في المناطق غير الحاره لم تمر أجيال منه إلا ويعتدل لونه، والعكس بالعكس.

وكذلك من التأثير الطبيعي كون الأمزجه حاره في الإستوائيه، بلغميه في القطبيه، وبينهما في غير المناخين المذكورين.

وأمرض المناطق المختلفه تختلف حسب المحيط الطبيعي، كما أن الحضارات ازدهرت في الأماكن الملائمه، لا- القطبيه والإستوائيه، لأن المناخ المناسب يعطى للإنسان فرصه تكوين الحضاره وتكملها، بينما المناخ غير المناسب لا يلائم ذلك.

وقد أرسل الأنبياء (عليهم السلام) بكثره في الشرق الأوسط، وقال سبحانه: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (١)، حيث قال بعض المفسرين: البر كه بالأنبياء، وورد في الحديث: إن موسى (عليه السلام) كان معه سبعون نبياً (٢).

ومن الواضح، وجود النشاط في الربيع والخريف بما ليس مثله في الشتاء والصيف، وقد ورد: «توقوا البرد في أوله، وتلقوه في آخره، فإن أوله يورق، وآخره يحرق، وإنه يفعل بأبدانكم كما يفعل بأشجاركم» (٣).

والذين يسكنون القطب يصنعون البيوت من الجليد، بينما سكان الغابات

١- سورة الإسراء: آيه ١.

٢- بحار الأنوار: ج ٤ ص ٤٧.

٣- راجع نهج البلاغه: قصار الحكم ١٢٨.

يصنعونها من الخشب، وسكان البادية يصنعونها خباءً، من الجلد تاره، ومن الوبر والصفوف اخرى، أما سكان الجبال والغابات من المتوحشين فيسكنون الكهوف ورؤوس الأشجار، ومن على الضفاف يصنعون بيوت الطوب والآجر والطين.

أما أكل سكان سيوف البحار فالسمك، بينما سكان الواحات والمعاشب يأكلون لحم الأغنام، أما سكان الغابات فيأكلون مختلف أنواع الصيد، وكل يعمل أدواته مما عنده، فسكان الغابه يعملونها من الأخشاب، بينما سكان الجبال ونحوها يصنعونها من الأحجار، وأهل الحضارات من المعادن.

وفى مراكزهم يستفيد كل مما لديه من أوعال وأحمره وجمال وأفراس ونحوها.

وملبس كل حسب ما يجده عنده، من جلد حيوان، أو قطن أو صوف أو أوراق أشجار متينه.

وهكذا الاستفاده من الأدوية تختلف حسب اختلاف المناطق، فلكل منطقه أدويه خاصه لا يلائم أهل تلك المنطقه إلا تلك الأدوية.

١٠: المحيط الاجتماعى

١٠: المحيط الاجتماعى

العاشر: المحيط الاجتماعى، حيث يؤثر الاجتماع فى الإنسان تأثيراً كبيراً، وكلما كان الاجتماع أكبر، كان تأثيره فى الإنسان أكثر.

ويكون من كبر الاجتماع اتصاله بالوسائل الحديثه باجتماعات آخر، بالحركه أو الاستماع أو المشاهده، بل وحتى بالتجاره والزراع، فإنه إذا نقلت بضائع ومصنوعات وحبوب من بلد آخر إلى بلد الإنسان تعلم منها التقدم والتطور.

فإن الإنسان للغريزه المودعه فيه من حب البقاء وحب التطور، يقتضى دائماً ما يقيه وما يقدمه، فإذا رأى شيئاً يصادم أحدهما تجنبه، وإذا رأى شيئاً

يمده فى أحدهما اتخذه، والاجتماع حيث يمتلأ بالمصادمات وأسباب التقدم يسبب انسحاب الإنسان عن ميادين المصادمه، وسيره إلى ميادين التقدم.

فهو بين انفعال وفعل، حاله حال من فى الغابه يهرب من الأسد، ويتقدم لقطف الثمر، وكما أنه لو لم يكن أسد ولا ثمر لم يهرب ولم يتقدم، كذلك إذا لم يكن اجتماع لم يكن هرب عن مصادمات الاجتماع، ولا تقدم إلى مواضع الفائده.

لا للأنايه والعصبيات

لا للأنايه والعصبيات

بقى أمران:

أ: فى الأفراد غير الناضجين تؤثر الأنايه والتعصب القومى والتعصب الجغرافى، وكل ذلك يؤخر الإنسان، فالأنايه الفرديه والقوميه والجغرافيه، ستر يحجب بين الإنسان وبين مصالحه، فلنفرض أن الإنسان طيب وابتلى بمرض لا يفهمه، فهل خير له أن يراجع طبيباً يفهم مرضه ولو من غير قومه ومن غير محل سكناه، أو يتعصب فيعمل بمداواه نفسه، أو إلى طبيب قومه، أو طبيب محل سكناه، والحال هكذا فى كل الأمور العلميه والصناعيه وغيرها.

أما ما نشاهده من تقديم العقلاء بضائع أنفسهم على بضائع غيرهم، فليس ذلك إلا لأجل موازنه أهم، فهم فى الحقيقه أيضاً يرجعون إلى الأصلح لا إلى الفاسد لأجل الأنايه.

والحال كذلك بالنسبه إلى القضاء للقريب والقوم ومن محل السكن، قبل تبين الحق، أو بعد تبين أن الحق ليس لهم.

وكذلك بالنسبه إلى غلق أبواب البلاد أمام العلم، أو أمام الغير ممن

يسمونه بالأجنبي في غير المصطلح الإسلامى، مع أن ضرر كل ذلك يعود إلى الإنسان نفسه.

ومن هذا القبيل صنميه الأحزاب والمنظمات والجمعيات، حيث إنها تطرد الغير وإن كان صالحاً، وتمدح الذات وإن كانت طالحة.

وقد ذكر الإسلام نصوصاً كثيرة في مضاده هذه الأمور، والتي لا- تنتهى إلا- بضرر الفرد والجماعة، ففي القرآن الحكيم: {لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} (١).

وقال سبحانه عن لسان شعيب (عليه السلام): {وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَبَعِيدٍ} (٢).

وقال تعالى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (٣).

وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (٤).

وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (٥).

وقال على (عليه السلام): «إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق» (٦).

ص: ٨٤

١- سورة الأعراف: الآية ٨٥.

٢- سورة هود: الآية ٨٩.

٣- سورة المائدة: الآية ٢.

٤- سورة المائدة: الآية ٨.

٥- سورة النساء: الآية ١٣٥.

٦- نهج البلاغة: الكتب ٥٣.

وفى الحديث: «إنصاف الناس من نفسك»^(١).

وفى حديث آخر: «من تعزى بعزاء الجاهليه فاعضوه بهن أبيه ولا تكنوا».

وفى شعر منسوب إلى الإمام (عليه السلام): فإن يكن لهم فى أصل نسب

يفاخرون به فالطين والماء^(٢).

وفى الآيه الكريمه: {إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ} ^(٣).

وفى الآيه الكريمه: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} ^(٤).

إلى غيرها من الآيات والروايات الواردة بصدده ما ذكرناه.

الزهد فى الدنيا

الزهد فى الدنيا

ب: حيث ذكرنا المؤثرات العشر فى الإنسان، وذكرنا فى البند السابق مسأله الأنايه، ينبغى ذكر أن اللازم على الإنسان أن يتزهد فى الدنيا، لا زهد التاركين الرهبان، بل زهد من يعرف عدم قيمه الدنيا فى نفسها، فكيف بقيمتها فى قبال الآخره، فلا يفسد آخرته لتعمير دنياه، بل يجعل الدنيا كالقنطره، ويعمل بما قاله الإمام الحسن (عليه السلام): «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمَل لآخرتك كأنك تموت غداً»^(٥).

ص: ٨٧

١- بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٩.

٢- ديوان الإمام على (عليه السلام): ص ٥.

٣- سوره الحجرات: الآيه ١٣.

٤- سوره الإسراء: الآيه ٣٦.

٥- وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٤٩.

وفى القرآن الحكيم آيات بهذا الصدد، قال سبحانه: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ (٢).

وفى كلمات الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) أحاديث كثيرة بهذا الصدد:

قال على (عليه السلام): «لبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً، ومما لك عند الله عوضاً» (٣).

وقال (عليه السلام): «إقبالها خديعه، وإدبارها فجيعة» (٤).

وقال (عليه السلام): «فلتكن الدنيا فى أعينكم أصغر من حثاله القرض» _ هو شىء يدبغ به _ «وقراظه الجلم» (٥)، هو المقص الذى يجر به الصفوف.

وقال (عليه السلام): «إن دنياكم هذه أزهد عندى من عفته عنز» (٦).

وفى كلام آخر له (عليه السلام): «من عراق خنزير فى يد مجذوم» (٧).

ص: ٨٨

١- سورة القصص: الآية ٧٧.

٢- سورة البقرة: الآية ٢٠١.

٣- نهج البلاغه: الخطب ٣٢.

٤- غرر الحكم: ص ١٩٧ ح ٣٧٥٣.

٥- نهج البلاغه: الخطب ٣٢.

٦- نهج البلاغه: الخطب ٣.

٧- نهج البلاغه: قصار الحكم ٢٣٦.

التأثير المتقابل بين المحيط الاجتماعي والمحيط الطبيعي

(مسأله ١١): بين المحيط الاجتماعي والمحيط الطبيعي تأثير متقابل، فكل واحد منهما يؤثر على الآخر تأثيراً كثيراً أحياناً، وقليلًا أحياناً، ويتراوح الأمر بين الجانبين، فربما كان تأثير أحدهما على الآخر أكثر من العكس، إذ كلما كان الاجتماع أكثر قدره من حيث الفكر والآله والصنعه، كان تأثيره على الطبيعه أكثر، وكلما كان بالعكس كان تأثير الطبيعه على الاجتماع أكثر.

فمن ناحيه قوه الاجتماع يقلع الإنسان أشجار الغابه الزائده، ويجفف المستنقع، ويغير مجرى الأنهر، ويقلع الجبال، ويشق في ظاهرها الطرق، وينقب في باطنها لمرور السيارات والقطارات، وينقب تحت الأرض ليصنع المدن ونحوها أو ليستخرج المعادن، ويغير الهواء على الأقل في داخل الغرف، من الحر إلى البرد وبالعكس، وينشأ المطر، ويقرب البعيد بالوسائل السمعيه والبصريه، وبالمواصلات، وينير ظلام الليل وظلام القطب، ويستخدم قوى المياه والأرياح لأجل إداره المعامل، ويشق في الأراضي النائيه الوعره الطرق، وينقب الأرض حتى يصل إلى المواد المذابه في داخلها لأجل الاستفاده من حرها في النور والحركه.

والحاصل: إنه يهيؤ لنفسه وسائل الراحة والتقدم من الطبيعه.

ومن ناحيه الطبيعه، تؤثر الطبيعه فى الإنسان فى تغيير بشرته، وتجعيد شعره، وانكماش جلده، وتصغير ثقب أنفه، كما فى الذين يعيشون فى البرد القارص حيث إن الإنسان يصغر ثقب أنفه حتى يصعب وصول الهواء البارد بسرعه إلى رثته بحيث يوجب له الأمراض، وتشحيد ذكائه فى المناطق الحاره فى الجملة، أو تكثير بلاذته فى المناطق الباردة فى الجملة، وتحريف مزاجه أو استقامته، وسرعه بلوغه لأن النضج يكون أسرع، أو تأخيره فى المجال الممكن بين الأمرين، وسرعه أو بطئ شيبه، فالأول فى المناطق الحاره، والثانى فى المناطق الباردة.

كما أن الأغذيه المختلفه والمياه كذلك تسبب صحه الإنسان تاره، ومرضه أخرى.

وقد تسهل الطبيعه فيتمكن الإنسان فيها من بناء الحضاره، سواء بناها أم لا، وقد تصعب فيصعب الإنسان بناء الحضاره فيها.

ولا- تلازم بين الأقوام المختلفه فى الاستفاده وعدمها، كما لا تلازم بين وحده الطبيعه ووحده خصوصيات الأقوام، فمثلاً فى النرويج قومان، أحدهما أرفع طولاً من الآخر، وأحدهما أنصع لوناً من الآخر.

وفى مكه المكرمه كانت تعيش قريش وأميه، وأخلاق الأولى العدل والكرم والصراحه والصفاء والخدمه، بينما أخلاق الثانيه بالعكس تماماً من الأولى.

وفى الجنوب الغربى من أمريكا يعيش قومان من الهنود الحمر (هوبى) و(ناواهو) فمع اتحاد المناخ بالنسبه لهما، واتحاد المزاج فيهما، فهوبى يمتنون الزراعه وبنون البنات الكثيره الطبقات، بينما ناواهو يمتنون الرعى ويسكنون عمارات ذات طبقه واحده.

نعم الغالب أن المناخ الواحد يشبه ساكنوه بعضهم لبعض فى أكثر

الأمور، كما أن الساكنين في مناخ واحد يستفيدون من خيرات الطبيعة استفاده واحده.

قد تختلف معيشه الأبناء مع معيشه الآباء

قد تختلف معيشه الأبناء مع معيشه الآباء

ولا- تلازم بين كيفيه معيشه الآباء ومعيشه الأبناء، وإن كان المناخ واحداً، والكيفيه العامه واحده، إذ كثيراً ما تنقلب أحوال الأمم من حاله إلى حاله، حتى في جيل واحد.

وذلك حسب اختلاف الثقافه والأسوه، فقد أرى التاريخ أن عرب الجاهليه كانوا في شظف من العيش، يشربون الطرقي، ويقتاتون القد والورق، وكانوا أذله خاسين، الجهل صبغتهم العامه، ووأد البنات من المكرمات عندهم، والقتال ونهب الأموال وهتك الأعراض ديدنهم، والعباده للخشب والحجاره مفخرتهم، والمعاقره والزنا والشذوذ الجنسي رائجه بينهم.

وفجئه تحولت تلك الأمه ببركه الإسلام، إلى كل ما كان يخالف حالتهم السابقه، حتى صاروا {خير أمه أخرجت للناس}، و {شهداء على الناس}، و {وأمه وسطاً}، بلا- إفراط وتفريط، وقد حملوا مشاعل العلم والهدايه والفضيله والتقوى إلى مشارق الأرض ومغاربها.

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى حالهم قبل الإسلام وبعده، بقوله: «إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار، منيخون بين حجاره خشن، وحياه صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبه، والآثام بكم معصوبه» (١).

ص: ٩١

وقال (عليه السلام): «إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) ليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدعى نبوه، فساق الناس حتى بوأهم محلثهم، وبلغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم، واطمأنت صفاتهم» (١).

وقال (عليه السلام): «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ابتعثه والناس يضربون في غمره، ويموجون في حيره، قد قادتهم أزمه الحين» _ الهلاك _ «واستغلقت على أفتدتهم أفعال الرين» (٢).

وقال (عليه السلام): «فالأحوال مضطربه، والأيدى مختلفه، والكثرة متفرقه، في بلاء أزل» _ شده _ «وأطباق جهل، من بنات مؤوده، وأصنام معبوده، وأرحام مقطوعه، وغارات مشنونه» (٣).

وقال (عليه السلام): «أضاءت به البلاد بعد الضلاله المظلمه، والجهاله الغالبه، والجفوه الجافيه، والناس يستحلون الحریم، ويستدلون الحكيم، يحيون على فتره، ويموتون على كفره» (٤).

وقال (عليه السلام): «فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم، حين بعث إليهم رسولاً، فعقد بملته طاعتهم، وجمع على دعوته ألفتهم، كيف نشرت النعمه عليهم جناح كرامتها، وأسالت لهم جداول نعيمها، والتفت المله بهم في عوائد بركتها، فأصبحوا في نعمتها غرقين، وفي خضره عيشها فكهين، قد تربعت الأمور بهم في ظل سلطان قاهر، وآوتهم الحال إلى كنف عز غالب، وتعطفت الأمور عليهم في دوى ملك ثابت، فهم حكام على العالمين وملوك

ص: ٩٢

- ١- نهج البلاغه: الخ ط ٣٣.
- ٢- نهج البلاغه: الخطب ١٩١.
- ٣- نهج البلاغه: الخطب ١٩٢.
- ٤- نهج البلاغه: الخطب ١٥٠.

فى أطراف الأرضين، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم، لا تغمز لهم قناه، ولا تفرع لهم صفاه»(١). أى الحجر الصلد.

قوه الاجتماع تبعد الإنسان عن أضرار الطبيعه

قوه الاجتماع تبعد الإنسان عن أضرار الطبيعه

ثم إنه كلما قوى الاجتماع، كان الإنسان أبعد عن أضرار الطبيعه، كالحر والبرد، والشمس المحرقه، والظلمه المركد، والعوائق الطبيعه، والحيوانات الضاره والمؤذيه.

بينما كلما ضعف الاجتماع، كان الأمر بالعكس، بل الإنسان يكون فى ظل الحضاره الاجتماعيه أكثر عمراً وأصح جسداً وأكثر أولاداً، بل وأجمل جسماً وأهنأ نفساً، وأبعد عن المنازعات والمقاتلات، والفوضى والاضطراب، والعكس بالعكس.

وقد ورد فى الآيه الكريمه: {سَيَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ} (٢)، إن كل مقدرات الإنسان التى ينزلها الله سبحانه فى ليله القدر لعامه سلام، وإنما تتحول عن السلام بسوء فعل الإنسان، وحتى مثل طغيان البحر، والقحط الناشئ عن قله المطر، والمرض والموت الباكر، وتشوه الأطفال، والتلف بالزلازل والصواعق، إنما تكون من سوء فعل الإنسان.

فلماذا لا يتعاون الإنسان لأجل جعل السد أمام ماء البحر، ولماذا لا يحفر الإنسان الآبار الارتوازيه لئلا يرتبط رزقه بالمطر، ولماذا لا يحافظ على صحته

ص: ٩٣

١- نهج البلاغه: الخطب ١٩٢.

٢- سوره القدر: الآيه ٥.

الشخصيه، وصحة البيئه عن التلوث حتى يبتلى بالمرض، وكذلك الموت أكثر من سوء فعل الإنسان، ولذا ورد في الحديث: «أكثر أهل المقابر من التخمه»، ولماذا لا يحافظ على الجنين حتى يتشوه، ولماذا لا يجعل أنفاقاً في الأرض حتى تجر الزلزال إلى خارج المدن، أو يجعل للزلزال آلات تخبر عنها قبل تكونها ليتجنبها الناس، ولماذا لا يدفع شر الصواعق بالآلات المخمده لها.

فالإنسان يتمكن أن يقوى جسمه ونفسه حتى لا تؤثر فيهما العوامل الطبيعیه، كما يتمكن أن يزم الطبيعیه بزمam العلم حتى لا تطغى عليه، وقد جعل سبحانه الكون مسخراً للإنسان، لا أنه جعل الإنسان مسخراً للكون.

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا} (١).

هذا بالإضافة إلى الأسباب الغيبية التي هي وراء الماديات.

ص: ٩٤

١- سورة الأعراف: الآية ٩٤.

أسس رقى المجتمعات

(مسأله ١٢): إن الله سبحانه خلق الإنسان أول ما خلقه إنساناً، وقد دل على ذلك مختلف الأديان، أما التفصيل الذى ذكره الماديون من أن أصل الإنسان كان حيواناً، فقد دلت الأدله على عدم صحه ذلك.

وقد زود الله الإنسان بأمر خمس:

(١) الفكر.

(٢) النطق.

(٣) الكتابه.

(٤) إمكانيه تطوير ما حوله بسبب اليد والرجل والحركه.

(٥) كونه اجتماعياً.

فإن الإنسان بهذه الأمور الخمسه، تمكن من التدرج إلى مدارج الرقى، فبالثلاثه الأولى تمكن الإنسان أن يستوعب علماً كثيراً، وثقافه واسعة بالنسبه إلى ذاته وبالنسبه إلى ما حوله.

١: حيث إن الله سبحانه خلق ملايين المخلوقات، وقد أحصى فى علم الحيوان مليون حيوان، كما أحصى من الأشياء غير الحيه مليونان، ومن الواضح أن كل شىء من هذه الأمور ذات أبعاد متعدده، وكثيراً ما تكون ذات أشياء وأجزاء.

مثلاً الورده لها جسم، وأوراق، وألوان، وعطر، وبزر، وغيرها.

وحتى الشىء الذى ليس له أجزاء، ذو أبعاد من لون وملمس وجسم وغيرها، هذا من ناحيه.

٢: ومن ناحيه ثانيه، هذه المخلوقات فى حركه وتطور واجتماع وانفصال مما يضيف إلى حالتها الذاتيه حاله أخرى، مثلاً الورده من ابتداء تكونها إلى حين رجوعها إلى التراب والماء والضوء والهواء لها حالات مختلفه، وقد

قال الحاج السبزواری:

كون المراتب فى الاشتداد

أنواعاً استنار للمراد

وإنما قلنا: (إلى حين رجوعها) لأن الأربعة السابقه أهم مقومات التكون، ثم الشىء يتحلل إلى سابق حاله، ولذا سمى الحكماء العلم بالكون والفساد، فإن بزر الزهره ماكنه وفيها قوه تتمكن أن تجذب إلى نفسها تلك العناصر الأربعة، كلاً بقدر خاص، وتمزج بينها وتغير صورها إلى ما يناسب الزهره، من اللون والحجم والعطر والكيفيه وغيرها، ثم بعد انتهاء قوه الماكنه تتحلل وترجع الأجزاء إلى ما كانت عليه سابقاً من التراب والماء وغيرها.

وليس هذا بالنسبه إلى الحيوان والنبات والإنسان فحسب، بل الجماد أيضاً فى تحرك دائم، كما ثبت فى علم الذره، وأشار إلى ذلك الإمام الصادق (عليه السلام)، حيث قال لبعض أصحابه: «إن الآجره التى يراها الرأى جامده ساكنه هى فى حركه دائمه».

وإن شئت قلت: إن العالم قد خلق فيه مليارات الأجزاء، وهى مبعثره فى كل العالم، والماكنات الصغار المودعه فى الذرات تجذب ما يناسبها من تلك المليارات فتكبر نفسها، مثلاً بزر الزهره _ وهى ماكنه أو مئات الماكنات _ تجذب شيئاً من العطر واللون والطعم والفائده، و... المناسبه لها، أى حسب تركيب الله تعالى لتلك الماكنه، حتى تبلغ بلوغها النهائى، ثم تقف الماكنه عن الحركه لتأخذ الزهره فى التحلل، ويرجع كل شىء إلى الفضاء لتمتص ماكنه ثانيه فى وقت مناسب آخر الأجزاء المذكوره، وتتكون زهره جديده، وهكذا.

ص: ٩٤

٣: ثم من ناحيه ثالته، جعل الله للكون مليارات من القوانين، قانون حركه الأرض واحد منها، وقانون أن النفط يعطى الدفء والضوء اثنان منها، وقانون أن فى كل جزء من البدن قوه جاذبه للغذاء وقوه مبقية لها، وقوه غاذيه وقوه دافعه للزائد، أربعة قوانين منها، وقانون أن فى الكبد ألفى ماكنه ألفا قانون منها، وهكذا.

٤: ومن ناحيه رابعه، هناك قوانين اعتباريه وانتزاعيه، وما لها تقرر فى وعاء خاص، وقوانين ذهنيه، مثل اعتبار الورق ديناراً، وأن الأربعه زوج، وأن الكل أعظم من الجزء، ولو فرض أنه لم يوجد كل وجزء، ولا- ذهن ذاهن أبداً، والصور الذهنيه التى هى إحدى الوجودات للشئ _ على ما يقوله الحكماء _ من لفظى وكتبى وذهنى وخارجى.

وكل هذه المجموعات الأربع، هى أمور بتصور الإنسان لها وتصديقه لها يتكون العلم والثقافه.

وكثيراً لا- يصل الإنسان إلى قانون من القوانين المودعه إلاّ بعد ملايين السنوات، ولا يههم ذلك فى كون القانون قانوناً، كما أن الخساره تكون للإنسان حيث يرتطم بالواقع، ولا يعرف السبيل إلى المخرج، حتى يصل بسبب التصاعد الزمنى والفكرى والعملى إلى ذلك القانون الذى أودعه الله فى الكون.

مثلاً- فى باب القدره، قانون: إن الترويض بالقدره لا يدوم، بينما الترويض بالإداره يدوم، قانون لم تصل إليه كافه الحكومات الديكتاتوريه، ولذا أخذوا يتخطون ويقعون فى تناقض مع الشعوب ينتهى بضربهم للشعوب وأخيراً ضرب الشعوب لهم.

وفى باب التطبيق، قانون: إن التطبيق إذا لم يكن موافقاً للإيدولوجيه، وقع التعارض بين الأمرين، حتى ينتهى الأمر إلى طرد الإيدولوجيه للتطبيق، قانون عرف بعد تجارب كثيره، وفشل ألوف القوانين التى وضعت خلافاً للإيدولوجيات.

وفى باب الاقتصاد قانون: عدم جدوى حلّ القضييه الاقتصاديه بالعقوبه، أو قانون: إن الاقتصاد المتين بحاجه إلى سياسه متمركزه، أو قانون: إن برمجيه الاقتصاد تعارض القانون مما ينتهى بانتصار أحدهما على الآخر، قوانين أودعت فى الكون، لم يصل إليها الناس إلا بعد معاناه وتجارب وفشل وتعديلات.

فالتاجر إذا تكسّر، إنما يكون حلّ قضيته بانسحابه عن ميدان الاقتصاد، بينما بعض الأنظمه يحلّ قضيته بالعقوبات، وذلك شىء غير لازم، لأن الإخراج عن ميدان الاقتصاد هو الحل العادل فلماذا المزيد من الحل بالعقوبه.

والمال يحتاج إلى الحمايه فى تحركه ونموه، والحمايه إنما يوفرها السياسه المتمركزه، إذ بدونها يكون المال معرضاً للنهب، أو الصّدّ أمامه عن التحرك، مما يسبب جموده على أقل تقدير، فإن المال جبان.

والبرمجيه سلب للحريه التى منحها القانون العام، ولذا لابد وأن يكون أحدهما يهزم الآخر عن الميدان.

إن ما ذكرناه من القوانين الخمس على سبيل المثال، وملايين القوانين الأخر، بإضافه ما تقدم من الحقائق وغيرها، هى التى تشكل مجموع العلم، فى محيط معرفتنا الإجماليه، وإلا فلعل هناك فئات آخر من المعلومات لا نعرفها حتى إجمالاً، ولا نتمكن أن نشير إليها ولو إشاره مقتضبه.

والمجتمع يكون له تلك الثقافه التي حصلها من أجداده، وانتقلت إليه بالنطق والكتابه، أو حصلها بنفسه، وتلك الثقافه الكليه هي التي لها أكبر الأثر في تسيير الجامعه، بالإضافة إلى المحيط الطبيعي وغيره، مما تقدم بيانه في المسأله السابقه في الأمور العشره.

المجتمع كلى متميز عن أفراده

المجتمع كلى متميز عن أفراده

والمجتمع من جهه الكم، وإن كان مركباً من أفراده، فهو حاصل الجمع، فإذا ولد فرد زاد المجتمع كماً، وإذا مات فرد نقص من المجتمع فرد، إلا أن المجتمع من ناحيه الكيف كلى مستقل متميز عن أفراده فهو:

١: قبل كل فرد فرد.

٢: وبعد كل فرد فرد.

٣: ولا يتغير بزياده الأفراد ونقصها.

٤: وهو يضغط على الفرد، ويعدل سلوكه أو يحرفه.

٥: والفرد معه في تصارع دائم.

ولذا قال بعض الفلاسفه: بأن للمجتمع روحاً مستقلة.

فقد حدد أفلاطون الفرد والمجتمع في بنود سبعة:

أ) الإنسان موجود له روح وجسد، ولا بد له لاستمرار حياته من إعطائه لوازم الحياه من المأكل والمشرب والملبس والمسكن و...

ب) الاجتماع كالإنسان، له روح وجسد، وإذا أريد بقاءه لابد وأن يعطى حوائجه الأساسيه حتى يتمكن من استمرار الحياه.

ج) الموجودات الحيه _ الإنسان والاجتماع _ تطلب البقاء والدوام، ولكل منهما كيفيه خاصه من البقاء.

د) الإنسان بالصورة الاجتماعية قابل للبقاء، وتقسيم العمل سبب دوام الإنسان وتكامله.

هـ) الإنسان ذاتاً اجتماعي، وبالتعاون مع الثقافه المشتركه كه يرتبط ببقية الأفراد ويتعاون معهم، والثقافه عباره أخرى عن الفكر الاجتماعى.

و) الإنسان يعيش تحت ظل نظام اجتماعى، فلا بد وأن يكون فى كل اجتماع نوع من النظم والانتظام.

ز) النظم الاجتماعى، أى الروابط التى تحكم الاجتماع، قابله للدرك.

وكلامه وإن كان تاماً فى بعض بنوده، إلا أن بعض بنوده الآخر محل نظر، إذ للاجتماع روح خاصه، وأما متطلباته، إنما فى آثار ومتطلبات المجموع من حيث المجموع، حيث إن الاجتماع يوجد علاقات جديده، مثلاً إنسان واحد لا يكذب ولا يضرب ولا يستغيب ولا- ينافق ولا يتزوج، ولا يحزن لفقد صديق ومرضه، وهكذا، فإذا صار إنسانان صار كل ذلك، فهل معنى ذلك أن إنسانين لهما ثلاثه أرواح، روحان لكل واحد، وروح للمجموع.

وأطوليه عمر الجامعه، وضغطها على الأفراد وما أشبه، معناه أن الأفراد الآخرين موجودون قبل هذا الفرد، كما أنهم موجودون بعده بأعيانهم أو بأبدالهم، وإن جماعه إذا تطلبوا شيئاً كان الفرد _ بحكم أنه يريد أن يعيش معهم، وأنه إذا لم ينسق معهم صعب عيشه معهم لازدراهم به، وعدم قضائهم حوائجه _ مجبوراً على إعطائهم ما طلبوه، من باب قاعده الأهم والمهم، الكامنه فى فطره كل إنسان حيث يقدم الأهم على المهم.

ولذا الذى ذكرناه من النظر فى روح الاجتماع، لم يوافق الحكماء الذين

جاؤوا بعد أفلاطون معه، إلا نادراً، وإن ذهبوا إلى بعض بنوده السبعه المتقدمه، بل أضاف بعضهم أن الاجتماع له نداء ضد الظلم، ولذا ينبرى جماعه للمقاومه على الحاكم الظالم مهما كلفهم من مال أو روح أو جاه أو غيرها.

ثم إنه إذا أريد معرفه الاجتماع يلزم أن يلاحظ الاجتماع بنفسه لتدرك قوانينه، فإن ملاحظه المزاج الفردى والمحيط الطبيعى والمحيط المصطنع السياسى الجغرافى، وإن كانت دخيله فى فهم الاجتماع، لكن للاجتماع بالإضافة إلى ذلك قوانين خاصه، لا تتسنى معرفتها إلا بمعرفه تلك الثلاثه، بالإضافة إلى قوانينه الخاصه، والمجموع من حيث المجموع يعطى معرفه قوانينه.

ص: ١٠١

(مسأله ١٣): فى الاجتماع نوعان من الثقافه، أحدهما فى ضمن الآخر.

أما الثقافه العامه فهى التى تعطى الاجتماع لوناً خاصاً وتميزها عن سائر الاجتماعات، سواء عمودياً أو أفقياً، حتى وإن كانا من دين واحد، فالاجتماع العربى المعاصر مثلاً يختلف عن الاجتماع الفارسى والهندى الحاضرین، كما أنه يختلف عن الاجتماع العربى قبل مائه سنه.

كما أن كل اجتماع عام فى داخله جماعات إما طبيعیه كالقبايل، أو اصطناعیه كالأحزاب والجمعيات، لكل جماعه جماعه ثقافه خاصه، لكن ليس بينهما كاللون بين ثقافات الاجتماعات، ومن مجموع تلك الثقافات المضمونه تتولد الثقافه العامه للاجتماع، بعد أن يضاف على تلك الثقافات لون الاجتماع بما هو اجتماع.

ولعله إلى ذلك تشير الآيه الكريمة: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} (١).

ولعل التعميد الذى نراه عند المسيحين _ إن كان له أصل _ كان إشاره إلى تغيير اللون ظاهرياً، إشاره إلى تغيير اللون معنئى.

والثقافه الاجتماعيه عباره عن الدين والعلم والأخلاق والرسوم والعادات ونحوها.

مثلاً الرسوم فى الزواج والطلاق والولاده والموت والمعاملات والمواريث

ص: ١٠٢

والعقوبات والحرب والسلام والمعاهده وما أشبه، كلها تدخل فى تكوين اللون العام للاجتماع مما يسمى بالثقافه الاجتماعيه.

والدين الإسلامى ونحوه، وإن كان يعطى برامج لكل أتباعه، إلا أن كثيراً من البرامج ليست بحد الواجبات والمحرمات، بل فى كثير منها سعه للأقوام أن يأخذوا بأى جزئى منها، ولذا نرى تختلف عادات الفرس عن العرب عن الهنود عن الترك وهكذا، وإن كان الإطار الإسلامى العام محكماً على جميعها، هذا بالإضافة إلى الأسباب التابعه للمناخ ونحوه مما يدخل فى تلوين الاجتماع، مثلاً شدة الحر فى قلب الأسد توجب التعطيل فى مدينه كذا، وهكذا التبليغ فى وقت كذا، أو الزياره فى موسم كذا فى الأعتاب المقدسه أو ما أشبه، بينما ليس فى مكان آخر هذا اللون.

وقد ذكروا أن من فضائل الإسلام أمرين:

أحدهما: مرتبط بالمقام، وهو أن الإسلام يصلح للانسجام مع مختلف الشعوب فى مختلف الأزمان والأماكن، لأنه دين يسر.

قال سبحانه: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} (١).

وقال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (٢).

وقال عز من قائل: {يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} (٣).

وقال (صلى الله عليه وآله): «رفع عن أمتى تسع» (٤) الحديث.

إلى غير ذلك، بالإضافة إلى ملائمه قوانينه للعقل، ولذا يتمكن كل جماعه أن يتخذة ديناً وعقيداً ونظاماً

ص: ١٠٣

١- سورة البقره: الآيه ١٨.

٢- سورة الحج: الآيه ٧٨.

٣- سورة الأعراف: الآيه ١٥٧.

٤- تحف العقول: ص ٤١.

مع بقاء عاداته وتقاليده وما أشبه مما لا تتصادم مع الإسلام.

والأمر الثانى: مرتبط بنبى الإسلام (صلى الله عليه وآله)، وكان سبباً لسرعه تقدم الإسلام مما يرتبط بالآخره إلى الإسلام نفسه، وهو أن كل إنسان وإن كان من ألد أعداء الإسلام، عرف أنه يتمكن أن يعيش فى كنف الإسلام فى أمن وسلام، سواء أسلم أم لا، ولذا قال (صلى الله عليه وآله) لكفار مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١)، مع أنهم كانوا جناه مجرمين ولم يسلموا، حتى يشملهم الإسلام يجبّ عما قبله».

وكيف كان، فالثقافه الاجتماعيه عباره عن العقائد والأعمال الفرديه منضمه إلى الأمور الاجتماعيه من الروابط التى يأتى بها الفرد مع الآخر، والجماعات مع الجماعات.

تكامل الثقافه

تكامل الثقافه

وكلما تقدمت الثقافه ظهرت لها خاصيتان:

١: التكامل، وهى فى داخل الاجتماع، حالها حال ما بالقوه فى داخل ما بالفعل، فإن الله تعالى خلق أشياء الكون بعضها بالفعل وبعضها بالقوه، لا على نحو تز و أنتى تز وسنتز، فالدجاجه فى بطن الفرخ، والفرخ فى بطن البيضه، والبيضه فى بطن الدجاجه، وكذلك الشجره فى بطن النبته، وهى فى بطن الحبه،

فكل مرتبه حاله تسمى بالفعل، وكل مرتبه مستقبله تسمى بالقوه، حيث إنه قد أودع فى داخل الشىء قوه تسيير تلك القوه ذلك الشىء إلى ذلك الكائن المستقبلى.

والثقافه فى داخل الاجتماع هكذا، تسيير من القوه إلى الفعل، مثلاً مسائل

ص: ١٠٤

١- الوسائل: ج ١١ ص ١١٩ الباب ٧٢ من أبواب جهاد العدو ح ١.

الفقه فى (جواهر الكلام) وهى تقارب ربع مليون مسأله كانت فى بطن (الشرائع)، وهو بدوره كان فى بطن (الكتب الأربعة) مثلاً، وهكذا كلما تقدم الاجتماع أخذت الثقافه فى التكامل، فالعقل الذى هو حجه باطنه لله سبحانه مودع فى الإنسان، يحذف الزائد ويأخذ باللباب، وينمى ذلك اللباب بقدر الحاجه الفرديه والاجتماعيه، وبذلك يتكامل الإنسان فى نفس الوقت.

تعقد الثقافه

تعقد الثقافه

٢: التعقد، فإن حاجات الإنسان الجسديه والنفسيه كثيره، وكلما وجد الإنسان إمكانيه تحصيلها أخذ فى اكتسابها، وبذلك تتشابك الروابط أكثر فأكثر، وتتعقد الحضاره.

فمثلاً إذا كان للإنسان مائه صديق، وكان لكل رسم زواج وولاده، وسفر ومرض وموت، كان عليه لهم خمسمائه مرسوم، كما أن عليهم له كذلك، فإذا فرض تعقد كل واحد من هذه المراسيم، بأن انتقلت من البساطه البدائيه إلى التعقد الحضارى، كان التكليف عليه أكثر ثقلًا، فمثلاً فى رسم الموت يحضر احتضاره وتشيعه والصلاه عليه ودفنه وفاتحته، وحضور قبره فى الأسبوع والأربعين والسنه، وكل مره يحتج الأمر إلى الوقوف فى صف السياره للركوب والنزول مرتباً إلى غير ذلك.

والفارق بين الإنسان والحيوان يظهر فى هاتين الجهتين، بالاضافه إلى جهه ثالثه:

(١) فالحيوان له غرائز، كل يسير فى المسير المقرر له، {أعطى كل شىء خلقه ثم هدى} (١)، إلى زمان استمراره فى الحياه، فلا تكامل له حسب ما وصل إليه العلم، وإن كان من المحتمل أنه يأتى يوم يتكامل فيه الحيوان،

ص: ١٠٥

بأن يربى حتى يصل إلى التطوير، كما قاله بعض علماء الحيوان، وقال ابن سينا: (فذرّه في بقعه الإمكان)، وقد ذكر بعض علماء الحيوان: إن الآثار والتنقيب دلت على أن النمل منذ خمسين مليون سنه لم يطرأ على حياته أى تطوير.

٢) وحيث لا- تطوير فى حياه الحيوان، لا تعقد فيها، إذ التعقد من ولائد التطوير، وإن كان من الممكن مثلاً أن يقال: إن نملتين حياتهما أكثر بساطه من خمس نملاّت، حيث إن واجب كل واحده يكثر، حيث للجميع الولاده والموت وما أشبه مما يوزع بعض أعمالها على جميعها.

٣) ثم الحيوان لا- ينتقل إرث الثقافه من جيل منه إلى جيل آخر، مما يوجب تراكم الثقافه على الجيل الثانى، ثم ثقافتها على الجيل الثالث، وهكذا.

٤) والإنسان فى حياته يتعرّض فى النزول ثم الصعود وهكذا، ولذا كانت لثقافه الاجتماع تعاريج، بينما ليس للحيوان كذلك.

تشابه المجتمعات

تشابه المجتمعات

ثم إن الإنسان حيث خلقه الله سبحانه بفضله واحده، لابد وأن يتشابه بعضه مع بعض فى الأوليات الاجتماعيه والانفراديه.

وهذه الأوليات هى الجامع بين أفراد البشر وكل اجتماعاته، سواء الاجتماعيه البدائيه، أمثال قبائل إسكيمو، أو التى وصلت إلى غايه الحضاره الحاضره، مثل العقيدته بشىء كالإله الواحد، أو المتعدد المرئى أو غير المرئى، أو الطبيعه أو ما أشبه ذلك، ومثل صنع الوسائل، والأخذ والعطاء، والعباده أى الخضوع أمام شىء ولو الأصنام البشريه أو الحجريه، والتعاون والزواج وتربيه الأولاد، وجعل

الارتباطات وحفظها، سواء القلبييه أو الحزبييه أو ما أشبهه، والزراعه والتجاره والطبخ، وصنع الملابس والمسكن، وطلب الراحة واللعب وتربيته الحيوان، والحرب والسلم، وعقوبه المجرم، وتطلب الحق، وتحسين الحسن، وتقبيح القبيح، ومراسيم خاصه للزواج والولاده والموت، وحب الاستطلاع وغير ذلك.

وثقافه كل اجتماع، مستقاه مما تقدم فى بعض المسائل السابقه، كما أنها هى التى تنعكس على العقائد والنيات والأعمال والسير لكل اجتماع، فمثلاً- الثقافه الفلانيه توجب حرق الأموات، وثقافه أخرى توجب جعل الميت للغربان ونحوها لتأكله، وثقافه ثالثه توجب دفنه بمراسيم خاصه.

وليست للإنسان طبيعه خاصه توجب عليه سلوكاً خاصاً كالحيوان، كما أن المحيط الطبيعى ليس دخيلاً- فى كل عمل يعمله الإنسان، بل الثقافه هى التى تفرض عليه ما تقدم من العقيدته والسلوك وغيرهما، والإنسان دائماً ومن قديم الزمان يغير ثقافته إلى الأفضل، كما أنه دائماً يأخذ بالجانب الاجتماعى، يفكر ويعمل لكسب أكثر قدر من الأصدقاء، وكذلك يسعى لترويض الطبيعه، لا للأمن من شرها فحسب، بل للاستفاده منها أيضاً.

تاريخ الإنسان

تاريخ الإنسان

والإنسان لا- يعلم تاريخه، وأنه متى كان آدم (عليه السلام)، وكل ما فى بعض التواريخ ليس مستنداً إلى علم قطعى، أو قول معصوم (عليه السلام) يعلم الغيب بإذن الله تعالى.

أما قول الماديين بأن الإنسان كان قرداً، وأنه أتم المراحل التى وجدناها فى نصف مليون سنه مقسماً على عصر الإنسان القردى، ثم إنسان نثان درتال، ثم إنسان كرومان يون، ثم الإنسان الحالى، فلم يقد عليه حتى مستند استحصانى، كما

لا يخفى على من راجع أدلتهم.

ومثل ذلك فى عدم الدليل، جعل إنسان إسكيمو دليلاً على حال الإنسان الأول، وقد قرر فى علم المنطق أن (الجزئى لا يكون كاسباً ولا مكتسباً).

وقال سبحانه: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} (١).

و: {إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} (٢).

بل الإنسان الأول كالإنسان الحالى، له نفس الغرائز والمتطلبات والمخاوف وغيرها كما تقدم.

التنقيب عن الآثار التاريخيه

التنقيب عن الآثار التاريخيه

ثم إنه يلزم معرفه ثقافه أى مجتمع دثر فى التاريخ، كعاد وشمود وفرعون وقوم لوط وأصحاب الأيكه، وكذلك من قبلهم، ومن بعدهم، ومعرفه الثقافه تحصل من آثارهم.

ومن هنا يهتم العلماء بحفظ الآثار، وبالتنقيب عن الاثار، وفى الأحاديث: (عندنا مصحف فاطمه عليها السلام) (٣)، وقد حفظوا (عليهم السلام) عصى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكتاب على (عليه السلام)، وثوبه الذى ضرب فيه، إلى غير ذلك، وقد وردت أحاديث بأن الإمام الحجه (عليه السلام) إذا ظهر تكون معه مواريث الأنبياء (عليهم السلام) والرسول وفاطمه وآبائه (عليهم الصلاه والسلام).

وقد اهتم علماء الاجتماع والآثار، لجعل وسائل لمعرفه الأدوار بالوسائل العلميه التى وصلت إليها الإنسانيه فى العصر الحاضر، ويجعلون متاحف أثرية إلى جنب المتاحف العلميه، والأمم الحاضره تحاول أن ترفع نسبها إلى قرون

ص: ١٠٨

١- سورة الإسراء: الآية ٣٦.

٢- سورة يونس: الآية ٣٦.

٣- أصول الكافى: ج ١ ص ٢٣٩.

وقرون، لإفاده تراكم الثقافه والحضاره عندهم، فقد تقدم أن كل جيل يرث ثقافه الأجيال المتقدمه.

والتنقيب عن الآثار لكشفها يفيد الإنسان _بالإضافه إلى العلم بالغابر، والعلم مطلوب طبيعي للإنسان _ معلومات يستفيد منها الإنسان لحياته الحاضره.

مثلاً- إذا فحصنا عن حياه الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وهارون العباسى، فرأينا أن الأول كان مطاردًا للظلم والظالمين والفساد والترف، بينما كان الثانى غارقاً فى كل ذلك، عرفنا أن بقاء الإنسان خالداً فى التاريخ سببه الثانى، وبذلك يكون الظلم منفوراً لنا، والعدل محبوباً، وتلك عبره نستلخصها من التاريخ، وكذلك غير ذلك.

ولا فرق فى الاستفاده من الآثار بين كون الثقافه التى نجدها فى غابر التاريخ (ماديه) مما صنعت بأيديهم، من زراعه وصناعه ووسائل حياه آخر، أو (معنويه) كعلمهم وعقيدتهم وفنونهم ومراسيمهم فى الولاده والزواج والموت والمعاملات والمرافعات وما أشبه، وحتى الكلمه المكتوبه والآنيه الحجرية لهما دلالة على جانب من الحضاره الغابره لتلك الأمه.

مثلاً- إذا وجدت كلمه (ماء) محفوره على كوز فى حفريات قبل عشره آلاف سنه فى (تل أبيب) دلت على أن العرب كانوا يسكنون هذه المنطقه، وأن اللغه العربيه كانت فى ذلك المكان، وكذلك إذا وجدت قطعه رخام منقوش عليها صوره محاربين ملابس بعضهم كذا، وملا بس بعضهم كذا، دلت على أن الحرب كانت بين السلطتين اللتين كانتا معلمتين بهذه الشارات وتلك الشارات.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وسر فى ديارهم وانظر إلى آثارهم»^(١).

وقبل

ص: ١٠٩

١- انظر نهج البلاغه: ال كتب ٣١، وفيه: (وسر فى ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا ..).

ذلك قال الله تعالى: {فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} (١١)، وقال: {وَإِنَّهَا لَسَلْسَبِيلٌ مُّتَقِيمٌ} (٢).

ولما مر على (عليه السلام) على إيوان كسرى، أنشد بعض من حضره:

جرت الرياح على محل ديارهم

فكأنهم كانوا على ميعاد

فكأنهم كانوا على ميعاد

فقال له الإمام (عليه السلام)، بل اقرأ: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِينَ} (٣).

ثم إنه من تراكم الثقافه الماضيه والثقافه الحاضره، يمكن أن يستكشف الخطوط العريضة للثقافه المستقبليه، بعد ملاحظه وحده سير الإنسان، فيما حفظ من التاريخ، مضافاً عليها كيفيه سير الحضاره، فإذا رأينا سياره تسير فى الساعه الأولى خمسـه فراسخ، وفى الثانيه سته، وفى الثالثه ثمانيه، حكمنا بأنها تصل إلى البلد الفلانى فى ساعه كذا، بعد جمع ماضى السير ومستقبله، ملحوظاً فيه تصاعد سير السياره فى كل ساعه، وكتاب (صدمه المستقبل) و(التحدى العالمى) إلماع إلى هذا الأمر.

الهيكل العظمى للثقافه

ثم إن ثقافه الاجتماع على كثره وحداتها، تنتظم فى ثقافه موحده، هى بمنزله الهيكل العظمى للثقافه العامه للاجتماع، وكما أن الهيكل العظمى موحد وإن تر كـب من أجزاء.

ثم يأتى بعد ذلك دور ما يحيط الهيكل من اللحم والأنسجه والعروق والأورده وما أشبهه، كذلك حال الثقافه، فثقافه العقيدـه، وثقافه الآداب

ص: ١١٠

١- سورة آل عمران: الآيه ١٣٧.

٢- سورة الحجر: الآيه ٧٦.

٣- سورة الدخان: الآيه ٢٥.

والرسوم، وثقافه المعاملات، وثقافه العبادات، وثقافه الأحوال الشخصية و... أجزاء يركب منها الهيكل الثقافى العام للاجتماع.

ثم تلك الوحدات (الأعضاء) تملأها الخصوصيات والمزايا لكل ثقافه ثقافه.

وكما أن الهيكل العظمى للإنسان غير الهيكل العظمى للغزال والسمك والطائر، كذلك لكل اجتماع هيكل عظمى خاص من الثقافه، يتميز عن الاجتماع الآخر بذلك، وحتى الأنبياء (عليهم السلام) حيث كانت تختلف أزمتهم، كان لكل هيكل ثقافى خاص، وإن كان الجميع يجتمعون فى الأمور الأعم من ذلك، حال اجتماع الإنسان والطير والسمك والغزال فى أصل الهيكل العظمى مثلاً، وإلى هاتين الرتبتين: رتبه الاجتماع والافتراق، أشارت الآيات الكريمة:

فمن الأولى: قوله سبحانه: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (١).

ومن الثانية: قوله تعالى: {مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا} (٢).

وقال: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} (٣).

وقال: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} (٤).

ثم إن الكوارث أمثال الزلازل والفيضانات وما أشبهه، إذا لم تبدد

ص: ١١١

١- سورة البقره: الآيه ١٣٦.

٢- سورة البقره: الآيه ١٠٦.

٣- سورة آل عمران: الآيه ٨٥.

٤- سورة المائده: الآيه ٤٨.

الاجتماع تبديداً كاملاً، وكما في عذاب الله حيث يفنى الأمه، لا- تحطم الهيكل العظمى للثقافه، وإن كانت تحطم جمله من الأعضاء والأغشيه، وما إلى ذلك.

ص: ١١٢

عوامل تشكل الجماعات

(مسأله ١٤): قد تقدم بعض الكلام حول الاجتماع، وبقي بعض آخر حول الجماعات بمختلف أشكالها وأساليبها، فنشرحه في هذا البحث.

إن الجماعه إنما تتشكل لأحد أمور ثلاثه:

١) لأجل الاحتياج الذاتى، إما حاجه دينيه أو حاجه دنيويه، ماديه أو غير ماديه، فالحاجه الدينيه مثل الصلاه الواجبه جماعه كالفطر والأضحى والجمعه فى أيام الحضور، والحاجه الدنيويه الماديه مثل ما إذا اجتمعوا لأجل بناء أو صنع طعام أو ما أشبه مما لا يتأتى إلا بالجماعه، والحاجه الدنيويه غير الماديه، مثل الجماعه لأجل اللعب أو النظر إلى تمثليه أو نحوهما.

٢) لأجل قضاء حاجه الاجتماع، مثل الجماعات الخيره الاجتماعيه لأجل حاجه المجتمع، كما تتشكل جماعه لأجل فتح المدارس والمستشفيات وبناء دور للفقراء وما أشبه ذلك، وفى هذا يدخل ما يتشكل لأجل دفع حاجه الاجتماع الدينيه، كتشكل الجمعيه لأجل بناء المساجد فى القرى الجدد التى لا مساجد لها.

٣) لأجل الضغط الاجتماعى، مما ليس سببه القريب الاحتياج الذاتى أو الغيرى، وإن كان ينتهى بالآخره إلى أحد الأمرين السابقين، كالاتماع لأجل تكليف مجلس الأمه بعض أعضائه لأجل النظر فى قانون أو حاجه اجتماعيه أو ما أشبه ذلك، فإن الضغط الاجتماعى المنصب على المجلس

سبب تكليف الأعضاء من قبل المجلس بذلك.

التسالم والتنازع في الجماعات

التسالم والتنازع في الجماعات

ثم إن الجماعات المتشكله حسب اختلاف ثقافتها من ناحيه، واختلاف المحيطين الطبيعي والاجتماعي من ناحيه ثانيه، تنقسم إلى:

١: ما يميل إلى التسالم.

٢: وما يميل إلى التنازع.

فقد تكون ثقافه المبنى عليها الجماعه ثقافه سلام، وقد تكون بالعكس، كما أن الاجتماع قد يحبذ السلام، وقد يحبذ النزاع، وطبقاً لذلك فالجماعه أيضاً تميل إلى أى منهما.

أما المحيط الطبيعي فالمحيطات الحاره ذات أمياه الثقيله أقرب إلى تربيه الجماعه خشنه الأخلاق، بينما المحيطات الباردة بالعكس تربي الجماعه جانحه إلى السلام، ولا يخفى أنه بالإمكان تبديل الثقافه الخشنه في المجتمع إلى الثقافه المسالمه، وكذلك المحيط الطبيعي بتغيير الماء والهواء، بصنع الأنهار الجاريه، ولو من الآبار الارتوازيه، فإن الماء الجارى يكون خفيفاً من جهه كثره مرور الهواء في داخله، بالعكس من الماء الراكد الموجب لثقله، ثم يصفى الماء من المواد العالقه، حتى يخف ولا يؤثر في أحداث الأرياح الغليظه في البدن، مما يسبب سوء الهضم والمرض، وأخيراً سوء الأخلاق.

وأما الهواء فبكثره التشجير والأحواض والنافورات، والساحات العامه الملطفه بالماء والشجر، وقد استخدمت حكومه بعض البلاد خبراء لتخفيف حر الصيف حيث كان يصل إلى خمس وخمسين درجه، بالإضافة إلى رطوبه الهواء والغبار مما يزيد الأمر إعضالاً، فقالوا بأن التخفيف ممكن بقدر عشر

درجات، إذا غرست الدوله مائه وعشره ملايين شجره.

ثم للطعام أيضاً الأثر البالغ فى السلام والتزاع، كما أن المنهج الحيوى المقرر له تأثيره أيضاً.

فالأطعمه الباردة طبعاً، تسبب ميل الإنسان إلى البروده المنتجه للسلام، وبالعكس من ذلك الأطمعه الحاره.

وإذا كانت الأنظمه شرعيه، والمواعيد مضبوطه، والمشاكل محلولة بمناهج سهله و... مالت الأمزجه إلى السلام، بينما العكس يكون مبعثاً لخلاف ذلك.

روى حبيب الخثعمى، عن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أفضلكم أحسنكم أخلاقاً، المؤطون أكنافاً، الذين يألون ويؤلفون وتوطأ رحالهم» (١).

وعن القداح، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «المؤمن آلف مألوف، ولا خير فى من لا يآلف ولا يؤلف» (٢).

وقال على (عليه السلام) كما فى (نهج البلاغه): «قلوب الرجال وحشيه، فمن تألفها أقبلت عليه» (٣).

وعن ابن سنان، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً، قالوا: بلى يا بن رسول الله، قال: الهين القريب، اللين السهل» (٤).

وعن على بن دعبل، عن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن على (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «المؤمن هين لين سمح، له خلق حسن، والكافر فظ غليظ، له خلق سىء، وفيه جبريه» (٥).

ص: ١١٥

١- الكافى: ج ٢ ص ١٠٢.

٢- الكافى: ج ٢ ص ١٠٢.

٣- نهج البلاغه: قصار الحكم ٥٠.

٤- الوسائل: ج ٨ ص ٥١١.

٥- الوسائل: ج ٨ ص ٥١١.

وفى رسالته الذهبيه للإمام الرضا (عليه السلام): «إن قوى النفس تابعه لمزاجات الأبدان، ومزاجات الأبدان لتصرف الهواء، فإذا برد مره وسخن أخرى تغيرت بسببه الأبدان وتابعه الصور، فإذا استوى الهواء واعتدل صار الجسم معتدلاً، لأن الله عز وجل بنى الأجسام على أربع طبائع، على الدم، والبلغم، والصفراء، والسوداء، فاثنان حاران، واثنان باردان، وخولف بينهما، فجعل حار يابس، وحار لين، وبارد يابس، وبارد لين، هم فرق ذلك على أربعة أجزاء من الجسد، على الرأس، والصدر، والشراسيف، وأسفل البطن» (١)، إلى آخره.

النضج الفكرى يقلل النزاعات

النضج الفكرى يقلل النزاعات

ثم إن الجماعه كلما قربت إلى الفهم مالت إلى المعايشه بسلام مع كل الجماعات، سواء جمعهم الإطار العام أم لا، وإنا نرى أن البلاد الأورويه تحاربت طويلاً ثم سالمت بعضها البعض، لكنها لم تصل بعد إلى المسالمة مع العالم الثالث مثلاً، حيث إن استعمار فرنسا وبريطانيا وغيرهما لا زال موجوداً، بينما إنا نجد أن البلاد الإسلاميه حيث ابتعدت من الكتاب والسنة تحارب بعضها بعضاً فى سبيل الأوهام، بمختلف أنواع المحاربه.

ولو أخذت الدنيا بالعقل والعدل اختفت الحروب، حيث إن سبب الحروب والمنازعات إما الأوهام، وإرادته كل أن يتقدم مما ليس حقه، وإما المال حيث يستغل بعضهم بعضاً، فالاتحاد السوفياتى وأمريكا مثلاً يحاربان الشعوب، الأولى لحب السلطه، والثانيه لحب الثروه، أما بريطانيا فإنها تحارب لأجل أن لا ترجع إلى مكانها اللائق بها مما يقضيه حجمها الواقعى.

ص: ١١٤

لا يقال: فكيف الإسلام يحارب.

لأنه يقال: إنه يحارب:

١: لأجل الدفاع عن نفسه أمام المهاجمين، وهذا بسببهم لا بسببه.

٢: لأجل إعلاء كلمة الله وإنقاذ المستضعفين، حيث يريد إنقاذ الناس من الخرافة، أو إنقاذ المستضعفين من براثن المستغلين والمستكبرين، فيحارب الذين انحرفوا لأجل إزاحتهم فقط، ويقدر أقصى الضرورة.

٣: لأجل إخماد البغاه الذين بغوا، وكل ذلك يرجع إلى رد الاعتداء، لا الاعتداء، وذلك لا ينافي ما ذكرناه من أن العقل والعدل يوجبان اختفاء الحروب.

ولذا كان الوعي من أوليات لوازم العيش بسلام للجماعة مع الجماعات الأخرى، فإن فهم أن عدم الانسجام ينتهي إلى سقوط عدم المنسجم بنفسه، يوجب الانسجام والوئام، ولذا ورد في الحديث، إنه سئل (عليه السلام) عن الحيلة، فقال: «في ترك الحيلة»^(١).

أنواع التسالم

أنواع التسالم

ثم اللازم أن لا يكون التسالم والتعاون ناشئاً عن الاحتياج، وإلا لم يكن له فضليه أولاً، ولا دوام له ثانياً، بل اللازم أن يكون عن علاقة وحب لنوع الإنسان، وقد قال الإمام الحسين (عليه السلام) لأهل الكوفة: «إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم»^(٢).

ص: ١١٧

١- بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٣٨٢ ب ١٨.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٥١.

وعليه، فالتسالم على ثلاثة أنواع:

(١) أن يكون لعدم التصادم فى المصالح.

(٢) أن يكون للاحتياج والترابط فى المصالح.

(٣) أن يكون لأجل الإنسانية والفضيله.

وهذا الثالث بالإضافه إلى أنه معنى سام، أدوم وأبقى وأكمل وأجمل، وقد سمي بعض علماء الاجتماع القسم الثانى بالوحده الميكانيكيه، والقسم الثالث بالوحده الحيويه.

وحيث إن أفراد الجماعه المتشكله لا يمكن أن يكون تسالمهم من القسم الأول، كان لا بد وأن يكون من أحد القسمين الأخرين، من غير فرق بين أن يكون الاحتياج فى القسم الثانى مادياً، كما إذا تشكلوا لأجل مطعمهم ومسكنهم، أو معنوياً كما إذا تشكلوا لأجل العلم والثقافه والفن ونحوها.

ثم إنه كلما كان الانسجام بين أفراد الجماعه أكثر، بأن كانت الأنفس مماثله فى التربيه، كان التحام الجماعه أكثر وكان التقدم أسرع وكانت النتائج أكبر، وبالعكس من كل ذلك ما كان الابتعاد بين النفسيات أكثر، لعدم وحده التربيه، بله ما إذا كان بعض سىء التربيه.

طرح تحقيق الانسجام

طرح تحقيق الانسجام

والانسجام الأكثر يتحقق بأمر:

الأول: قله أفراد الجماعه بالحد المحتاج إليه فقط، إذ كون الأفراد أقل من المحتاج إليه يوجب عدم إمكان الوصول للهدف، مثل سياره تحتاج إلى أربع عجلات، بينما لها ثلاث عجلات.

كما أنه كلما كان الأفراد أكثر من الاحتياج كان الانسجام أبعد، إذ تزداد الروابط الموجهه لبطء تقدم الجماعه، مثلاً

إذا احتاج الأمر إلى خمسة أعضاء فصعد العدد إلى سبعة، كانت الأكثرية المطلوبة لحسم الاختلاف أربعة، بينما الخمسة الحسم يكون بثلاثة، ومن الواضح أن الحصول على الثلاثة أسهل من الحصول على أربعة.

ويمكن أن يقال ذلك ببيان آخر، فإنه إذا كان الاحتياج إلى اثنين فصاروا ثلاثة، كانت الروابط في الثلاثة ثلاثاً، بينما الروابط في الاثنين واحد فقط، والرابط الواحد أخف ثقلاً من ثلاث روابط، فإن إرضاء إنسان واحد أسهل من إرضاء إنسانين، وهكذا إذا صار في المثال الأعضاء أكثر من ثلاثة.

الثاني: أن يكون الاجتماع أكثر مدّة وأبعد عمقاً، فإن الجماعه التي تتجمع كله ليله ثلاث ساعات مثلاً، أكثر انسجاماً من التي لا تجتمع إلا في الأسبوع مره وهكذا.

ولذا قسم بعض علماء الاجتماع الجماعه إلى الابتدائيه والثانويه، وجعل من الأولى مثل العائله، ومثل الأصدقاء، وجعل من الثانيه مثل الجمعيات المتداوله، حيث إن أفراد الأولى أكثر انسجاماً، لطول مدته الصحبه، بينما الثانيه ليست كذلك لقصر مدته الصحبه.

والبحت الحر النزيه غير المشتمل على الجدل والمراء بين أفراد الجماعه، يوجب متانته الرابطة وقوه العلاقه، وذلك لأن نقاط الاختلاف تقل، بل قد تختفي نهائياً.

وبالعكس من ذلك إذا تحكمت الديكتاتوريه بين أفراد الجماعه، حيث إنها تؤول إلى الشتات والفرقه.

الثالث: أن تقل في الجماعه أسباب الفرقه، فإن الجماعه إذا كان فيهم سبب أو أسباب للفرقه، يكون التجانس بينهم أقل، وربما آل إلى التشتت، فالعائله الواحده ذات الأديان المختلفه، والألوان السياسيه المختلفه

والتصادم المصالحى، مثل جماعه بقالين، كل يريد كسب المشتري من الآخر، والانتهزام النفسى فى بعض الافراد لأكثره علم أو مال أو مكانه الآخر، حيث تثير تلك الأمور فى المتأخر حس الغبن والضعه، لا تنسجم أفرادها كما تنسجم أفراد العائله إذا لم تكن كذلك.

ولذا نشاهد أن الجماعات التى تهاجر عن وطنها بالطرد أو غيره، والجماعات التى تهاجم من قبل أعدائها، أو تبلى بالكوارث الطبيعىه، أو ما أشبه ذلك، تنحطم بسرعه، بينما ليست كذلك أحوال الجماعه المستقره.

بين الجماعه والأعضاء والجماعات الأخرى

بين الجماعه والأعضاء والجماعات الأخرى

بقى شىء، وهو أن اللازم فى الجماعه ملاحظه ثلاثه أمور:

١: حاله الجماعه مع جماعه أخرى.

٢: حاله أعضاء الجماعه مع نفس الجماعه.

٣: حاله بعض أعضاء الجماعه مع بعض الأعضاء الأخر.

أما الأولى: فهى على ثلاثه أقسام:

أ) الحياديه بينهما، وتلك توجب عدم التأثير والتأثر بينهما.

ب) النزاع، وذلك يوجب تماسك كل جماعه حول نفسها، والتنافس بينهما لأجل السبق وكسب المغانم.

ج) الصداقه، وهى إن كانت فى سبيل الهدف أوجبت التعاون والتقدم، وإن كانت خاليه عن ذلك لم تضر ولم تنفع، لكن الغالب كون الصداقه فى سبيل الهدف المشترك.

وأما الثانيه: فإن الجماعه إذا خالف بعض أعضائها لها، كانت بقدر تلك المخالفه راكده، وبالعكس إذا كان الانسجام التام، ومعنى هذا القسم

أن تكون الأ-كثريه الكاسحه إلى جانب، بينما الأقلية إلى جانب آخر، والغالب أن يكون الخلاف والوفاق تابعين لحسن الإدارة في الاجتماع وسوئها، واللازم اهتمام الجماعه لعدم حدوث مثل هذا الانشقاق.

وأما الثالثه، قد يكون الأعضاء مع الأعضاء في حاله:

أ) رقابه، ومثل هذه الحاله توجب التقدم، إذ التنافس الحر يوجب استشاره الأعضاء لئلا يتأخر بعضهم عن بعض، والإداره الحازمه تجعل التنافس والرقابه بين الأعضاء، لكن اللازم أن لا يصل التنافس إلى حاله العداه وما أشبه.

ب) العداوه، وفي هذه الحاله تهدد الجماعه بالانفصام، وتكوين كل جماعه منها جماعه جديده، بالإضافة إلى وقوف تقدم الجماعه، بل تأخرها.

ج) الصداقه، وحالها كما تقدم في الحاله الأولى.

ثم إن الجماعتين المعاديتين أو المتصادقتين، قد يكون بعض أعضائها على خلاف المجموع، بأن تكون صداقه بين بعض أفرادهما في المتعاديه، وبالعكس في المتصادقه.

بين الفرد والجماعه

(مسأله ١٥): الجماعه، سواء كانت كبيره كالاتماع، أو صغيره كجمعيه اقتصاديه أو ثقافيه، كالنهر الجارى لها وحده واحده، وإن تبدلت أجزاءها، فالأجزاء تتجدد:

١: من حيث الكم، حيث فى الاتماع الكبير يموت الفرد ويولد الفرد، وفى الاتماع الصغير يدخل عضو جديد ويخرج عضو جديد.

٢: ومن حيث الكيف، حيث يصعد الاتماع وينزل، من حيث الأخلاق والدين والاقتصاد والسياسه وغيرها، وكذلك فى الاتماع الصغير من حيث النشاط والخمول، والأعمال الموجهه لصعوده أو نزوله اجتماعياً. والجماعه دائماً توجه أفرادها إلى:

(١) جهتها العلميه، فإن لكل جماعه ثقافه خاصه، تهتم الجماعه بالسير فيها، والتبنى لها.

(٢) وجهتها العمليه، حيث إن كل جماعه _ غير الفكرية البحثه وهى قليل _ لها هدف تسير إليه، وذلك ما لا يكون إلا بالعمل.

والتوجيه:

١: فى الأوليات، بأن يقبل الفرد الانضمام إلى الجماعه والسير فى ركابها.

٢: وفى الثانويات، بأن يقبل الفرد التعمق فى الثقافه الخاصه بالجماعه.

والفرد السطحي يقبل الأول بينما الفرد العميق يقبل الثاني.

كما أن العضو:

(١) قد يكون عضواً حقيقياً سجل نفسه مع الجماعه ويشاركهم في كل شىء.

(٢) وقد يكون عضو شرف لا يشاركهم إلا في بعض الأمور، سواء كان (عضو شرف) يشرفهم لرفعه مكانه، أو يتشرف بهم لضعفه مكانه.

والجماعه:

١: قد تستفيد من الفرد أكثر مما تفيده.

٢: وقد يكون الأمر بالعكس.

٣: وثالثه بين الأمرين تساو.

٤: وقد يكون العضو ضاراً محضاً، لكن اللابديه توجب إبقاءه.

والجماعه تؤثر في الفرد أثرين:

(١) الأثر العمدي، بتريه الاجتماع للفرد.

(٢) الأثر التلقائي، بتأثر الفرد بالجماعه لاتخاذهم أسوه.

ويرى الأثران في العائله بالنسبه إلى الأولاد، حيث إن الأب مثلاً يربى ولده، بينما الولد يتعلم من أبيه السلوك تلقائياً.

وكذلك الحال في الجمعيات الاصطناعيه والاجتماع الإنساني.

الانغلاق والانطلاق والانفلاق

الانغلاق والانطلاق والانفلاق

والجماعه _ وكذلك الاجتماع _ تنقسم إلى:

١: المنغلق، حيث تقدس نفسها وتريد كل خير لنفسها، بينما لا ترى

محاسن الغير، ولا- معايب نفسها، وهذه الجماعه أنانيه جاهله منكمشه، لا يمر زمان _ طال أو قصر _ إلا وينفض الناس من حولها، وأحياناً تخسر حتى جماعتها بالتبدد والاضمحلال، وتسمى هذه بالجماعه المنغلقة.

٢: والمنفتح، حيث إنها ترى معايب نفسها كما ترى محاسنها، وترى محاسن غيرها كما ترى معايبها، وهذه الجماعه تأخذ في الصعود، ويلتف الناس حولها، وهي جماعه واقعيه مثقفه متواضعه خيره، وتسمى: المنطلقه.

٣: والمنبهر، حيث إنها ترى معايب نفسها ومحاسن غيرها، ولا ترى محاسن نفسها ولا معايب غيرها، وهي عكس الأولى تماماً، وهي جماعه منهزمه مهزوزه جاهله، لا يمر زمان _ طال أو قصر _ حتى تتشقق، ويؤول أمرها إلى الفناء والاضمحلال وتسمى المنفلقه.

وحيث يكثر القسم الأول (المنغلق) في الأفراد والجماعات والجمعيات، نبه الإسلام إلى أضراره وأمر باجتنابه.

قال علي (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام): «يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لها، ولا- تظلم كما لا- تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستتبح من نفسك ما تستتبعه من غيرك، وأرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك»(١).

وقال (عليه السلام): «وكفى أدباً لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك»(٢).

وقال (عليه السلام): «كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك»(٣).

ص: ١٢٤

١- نهج البلاغه: الكتب ٣١.

٢- نهج البلاغه: قصار الحكم ٣٦٥.

٣- نهج البلاغه: قصار الحكم ٤١٢.

وقال (عليه السلام): «ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه» (١).

وقال (عليه السلام): «أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله» (٢).

دور الثقافة في حركة المجتمع

دور الثقافة في حركة المجتمع

ثم إن الثقافة الاجتماعية لها حاله التأثير، والإنسان له حاله التأثير، والتأثير والتأثر قد يكون عميقاً، وقد يكون سطحياً، والعميق قد يكون سريعاً، وقد يكون بطيئاً:

١: فالطفل يتأثر بثقافة الاجتماع سريعاً، لأن ذهنه لم يغرس فيه ثقافته غيرها، حتى يصعب إزاله تلك الثقافة، ثم غرس غيرها مكانها، ولذا ورد (العلم في الصغر كالنقش في الحجر).

٢: أما من يقلع عن مكانه لهجره اختياراً، أو تهجير قهراً، فإنه حيث يرد المجتمع الجديد ذا الثقافة المغايرة لثقافته سابقه، كان نفوذ الثقافة الجديدة فيه بطيئاً، وأحياناً يتحفظ في باطنه بثقافته نفسه، وإنما يلون سطحه فقط بالثقافة الجديدة.

٣: وهكذا حال من يدخل مؤسسه ونحوها، كمن يدخل في وظيفه الدوله أو في حزب أو جمعيه أو ما أشبه، حيث يرتطم بالثقافة الجديدة الخاصه بتلك المؤسسه، فإنه يصعب نفوذ الثقافة الجديدة فيه، وربما لا تعدو أن يكون التلون بها سطحياً.

ص: ١٢٥

١- نهج البلاغه: قصار الحكم ٣٤٩.

٢- نهج البلاغه: قصار الحكم ٣٥٣.

٤: وأما الثقافه الغازيه، فإنها تجرف المجتمع المغزى سطحياً فقط، إلاّ- في النادر من عباد الأجانِب، وإلاّ في ما كانت الثقافه الوارده أصلح للحياه وأكثر ملائمته للفطره، حيث إن الخرافه والأغلال السابقه كانت على خلاف الفطره.

وهذا هو سر ما نجده من عدم نفوذ الثقافه الاستعماريه في البلاد الإسلاميه، وقد دامت في بعض البلاد أكثر من ثلاثه قرون، كالهند وإندونيسيا، أو أكثر من قرن كما في الجزائر، حيث إن تلك الثقافه الغازيه ليست إلاّ خرافه وأغلالاً، نعم الصناعه حيث كانت أكثر ملائمته للطبع نفذت بسرعه، وتقبلتها البلاد بكل ترحاب.

والعكس من ذلك ثقافه الإسلام عند ظهوره، حيث دخلت البلاد بكل ترحاب من الأهالي، لما وجدوا فيها من الحقيقه والحريه.

قال تعالى: {إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً} (١)، وقال: {يحل لهم الطبيات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم} (٢).

وهذا هو سر قوله سبحانه: {ليظهره على الدين كله} (٣)، فإن صانع السياره يوم كانت وسائل النقل الدواب، وصانع الكهرياء يوم كانت وسائل الإناره الزيت، كان يحق له أن يقول: سوف تنسخ الدابه أمام السياره، والزيت أمام الكهرياء، لأن الأمر لا يعدو أن يفهم الإنسان طبيعه الإنسان.

ثم إنه إذا كانت لإنسان ثقافتان فلا يخلو:

ص: ١٢٤

١- سوره البقره: ال آيه ١١٩.

٢- سوره الأعراف: الآيه ١٥٧.

٣- سوره التوبه: الآيه ٣٣.

١: من كونها ثقافه مجتمعين ظاهر تين.

٢: أو ثقافه جماعته ومجمعه.

فالأول: كما إذا كان ذا وطنين مثلاً، حيث يلتقى بالثقافتين، وهذا فى الغالب يأخذ منهما، وإن كان لا يتظاهر بالثقافه العميقه عنده فى المجتمع غير المثقف بتلك الثقافه العميقه.

والثانى: تصبح الثقافه الخفيه فيه عميقه، والعليه سطحيه، كما فى المذاهب الأقليه والأحزاب السريه، وإنما تكون العليه سطحيه لاضطراره إلى المماشاه والمداراه.

أما الثقافه الخفيه، فلأنها:

(١) تكون لكثره التلقين عميقه، حيث إن الجماعه المحيطه به يضطرون إلى التلقين المداوم، لئلا يذوب فى وسط المجتمع الذى لا يعتقدون به.

(٢) ولتكون العرف الخاص حوله، إذ الأ-كثريه لا- يرتبطون به ارتباط الأقليه، فهو بحكم كونه فيهم، لا بد له من التعاطى أخذاً وعطاءً، وذلك يوجب تعميق الثقافه.

(٣) ولأنه يريد أن لا تخيب ثقته التى وضعتها الجماعه الخاصه فيه، فإن الإنسان فطر على جذب الناس، وتخيب ثقته الناس يوجب انفضاضهم من حوله، وهذه الإراده توجب تعميق الثقافه فيه، وقد ورد: «إن المرء على دين خليله»^(١).

والجماعه المنسجمه لأجل هدف ما، لها جانبان:

١: الوجوه المشتركه بين أعضاء الجماعه.

٢: والوجوه الخاصه بكل فرد فرد، أو بكل تجمع صغير فى داخل الجماعه.

وما دامت الوجوه المشتركه أقوى من الوجوه المختلفه، فالجماعه

ص: ١٢٧

بخير، وكلما كثرت وازدادت الوجوه المشتركة كان الانسجام أكثر والتقدم أسرع، وإذا انعكس الأمر، آلت الجماعه إلى الشتات والبعثره.

ومن ينفصل عنها، إن كان فيه داعى الهدف قوياً كوّن بنفسه جماعه جديده، أو التحق بجماعه يشبهها هدفاً، وإن كان الداعى فيه ضعيفاً عاش فردياً بلا انضمام.

الانضمام إلى الجماعات

الانضمام إلى الجماعات

ثم إن الانضمام إلى جماعه ما، يحتاج إلى أخلاقيات خاصه، فليست الجماعه ترفاً فكرياً، أو لهواً عملياً، بل الالتحاق الذى ينبع من نفس الإنسان يحتاج إلى تحمل المتاعب والاتهامات والمشاكل، والقدرة على الأخذ والعطاء، وإلى آخره.

ولذا نرى بعض الأفراد يلتحقون بجماعه ما، ثم سرعان ما ينفصل عنهم بأعذار، والعذر الحقيقى الذى لا يبيديه غالباً، هو عدم كفاءته بالنسبه إلى الأخلاقيات التى تتطلبها الجماعه.

ثم الملتحق بجماعه جديده، إذا كانت لغه المضيف تخالف لغه الضيف، سواء كان ذلك من جهه الهجره، أو من جهه أن الجماعه ذات لغه خاصه لا بد له وأن يتعلم تلك اللغه، وليس تعلم اللغه مشكله واحده، وإنما هى مشاكل، إذ يلزم عليه أن يحتوى الآداب والرسوم والعلوم المرتبطه بتلك اللغه.

فليس الأمر كالماء وآب، بل أعمق من ذلك، مثلاً (الصلاه) فى دين الإسلام شعائر خاصه، بينما ترجمتها فى اللغه المسيحيه تعطى شعائر آخر، وإذا اضطر الإنسان إلى جماعه هكذا، يضطر ثالثاً إلى الشطب على معلوماته الموازيه لألفاظه، فالأمر هو:

١: تعلم لغه.

ص: ١٢٨

٢: وما يوازيها من المعانى.

٣: والشطب على ما يوازي لغته السابقه من المعانى.

٤: ويأتى دور أمر رابع صعب عليه أيضاً، هو تغيير العادات والتقاليد السابقه إلى العادات والتقاليد الجديده، وإلا لم يتمكن من الانسجام، وكان فى السجن الانفرادى إلى أن يفصل.

٥: ويأتى بعد ذلك دور المناخ فى مثل المهجر، حيث اللازم أن يتشقف بالثقافه الملائمه للمناخ الجديد، إذ الاطلاع على كيفيه العيش فى المناخ نوع ثقافه أيضاً.

ولذا ورد: إن أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) لما وردوا المدينه مرض أكثرهم، حتى اعتادوها، وعلموا كيف يعيشون فيها.

موقف الجماعه تجاه المنضمين إليها

موقف الجماعه تجاه المنضمين إليها

هذا كله من ناحيه الضيف، أما من ناحيه المضيف، فلا بد أن يتقبل الضيف وذلك ما يسمى بالتقبل الاجتماعى، بأن يستقبله، وينسجم معه، ويعطيه العمل ولوازم بقائه المعنويه والماديه.

ومن المعروف أن كل بلد يردده الإنسان أو جماعه يصير عضواً فيها له سم، والمراد أن عدم الانسجام الابتدائى _ حيث إن الانسجام يحتاج إلى مده طويله أو قصيره _ لابد وأن يهيج ضد الضيف الجديد، بما يلفحه مادياً أو معنوياً، وأحياناً يوجب ذلك السم إخراج الضيف عن البلد أو الجماعه.

ولهذا السبب كانت قد جرت العاده فى البلاد الإسلاميه على أن ينتقل

الزوج إلى بيت عائلته الزوجه، أو بالعكس، لأن الزوجين من جهه عدم انسجامهما قبل ذلك لابد وأن يتصادما، بما يورث الشقاق أو الطلاق، أما إذا احتفا مما يقرب ثقافتها إلى الآخر تدريجاً يحصل الانسجام التام مما يكون أول لبنه للحياه العائليه.

ومن أفضل الطريق لتعود حياه خارجين عن ثقافه جماعه، أن يختلطوا بأولئك الجماعه مده، لا ليعلموا ثقافتهم، فإن ذلك يحصل من الكتاب، ولا ليتعلموا لغتهم، فإن ذلك يحصل بالعلم، بل ليروا حياتهم، ويمتزجوا بهم امتزاجاً حتى يتلونوا بلونهم، فإذا رجعوا إلى بلادهم حملوا تلك الثقافه علماً ولغاً وعملاً إلى بلادهم.

وقد نبه الإسلام إلى ذلك، بقوله سبحانه: {وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقه منهم طائفه ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون} (١).

وقد أراد الله في الحج، وفي زياره الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمه الطاهرين (عليهم السلام) ذلك، حيث يختلط المسلمون بعضهم ببعض، ولذا جعل تعالى حرمه {سواء العاكف فيه والباد} (٢).

وكان من صنع المستعمرين أن جعلوا الحجيج لا يختلط بعضهم ببعض، وإنما لكل جماعه مكان خاص، وكيفيه خاصه، لعدم توحيد المسلمين حياه.

وكان مما عملته الحوزات العلميه في مثل النجف وكربلاء وقم وخراسان، أن لا- يجعل التميز في المدارس والدروس والاجتماعات، فالفارسي إلى جنب العربي والهندي والتركي وهكذا.

ص: ١٣٠

١- سوره التوبه: الآيه ١٢٢.

٢- سوره الحج: ال آيه ٢٥.

وقد أخذ المستعمرون بالخطه الإسلاميه، حيث الاختلاط فى الكنائس ونحوها والمعاهد ونحوها، وحيث يستضيفون كل عام جماعات من البلاد ليختلطوا معهم ويتلونوا بلونهم، فإذا رجعوا إلى بلادهم بعد انتهاء الضيافه لونوا بلادهم بلون المستعمر حركه وأسلوباً وتفكيراً، بل ومنطقاً، وحيث إن البلاد المضيفه فيها إغراءات كثيره من كل لون بما يفقدها الضيوف فى بلادهم، يحاول الضيوف بعد رجوعهم إلى بلادهم تلوين بلادهم بلون بلاد المستعمر.

ولذا فمن الضرورى على البلاد الإسلاميه:

١: المنع عن مثل هذه الأسفار.

٢: تهيئه الجو الإسلامى المناسب للطلاب ونحوهم الذين يذهبون إلى تلك البلاد، فى فنادق خاصه بالمسلمين، لئلا يمتزجوا بحياه أولئك، ويجب أن تعطى تلك الفنادق وسائل الراحة الفكرية نزلها بما لا يكون جو تلك البلاد أكثر إغراء.

٣: إعادته استضافه المسلمين إلى بلاد الإسلام المتقدمه مع تهيئه الأجواء المناسبه.

٤: ترفيع مستوى بلاد الإسلام المتقدمه صناعياً وزراعياً وسياسياً واجتماعياً، حتى يمكن أن تتخذ أسوه، وتكون جذابه ولو بنسبه ضعيفه، بالمقارنه إلى بلاد المستعمرين.

فلقد كان من أسباب تقدم الإسلام السريع بدء بزوغه، أن بلاد الإسلام كانت خيراً من البلاد الأخرى، حتى إذا جاءها الأضياف رأوا فيها من العدل والأمن والحرية والرفاه والعلم والنظافه وحسن الخلق والصفات الرفيعه، ما لم يكونوا يجدونه فى بلادهم، ولذا كانوا يسلمون، ويكونون دعاه إلى الإسلام

ص: ١٣١

فى بلادهم، ويطورون بلادهم على صورته البلاد الإسلاميه.

الإسلام والحريه الثقافيه

الإسلام والحريه الثقافيه

كما أنه كان من أسباب تقدم بلاد الإسلام: اختلاط الثقافات المختلفه، لما وفره الإسلام من الحريه والجذب لمختلف الناس، فقد اختلطت ثقافه العرب بثقافه مصر وإيران والهند والعراق وغيرها، ومن الطبيعى أن يأخذ الاجتماع بأحسن الثقافات، حاله حال الفرد الذى يتسوق حيث يشتري البضاعه الأحسن من غيرها.

ونشاهد فى العصر الحاضر، أن من أسباب قوه الاستعمار فى أمريكا وبريطانيا وفرنسا، نفس نفس هذا السبب، فأمریکا مكونه من ثقافات مختلفه، وبريطانيا تموج فيها ثقافات الكومنولث ذات خمس وأربعين دوله، وفرنسا تلونت بألوان ثقافات المستعمرات التى تتكلم بلغتها، وهى كما فى بعض الإحصاءات أربعمائيه وخمسون مليوناً من البشر، ما يقارب عُشر العالم، بينما البلاد الإسلاميه ذات الألف مليون مسلم، تقطعت قطعه قطعه بينها التدابر والتناكر والتحارب.

وكذلك تعلمت جملة من البلاد الحاضره من الإسلام، عدم الضغط على الثقافات المختلفه، فإن ذلك كان من إبداعات الإسلام، بما لم يكن له مثيل فى العالم قبل الإسلام، حسب ما حفظ التاريخ.

فقد قرر الإسلام فى باب العقيدته: {لا إكراه فى الدين} (١)، وإنما أنذر من لم يقبل الصحيح عن تعقل وتدبر بالحياه الضنك فى الدنيا والخساره الفادحه فى الآخره، حيث قال سبحانه: {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه * وهو

ص: ١٣٢

فى الآخرة من الخاسرين} (١).

وقال تعالى: {ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشه ضنكاً * ونحشره يوم القيامة أعمى} (٢).

كما أن الإسلام فى باب العمل، قال: «لكل قوم نكاح» (٣).

وقال: «ألزموهم بما التزموا به» (٤).

وقال: «لحكمت بين أهل التوراه بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، بين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم» (٥)، إلى غير ذلك.

وقال بالنسبه إلى كل من العقيدة والعمل: {لكم دينكم ولى دين} (٦).

وقال: {إن هذه تذكره فمن شاء ذكره} (٧).

وقد ذكرنا فى الفقه: (الجهاد) و(القضاء والشهادات) بعض الكلام فى هذه المسأله.

فإن الإنسان إذا رأى الحق ولم يكن ضغط لابد وأن يستجيب له، إن قريباً أو بعيداً، قال سبحانه: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه} (٨).

وقد استمر المسلمون بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا النادر جداً على ذلك، حيث لم يحفظ التاريخ أنهم أجبروا كافرين على ترك عقيدته، أو بالتخلى عن شريعته وإن كان مشركاً بالله، ولذا لم يضغظ الرسول (صلى الله عليه وآله) على مشركى بدر بعد الأسر، وعلى كفار مكه، ويهود خبير، وكفار الطائف، فى عقيدتهم أو عملهم.

ص: ١٣٣

١- سورة آل عمران: الآيه ٨٥.

٢- سورة طه: الآيه ١٢٤.

٣- تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣٨٧.

٤- الوسائل: ج ١٧ ص ٥٩٨.

٥- بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٣٨٧.

٦- سورة الكافرون: الآيه ٦.

٧- سورة المدثر: الآيه ٥٥.

٨- سورة التوبه: الآيه ٦.

أما المستعمرون الذين أرادوا فرض ثقافتهم على غيرهم بالقوة، فكان الطريق مسدوداً أمامهم ولم يجنوا من ذلك إلا الكره والنفرة، ورفض الشعوب لهم في أول فرصه، ولا- أدل على ذلك من القرون الوسطى في أوروبا، حيث الظلم الفظيع ومحاكم التفتيش وما أشبه.

ص: ١٣٤

التعديل الاجتماعي

(مسأله ١٦): الاجتماع تدريجياً يجعل لنفسه قوانين يراها ملائمه لحياته النفسيه والجسميه، سواء كان جعل اقتباسياً، كالذين يتدينون بدين السماء، أو اختراعياً، كالذين يخترعون القانون.

وحيث إن الاجتماع يرى ملائمه تلك القوانين كان لابد له من مراعاتها، لكي لا تنهدم وينهدم بسببه الاجتماع الآمن، إذ القانون الملائم إذا انهدم فإما أن ينهدم أصل الاجتماع بالتفرق والتشتت، وإما أن ينهدم أمن الاجتماع، بابتلائه بالفوضى وعدم الملائمات النفسيه أم الجسميه، مثل القلق والقحط والمرض مثلاً.

ولأجل سلامه القوانين يركز الاجتماع على قانونين:

أ: قانون الجذب، حيث يجذب إلى قوانينه الأفراد والجماعات، ليهضمهم في داخله، ولا يسمح أن يكون فرد أو جماعه حيادياً عن قوانينه، لأن من يتمتع بخيرات الاجتماع لاحق له في عدم مشاركته الاجتماع، فإن الاجتماع يسدى إلى الفرد الحمايه والتعاون والأمن وغير ذلك، واللازم في مقابل ذلك أن يلتزم الفرد بقوانين الاجتماع.

فإذا لم يلتزم عاقبوه بالهجر والتقييح والكشع عنه وعدم الاحترام وعدم التعاون معه، وأحياناً يصل العقاب إلى الشده والخشونه معه.

ب: قانون الدفع، حيث إذا رأى الاجتماع من فرد أو جماعه خرق قوانينه بما يراه ضاراً، ضيق على الخارق بما يراه مناسباً لخرقه، ولا يتمكن

الخارق أن يحتج بأنه حر، إذ يرده الاجتماع بأنه لا حريه لأعداء الحريه، وهذان البندان (أ _ ب) هما اللذان يسميان بالتعديل الاجتماعى.

إشكال التعديل الاجتماعى

إشكال التعديل الاجتماعى

وللتعديل الاجتماعى صورتان:

أ) الإقناع حيث الاجتماع يمدح المستقيم على قوانينه، ويذم المنحرف، سواء كان مدحاً وذماً عملياً أو لفظياً، فمثلاً الكاسب الحسن الأخلاق يلتف الاجتماع حوله بالبيع والشراء، وإمام الجماعه الزاهد يكثر مأمومه، والخطيب البارع يكتظ مجلسه، والفقير الورع يكثر ملقوده، فإذا انحرف هؤلاء عن تلك الصفات ذمهم الاجتماع عملياً بالانفضاض من حولهم.

وكذلك لا ينتخب الاجتماع فى الحكومات الاستشاريه الشخص الذى لا يراه مناسباً، لعدم سيره وفق المقررات الاجتماعيه، وإذا سبق أن انتخبه ثم ظهر انحرافه سحب البساط من تحته وأسقطه، بله إنه لا ينتخبه فى مره ثانيه.

أما الحاكم الديكتاتور المحتمى بالسلاح حيث لا يتمكن الاجتماع من تعديله ولا من سحب البساط عن تحته بالإقناع بالسلام، فإنه يعامله الاجتماع بالصوره الثانيه، وهى:

ب) الإيجاب بمثل الضرب والشتم والسجن وما أشبه، سواء تحقق ذلك بواسطه الدوله، أو بواسطه من له القدره على ذلك، والإيجاب قد يصل إلى الإعدام، وليس ذلك لفائده المعدم، وإنما:

١) لتطهير الاجتماع عن لوثه.

٢) ولتنفير غيره ممن يمكن أن تسول نفسه القيام بمثل عمل الخارق.

ومما تقدم يظهر أن الضغط الاجتماعى لأجل التعديل:

ص: ١٣٦

أ: إما بدنى، كالضرب والإجاعة ونحوهما، و يدخل فى هذا الباب فرض الحصار الاقتصادى ونحوه.

ب: وإما روحى، بالشتيم والإهانة، وفرض الحصار الاجتماعى بعدم التكلم معه وعدم احترامه فى المجالس، وعدم إعطائه الصلاحيه لمقام سياسى أو إدارى أو ما أشبه ذلك.

وقد روى فى تفسير قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ (١١) الآية، أن ثلاثة من الصحابه لم يأتروا بأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) فى الاشتراك فى الحرب، فضرب الرسول (صلى الله عليه وآله) عليهم حصاراً اجتماعياً، بأن أمر المجتمع بعدم التعامل معهم، ثم لما تابوا ورجعوا إلى الطاعه رفع (صلى الله عليه وآله) الحصار عنهم.

لكى يكون التعديل الاجتماعى ناجحاً

لكى يكون التعديل الاجتماعى ناجحاً

ثم إن الخارج عن قوانين الاجتماع، مما يسلط الاجتماع ضغطه عليه:

(١) إن أحب الاجتماع لا يقوم بعداء الاجتماع، بل يعدل سلوكه أو يلائم، وإن رأى صحه سلوكه وخطأ الاجتماع، كما إذا أدب الآباء الأولاد.

(٢) وإن لم يحب الاجتماع قام بعدائه، وربما أخذ فى الإفراط فى انحرافه انتقاماً من الاجتماع الذى ضغط عليه.

ولذا فاللازم على الاجتماع أن يلاحظ الأهم والمهم فى كيفية الضغط، حتى لا يوجب الضغط الأسوأ، فإنه يكون حينئذ كالفرار من الرمضاء إلى النار، وقد عزل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أبا الأسود الدؤلى قاضيه العادل التزيه،

ص: ١٣٧

فقال له: يا أمير المؤمنين، لم عزلتني وما خنت ولا جنيت، قال (عليه السلام): «لأنك يعلو صوتك صوت الخصمين» (١).

وقال الرسول (صلى الله عليه وآله) لمن أتى بأسارى اليهود: كيف تمر بالنساء على قتلاهن، فكأن الله نزع الرحمه عن قلبك.

ومنع عن التمثيل بالكفار بعد الموت، وقال (صلى الله عليه وآله): «لا تمثلوا... وإياكم والمثله ولو بالكلب العقور» (٢)، إلى غير ذلك.

إذاً فاللازم:

١: أن تكون العقوبه بقدر المخالفه بدون زياده، ولو بإهانته ونحوها.

٢: الاهتمام بأن تكون رادعه، لا تشفياً ونحوه.

٣: أن يلاحظ الأهم والمهم بكل دقه، فلا تجرى العقوبه إذا كان العفو أفضل.

ولذا ورد: أن الرسول (صلى الله عليه وآله) عفى عن أهل مكه، وقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» (٣).

وعفى على (عليه السلام) عن أهل البصره، وقال: «مننت على أهل البصره، كما من رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أهل مكه» (٤).

وكذلك عفى (عليه السلام) عنم بقى من الخوارج، وعنم ظفر به من أهل صفين.

وقال (عليه السلام) لشاب سارق: ما تحفظ من القرآن، قال: سوره البقره، قال (عليه السلام): «قد عفوت عنك لسوره البقره»، إلى غير ذلك.

فالمهم فى الاجتماع أن يعمل لأجل إيصال المفرد، وإرجاع المفرد، لا أن تطبق العقوبه حرفياً، فكيف بما إذا زيد عليها، وهذا هو الذى يسمى

ص: ١٣٨

١- مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ١٩٧.

٢- نهج البلاغه: كتب ٤٧. عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٣- الوسائل: ج ١١ ص ١١٩ الباب ٧٢ من أبواب جهاد العدو ح ١.

٤- انظر الجواهر: ج ٢١ ص ٣٣٤» وانظر الوسائل: ج ١١ ص ٥٨ الباب ٢٥ من جهاد العدو ح ٦.

بروح القانون، وجعل ذلك إلى يد ولي الأمر، قال سبحانه: {هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب} (١).

وقال تعالى: {سماعون للكذب أكالون للسحت، فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم} (٢).

إلى غيرهما من الآيات والروايات بهذا لصدد، حيث إن ولي الأمر هو الذى يشخص روح القانون عن مادته الهامده.

المتمدون بين المحيط الطبيعى والمحيط الاجتماعى

المتمدون بين المحيط الطبيعى والمحيط الاجتماعى

ثم إن حال الاجتماع مع الفرد المنحرف، حال المحيط الطبيعى معه، مع فارق أن الأول يعمل حسب موازين العقل، ولذا يتحمل الضغط عمن يضغط، بينما الثانى يعمل حسب القانون الخاص به بدون مرونة وتحمل ضغط.

فالإنسان إذ جاع مات، وكذلك إذا عطش، أو لفحته الحرارة، أو عضته البرودة، أو ما أشبهه، إذا وصل إلى حد عدم تمكنه من المقاومة، أما الذى يدرّب حتى يتمكن من المقاومة الأكثر، فإن عدم موته لأجل أنه خرج عن قانون طبيعى ودخل فى قانون آخر، لا أن الطبيعه انسحبت أمامه.

أما الاجتماع الضاغط، فإنه يرجع المفرط والمفرط إلى الاعتدال المطلوب له، وكثيراً ما يستحق أحدهما عقوبه، لكن الاجتماع يلاحظ الأهم والمهم، فيترك أصل العقوبه أو قدر الاستحقاق، فإن الإنسان ليس كالشجر اليابس، بل كالغصن الرطب، ولذا يخطأ الذين يتصورون أن الإنسان يستجيب للأوامر فى باب الترييه والإطاعه.

ص: ١٣٩

١- سوره ص: الآيه ٣٩.

٢- سوره المائده: الآيه ٤٢.

إن الفلاح يدخل البستان، فيقطع ما شاء ويشذب ويهذب ويغرس وما أشبهه، كل ذلك والأشجار تستجيب ولا تبدى مخالفه، أما الإنسان فليس كذلك، وإنما التربيته والطاعه إنما تكونان مع السير في قانون أن الإنسان يحتوى على العواطف والأفكار والحاجات والصفات.

وكذلك الحال في رد المنحرف إلى الصراط، أو عقوبته ولو بالإعدام، لأجل تطهير الاجتماع عن لوثه، وإخافه الآخرين أن لا يخرقوا مثل هذا القانون.

ثم إنا ذكرنا في كتاب: (الحدود) و(القصاص) وغيرهما، أن الذين يحكم الشرع بقتلهم قليلون جداً، مثل المرتد الذي لم يرجع، ولم يكن ارتداده بشبهه، والزاني إكراهاً أو بمحارمه أو ما أشبهه، أما غيرهم فالقتل له بدل، كالمحارب لله ولرسوله، والقاتل عمداً، وغيرهما، وفي أولئك الأولين للحاكم الإسلامى حق العفو، كما عفى على (عليه السلام) عن اللاطى مع أن حكمه القتل، فإذا رأى الحاكم الإسلامى العفو، ولو من باب الأهم والمهم حق له ذلك، على تفصيل مذکور فى تلك الكتب.

مصدر التعديل الاجتماعى

مصدر التعديل الاجتماعى

ثم إن المسلمين لا يختلفون فى أن مصدر التعديل الاجتماعى، هو ما يستفاد من الأدله الشرعيه: (الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل).

أما غير المسلمين فحيث إنهم يحكمون الآراء فى القوانين، كان لابد وأن يرى كل جماعه منهم قانوناً غير ما تراه الأخرى، وحسب ذلك القانون المصوب عندهم يضغطون على المخالف، فليس القانون الوضعى عندهم كالقانون الطبيعى، حيث إن الثانى مستند إلى الطبيعه لا يتغير ولا يتبدل.

بخلاف المسلمين، حيث إن القانون الوضعي عندهم كالقانون الطبيعي، لأن كليهما مستند إلى الإله الدائم الأبدى.

وقد صار عدم استناد القانون الوضعي إلى شيء دائم ثابت مصدر مأساه لغير المسلمين، إذ هم يفكرون ماذا هو الميزان، فهم يرون تساقط القوانين الواحد تلو الآخر بتبدل رأى الأكثرية، وباختلاف الأكثرية هنا عن الأكثرية هناك.

فهل الزنا واللواط والعادة السريه ونكاح المحارم و... حلال أم حرام.

وهل قتل الضعفاء والمبتلين بالأمراض التي لا يرجى شفاؤها والمعوقين و... جائز أو ممنوع.

وهل المرأه تدخل فى كل الأمور السياسيه والاجتماعيه والاقتصاديه و... مطلقاً أو بقدر، أو لا تدخل.

وهل الاقتصاد رأسمالى أو اشتراكى أو شيوعى أو توزيعى.

وهل الحكومه ديكتاتوريه البروليتاريا أو ديمقراطيه رأسماليه أو ديمقراطيه اشتراكيه.

وهل الإعدام صحيح أم لا، وهل...؟!.

كل ذلك، لا ميزان ثابت لها عندهم، ولذا ترى مجتمعاً يختلف رأيه زماناً عن زمان، يحرم شيئاً زماناً ثم يعود فيحلله، كما ترى مجتمعاً يختلف عن المجتمع الآخر، فهذا يجوز ما يمنعه الآخر، بل ربما شدد المنع، مثل استعمال المواد المخدره، فإنه مباح فى بعض بلاد أمريكا، بينما هو ممنوع أشد المنع فى بعض بلادها الآخر، مع أن الجميع فى إطار عام للدولة المتحده سياسياً، إلى غير ذلك من الأمثله.

ثم إن الاجتماع الذى جعل العقوبه على المخالف، قد يكف عن العقاب، فلا ينزل عليه العقاب المقرر، بأن يغض النظر عنه، أو ينزل عليه عقاباً خفيفاً، وذلك بملاحظه قانون الأهم والمهم، حيث يرى أن إنزال كل العقاب أو بعضه يوجب فوات شيء أهم، فيصرف النظر عن قانون المهم رعايه لقانون الأهم، وربما يسمى ذلك بالمداراه الاجتماعيه، والغالب أن تكون المداراه

(١) المكانه الشخصيه لخارق القانون، حيث إنه كما كان ذا مكانه أرفع كان الإغماض عنه أكثر:

أ: وهذا أحياناً يكون لصرف التملق ونحوه، وذلك ليس بمستحسن، بل هو موجب لزوال الأمه، حيث إن الكبراء إذا أساؤوا إن عفى عنهم سرى ذلك إلى سائر الطبقات، ويكون الحاصل هدم القانون الموجب لهدم الاجتماع، ولذا أصر الرسول (صلى الله عليه وآله) على قطع يد المرأه الشريفه فى قومها لئلا ينهدم القانون.

ب: وأحياناً يكون لقاعده الأهم والمهم، مثلاً محسن كبير أساء إساءه، وعقابه يوجب قطع إحسانه، فيرى العقل ترك عقابه دواماً لإحسانه، أو أن رئيس الجيش قد خان، فإذا أخذ بخيانتة، لم يهتم بالجيش مما يسبب الانكسار أمام الأعداء، فتركه والإغضاء عنه إنما هو لأمر أهم.

ولذا عفى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن حاطب، حيث رأى أن بقاءه أهم من عقابه، حيث خان بالكتابه إلى أهل مكه.

ولا يخفى أنه كما أن بين التهور والشجاعه خيط رفيع، وبين الكرم والإسراف كذلك، كذلك بين (أ) و(ب)، فاللازم ملاحظه أن المورد من أيهما حتى لا يوضع (ب) مكان (أ)، ولا العكس.

أما إذا انقسم العرف إلى قسمين، وأنه هل المورد من هذا أو ذاك، فاللازم إجراء أصل تنفيذ القانون، إلا إذا ثبت خلافه، وهذا يشبه ما يقال فى الأصول والفقه بأن المرجع لدى الشك الأصول العمليه.

ثم إن المكانه الشخصيه لخارق القانون قد توجب العكس، أى إنه إذا

كان عادياً أمكن الغض عنه، لأن القانون ليس بتلك الأهميه التي توجب تتبع جزئيات مخالفه، كما إذا سرق فقير أجره سياره الدوله، فلم يدفعها لأنه لا يملكها، ويحتاج إلى السفر، فإنه أمر يغض عنه أحياناً، بينما إن الخارق إذا كان غير عادى أخذ بالخرق من جهه لزوم مراعاة المكانه بكل نظافه لنوع الخارق بكل دقه، كما إذا كان الخارق عالماً أو واعظاً أو ما أشبهه، وقد قالوا إن (زله العالم زله العالم).

وقد قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «قسم ظهري اثنان: عالم متهتك، وجاهل متنسك» (١).

وفى الحديث: «إن الله يغفر سبعين ذنباً للجاهل قبل أن يغفر ذنباً للعالم» (٢).

٢: أزمته الاضطرابات، فإن الاضطراب يوجب تشديد المجتمع العقاب بالنسبه إلى بعض أقسام الخرق، بينما يوجب تخفيف العقاب أو تركه بالنسبه إلى بعض آخر من أقسام الخرق، مثلاً فى أيام القحط، يصرف المجتمع نظره عن سارق الطعام لأجل سد جوعه، بينما ليس كذلك حال الرفاه، ولذا ورد فى الشريعه: عدم قطع يد السارق أيام المخصه.

وبالعكس من ذلك أيام الحرب، يعاقب من يتصل بالعدو عقوبه شديده، بينما ليس كذلك أيام الهدنه، إلى غير ذلك من الأمثله.

٣: كون العضو الخارق منتسباً إلى جماعه يلزم عليها التشديد أو التخفيف بحكم مكانه الجماعه، مثلاً الخداع السياسى من فرد من الحزب يوجب تشديد العقوبه، بينما مثل ذلك الخداع من جماعه اقتصاديه لا يوجب

ص: ١٤٣

١- بحار الأنوار: ج ١ ص ٢٠٨.

٢- أصول الكافي: ج ١ ص ٤٧.

التشديد، ولذا كان للارتداد والزنا بالمحارم والزنا الإكراهي وما أشبه قوانين بالغه الأهميه في الإسلام، بينما الظهار واللعان ليس كذلك.

وليعلم أن الإسلام، حيث إنه دين الإنسان والحريات، قد قلل من القانون الكابت للإنسان، ولذا لا يتحقق موضوع النقض في كثير من التصرفات، بينما القوانين الوضعيه حيث كثرت لعدم جعلها الإنسان المحور، وإنما المحور الماده، قد كثرت من القوانين الكابته.

وكذلك بالنسبه إلى انحراف أخلاقي في مربي دين يوجب الصعوبه، بينما ليس كذلك الأمر إذا صدر ذلك من إنسان عادي، خصوصاً إذا كان بعيداً عن مراكز الدين ومواقع الفضيله.

٤: كون القانون الذي نقضه الناقض ذا أهميه أم لا، فإن كان ذا أهميه لا يرى الاجتماع مداراه ناقضه، بينما إذا لم يكن ذا أهميه رأوا فيه المداراه، وقد أشرنا إلى بعض تفصيل ذلك في كتب: (نريدها حكومه إسلاميه) و(السياسه) و(الحكم في الإسلام) وغيرها.

وقد ورد في أحاديث كثيره المداراه، لأنها في غير مقام الضروره أوجب لحسن الاجتماع وتقدمه.

فقد روى عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أمرني ربي بمداراه الناس، كما أمرني بالفرائض»^(١).

وعن الحسين بن الحسن، قال: سمعت جعفرأ (عليه السلام) يقول: «جاء جبرئيل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمد ربك يقرئك السلام، ويقول لك: دارِ خلقى»^(٢).

وروى السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ثلاث

ص: ١٤٤

١- أصول الكافي: ج ٢ ص ١١٧

٢- أصول الكافي: ج ٢ ص ١١٦.

من لم يكن فيه لم يتم له عمل، ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلق يدارى به الناس، وحلم يرد به جهل الجاهل» (١).

وروى مسعده بن صدقه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مداراه الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش» (٢).

وعن حذيفه بن منصور، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن قوماً قلّت مداراتهم للناس فألقوا من قريش، وأيم الله ما كان بأحسابهم بأس، وإن قوماً من غير قريش حسنت مداراتهم فألحقوا بالبيت الرفيع» (٣)، ثم قال (عليه السلام): «من كف يده عن الناس، فإنها يكف عنهم يداً واحده، ويكفون عنه أيدي كثيره» (٤).

إلى غير ذلك من الروايات.

ص: ١٤٥

١- كتاب الخصال: التعارف ص ١٤٣.

٢- أصول الكافي: ج ٢ ص ١١٧.

٣- أصول الكافي: ج ٢ ص ١١٦.

٤- أصول الكافي: ج ٢ ص ١١٧.

الجمع والجماعه

(مسأله ١٧): حيث إن الإنسان خلقه الله محتاجاً إلى بنى نوعه، لا- فى الجهات الجسميه فحسب، بل فى جهاته الروحيه أيضاً، كالعلم والعاطفه وإظهار الصفات وما أشبهه، يجتمع مع الآخرين فى اجتماعات صغيره، ثم كبيره. والاجتماع الذى يعيش الإنسان تحت ظله لا- يكفيه غالباً، فى ملئ رغباته، فيعمل لأجل أن يجتمع فى وحدات، وهذه تسمى بالجماعه، وهى غير (الجمع)، فإن الأول له الانسجام والدوام النسبى، بخلاف الثانى، فإن الجمع يطلق على ما له المواصفات التاليه:

الفرق بين الجمع والجماعه

الفرق بين الجمع والجماعه

١) الجمع يجتمع تلقائياً، وبدون سابق تخطيط له، كما إذا اجتمع جمع لأجل منظر، أو حادثه ساره، أو حريق، نعم يمكن أن يكون الجمع مقدمه (الجماعه)، كما إذا استغل بعض الجمع جماعه منهم لأجل تشكيلهم بسبب متابعه هدف خاص، قصير الأمد أو طويله، كما إذا حدث زلزال فاجتمع الناس، ثم استغل بعضهم فجمع جمعاً منهم لأجل تكوين جماعه لأجل تعمير مكان الزلزال، أو لأجل تكوين جماعه اقتصاديه دائمه، للقيام بالشؤون الاقتصاديه لتلك المنطقه.

٢) الجمع سريع الزوال، فكما يجتمع فجئاً ينفض فجئاً، وقد يسمى

بالغوغاء، وهذا يفسد أيضاً، قال (عليه السلام): «إذا اجتمعوا ضروا، وإذا تفرقوا نفعوا»^(١٧)، ثم فسر نفعهم في التفرق بأن كل واحد يذهب إلى عمله.

٣: الجمع ليس بين أعضائه تجانس، بخلاف الجماعه، فالجمع يجتمع تلقائياً، بينما الجماعه إنما تكون بين أصحاب أهداف مشتركه، فالجماعه السياسيه أو التربويه إنما تجتمع لأجل تسيير دفة السياسه أو لأجل تربيته المجتمع، بينما الذين يجتمعون لأجل منظر أو مأساه يدخل فيهم العالم والجاهل والعامل والبطال، وإلى آخره.

٤: الجمع يمكن بدون تجمع أفراده، كالذين يأتون لانتخاب النواب، حيث يأتي كل واحد ويذهب بدون تجمع بين أفراده، والذين يحضرون الولايم أفراداً، بينما الجماعه لا بد لها من التجمع، لأن الجماعه تستشير وتصمم وتوزع الأعمال، وكل ذلك يحتاج إلى تجمع ولو تلفزيونى.

العقل أم العاطفه

العقل أم العاطفه

٥: الجمع غالباً تحدوه العاطفه الشديده للتجمع والعمل، بدون تفكر فى العواقب، ولذا يذوب الفرد فى الجمع، حيث لا يرى إلاّ الجبهه التى ينساق إليها بسبب تلك العاطفه المشبوهه، والغالب أن الديكتاتوريين يستفيدون من هذه العاطفه فى سوق الناس إلى أهدافهم، ولذا نرى أن مثل ذلك يلازم تقديساً مطلقاً لديكتاتور هو وراء الإثارة.

لكن يلزم أن يعلم أن مثل هذه الحاله سواء كانت فى الجمع أو فى الجماعه لها رد الفعل من جهات:

أ: من جبهه أن العقل أخيراً يغلب على العاطفه، فينقلب العمل المعمول

ص: ١٤٧

فتره إلى أشبع صور الكره والذم، ويبقى الذم على القائمين بذلك طول المستقبل.

ب: سقوط الديكتاتور الذى وراء العمل سقوطاً هائلاً، حيث تتكشف عوراته وحيله ومكايده.

ج: تسلط الأعداء على مثل تلك الجماعه، حيث إن الأعداء يعملون بتعقل، والجماعه عملت بعاطفه، والعاطفه لا تتمكن من البناء فتسقط، بينما العقل يتمكن من البناء فيغلب.

ومن الأمثله فى العصر السابق: بنو أميه حيث استغلوا عواطف السذج ضد أهل البيت (عليهم السلام)، فتسلط عليهم أعداؤهم ونسفوهم بما بقوا لعنه التاريخ.

كما أن من الأمثله فى العصر الحاضر: هتلر، وستالين، وموسيلينى، وماو، حيث سقط كلهم سقوطاً ذريعاً، فانتحر الأول وقسمت ألمانيا، وأحرقوا الثانى بعد موته، وصار بلد الثالث مرتعاً للماسونيه وأعمال العنف إلى الآن، وصار ماو فضيحه التاريخ، وتغلب أعداء الصين عليه.

ومن الأمثله فى للبلاد الإسلاميه: أتاتورك والبهلوى وباسين وغيرهم.

٦: الجمع غالباً لا- تركيب ثابت له، بينما الجماعه بالعكس، فالجماعه لها أعضاء يغلب بقاؤهم، وتبدلهم قليل، أما الجمع _ كالذين يجتمعون لمشاهده زلزال أو مظاهره فجائيه أو ما أشبه _ فأعضاء منه ينصرف ويلحق إلى الجمع أعضاء آخر، ففى كل مده التجمع لا يكون الأعضاء باقين.

الإسلام يدعو إلى التعقل

الإسلام يدعو إلى التعقل

وحيث إن اللازم على الإنسان اتباع العقل، وإن كان فيه مراره عاجله وحرمان موقت، وعدم الانسياق وراء العاطفه، وإن كان فيه حلاوه وملاً غرور، فقد حذر الإسلام أكبر قدر من التحذير عن ترك التعقل والأخذ بالعاطفه، بل

أمر بالتعقل وما تقضيه الموازين الصحيحه.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «العقل حفظ التجارب، وخير ما جربت ما وعظك»^(١).

وقال (عليه السلام): «إن الشقي من حرم نفع ما أوتى من العقل والتجربه»^(٢).

وقال (عليه السلام): «أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق»^(٣).

وقال (عليه السلام): «لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل»^(٤).

وقال (عليه السلام): «لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً»^(٥).

وقال (عليه السلام): «إذا تم العقل نقص الكلام»^(٦).

وقال (عليه السلام): «لا مال أعود من العقل، ولا وحشه أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير»^(٧).

وقال (عليه السلام): «التودد نصف العقل»^(٨).

وقال (عليه السلام): «أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل»^(٩).

وقيل له (عليه السلام): صف لنا العاقل، فقال (عليه السلام): «هو الذى يضع الشىء مواضعه»، فقيل له (عليه السلام): فصف لنا

الجاهل، فقال (عليه السلام): «قد فعلت»^(١٠).

ص: ١٤٩

١- نهج البلاغه: الكتب ٣١.

٢- نهج البلاغه: ال كتب ٧٨.

٣- نهج البلاغه: قصار الحكم ٣٨.

٤- نهج البلاغه: قصار الحكم ٥٤.

٥- نهج البلاغه: قصار الحكم ٧٠.

٦- نهج البلاغه: قصار الحكم ٧١.

٧- نهج البلاغه: قصار الحكم ١١٣.

٨- نهج البلاغه: قصار الحكم ١٤٢.

٩- نهج البلاغه: قصار الحكم ٢٠٦.

١٠- نهج البلاغه: قصار الحكم ٢٣٥.

وقال (عليه السلام): «لا يغيث العقل من استنصحه»^(١).

وقال (عليه السلام): «ما استودع الله امرءاً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما»^(٢).

وقال (عليه السلام): «كفاك من عقلك ما أوضح لك سبل غيبك من رشذك»^(٣).

وقال (عليه السلام): «الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك»^(٤).

الانسجام بين أفراد الجماعة

الانسجام بين أفراد الجماعة

أما الجماعة، فقد عرفت أنها تتشكل من أفراد لهم هدف خاص، ولها دوام وفكره وأسلوب عمل، والانسجام بين الجماعة يقوى بكثرته التبادل والمشورة، كما أن السير نحو الهدف يزيد من الارتباط والانسجام.

وإذا كان إمام الجماعة من جماعه أخرى منافسه اشتد التجانس وكثر العمل، حيث إن التنافس من أقوى أسباب تقدم الإنسان، حيث جعل الإنسان على أنه لا- يتمكن أن يرى غيره متفوقاً عليه، فإذا أحس بتفوق غيره أوصار ذلك محتملاً، أخذ الإنسان في العمل الأكثر، وضغط على نفسه في الإبداع لئلا يسبقه غيره.

وهذه الحالة موجودة في الفرد، فإذا انضم الأفراد بعضهم إلى بعض صار التنافس أشد، لأن بعضهم يؤثر في البعض نشاطاً وتحفيزاً، والمنفعل بدوره يؤثر في الفاعل والآخرين، وهكذا.

ولذا فالجماعة بحاجة إلى أمرين:

(١) الفلسفة التي تجمعهم وتكون منهجاً لحياتهم الاجتماعية.

ص: ١٥٠

١- نهج البلاغه: قصار الحكم ١٨١.

٢- نهج البلاغه: قصار الحكم ٤٠٧.

٣- نهج البلاغه: قصار الحكم ٤٢١.

٤- نهج البلاغه: قصار الحكم ٤٢٤.

٢) العاطفه المشبويه التي تسيروهم وتحثهم على التقدم، فهما معاً ضمان بقاء الجماعه، فإذا فقدت الجماعه أحدهما تبددت واندثرت.

وكلما كانت فلسفه الجماعه ألصق بقلوبهم، كانوا مؤمنين بها إيماناً شديداً، وكلما كان الانبعاث العاطفى فيهم أكثر اشتدت أو اصر الجماعه، وكانت أكثر سرعه إلى الأمام، والعكس بالعكس.

كما أن الجماعه لو كانت جماعه جذبيه، أى بنيت على جذب الناس، كالجماعه الاقتصايه السهاميه، كان الأمران السابقان يوجبان انجذاب الناس إليهم أكثر، سواء الأعضاء أو المناصرون أو الموالون.

تأثير الجماعه فى الفرد

تأثير الجماعه فى الفرد

ثم إن الجماعه تسبب تغييراً فى أفرادها، والغالب أن يكون ذلك التغيير فى الأبعاد الخمسه الآتية، وهى:

١: تحطم الفرديه، حيث إن الجماعه تعطى سعه لأعضائها، مما يكون الفرد فى هذا الحال مثل القطره من الماء إذا وقعت فى إناء ماء حيث تتحطم فرديتها، وتأخذ فى السعه بقدر سعه مجموع الماء.

٢: الانصهار فى الجماعه، وهذا وجه آخر للأمر الأول، فالأول يسبب عدم عمل الفرد بمصالحه الشخصيه، وهذا يسبب عمل الفرد بمصالح الجماعه.

٣: إحساس الفرد بالأمن الذى لم يكن يحس بمثله حال عدم انضمامه، فإن الإنسان يحس بالغربه، حيث يخاف وقت بؤسه ومرضه وفقره وهجوم عدوه و... وحيث إن الجماعه تكفل قضاء الحوائج يحس المنضم إليهم

ص: ١٥١

بالأمن، وبقدر قدره الجماعه يكون الحس بالأمن أكثر وأعمق.

٤: إحساس المنضم إلى الجماعه بالقيمه بما لا يحس بمثله الفرد، إذ قيمه الفرد المنضم قيمه كل الجماعه، وقيمه كل الجماعه ليست قيمه كل فرد فرد، بل قيمه المجموع، فإذا فرضت قيمه كل فرد ديناراً كان قيمه عشره أفراد مائه دينار.

٥: شعور الفرد المنضم إلى الجماعه بالسعه في وجوده، حاله حال القطره المنضمه إلى إناء ماء، لكن السعه في القطره ماديه، وهنا معنويه.

أما استفاده الفرد من الجماعه ما لم يكن يستفيده لو كان فرداً، من التجارب العمليه، فذلك ما لا يحتاج إلى الذكر، فإن الحضاره عمليه قبل أن تكون علميه، والاجتماع يعطى الحضاره العمليه، ولذا لا يفهم الاجتماع إلا من كان في الاجتماع.

وقد قال علماء الأخلاق: الإنسان الذي يعيش بمفرده لا يسمى عادلاً ولا صادقاً ولا أميناً ولا وفياً ولا ما أشبه تلك، حيث إنها صفات عمليه، لا ذهنيه فحسب، فإذا كان في الاجتماع سمي صادقاً أو كاذباً، أميناً أو خائناً.

عوامل قوه الجماعه

عوامل قوه الجماعه

ثم إن قوه الجماعه وشده أو اصرها إنما تكون تبعاً للأمر التاليه:

أ) قوه الفلسفه التي بنت الجماعه نفسها عليها، فإن قوه الفلسفه المذكوره تعمق جذور الجماعه في نفوس أعضائها، وكلما حملت الجماعه القلوب أكثر فأكثر، كانت الجماعه أقوى وأبقى.

وقد ذكر علماء السياسه أن الدوله الدينيه الدنيويه أقوى وأبقى من الدوله المرتبطه بالدنيا فقط، لأن الأولى تحملها

القلوب والأبدان، بينما الثانية تحملها الأبدان فقط.

ب) الهدف الذى تتوخاه الجماعه، فإنه كلما كان أسمى كانت الجماعه أشد استمساكاً وأبقى زماناً، وذلك لأن الهدف الأسمى يجعل علاقه الناس بالجماعه أشد، فكم فرق بين أن يكون هدف جماعه إسلاميه إنقاذ المسلمين، وبين أن يكون هدفها تجميل مدينه، والفرق بين الفلسفه والهدف كالفرق بين قوه كتاب فى مطالبه، وبين الهدف المتوخى من ذلك الكتاب.

ج) ثم يأتى دور القيمومه، فكلما كانت القيمومه على الجماعه من كبارها أشد وأقوى، كانت الجماعه أمتن وأدوم، والعكس بالعكس، وقوه القيمومه وضعفها وإن كانا فى كثير من الأحيان تابعين للأفراد القائمين، إلا أن الأهم هى تركيبه الجماعه فإنها توجب القوه أو الضعف، فقد يكون نظام الجماعه بحيث يأتى إلى القياده بالأكفاء، وقد لا تكون التركيبه هكذا، حالها حال رجال الحكم، فقد ينظم القانون تنظيماً دقيقاً يأتى إلى الحكم بالأقدر والأفضل، وقد لا يكون هكذا.

د) وأعضاء الجماعه كلما كانوا أكثر طاعه للقياده، سارت الجماعه سيراً حسناً، ولذا كان من شرائط الإسلام: السمع والطاعه، ولا يراد بذلك التقليد الأعمى، بل كما قال على (عليه السلام): «وثقوا بالقائد فاتبعوه»^(١١)، حيث إنه إن ظهرت صحه الطريق يلزم كمال الإطاعه.

هـ) ثم كلما توسعت الجماعه فى أعضائها ومناصريها والمدافعين عنها كانت أقوى، إذ السعه تلازم كثرة الكفاءات والاستمراريه، ولذا تحاول

ص: ١٥٣

الجماعات دائماً توسعه عدد أفرادها، وقله أفراد الجماعة وإن كان لها مزايا، كما ذكرناها في بعض المسائل السابقة، إلا أن ما بصده نحن الآن إنما يكون بالكثرة، ولعل «يد الله مع الجماعة» يدل على هذه الجبهة أيضاً، حيث إن مناط الحديث يشمل كثره الأفراد.

(و) وكما كان نظم الجماعة أدق وأصح، كانت الجماعة أقوى وأدوم، إذ النظم يضع كل شيء موضعه، ويميز الواجبات والحقوق، مما يخفف الحمل ويوجب دوامها، والعكس بالعكس، وعدم السوابق اللامعه يوجب الضعف، ولذا كان اللازم على قياده الجماعة أن تهتم بالمردود، وأن تهتم بما يجعل للجماعة سوابق مشرقه، حتى تكون دافعه للأفراد إلى الأمام.

(ط) ويلزم المراقبه الدقيقه لقله الأخطاء، فإن قلتها توجب حراره القلوب حول الجماعة، بينما كثرتها توجب البروده والانفضاض، وهذا يجعل الفرد يتشوق إلى عمله أكثر فأكثر، بالعكس من الفوضى تماماً، أو في الجمله.

(ز) وإذا كانت الجماعة سريه، كلما كان السر أكتم بقيت الجماعة أسلم وقويت أكثر.

(ح) ثم يأتي دور مردود الجماعة وسوابقها، فإن الناتج كلما كان أكثر والسوابق أشرق، كانت علاقه الأفراد بالجماعة أكثر فأكثر، مما يوجب متانتها، وهذا من أسرار لزوم كون النبي والأمام (عليهما السلام) معصوماً.

(ي) ثم كلما قويت حاله الاستشاريه في الجماعة، كانت الجماعة أمتن، بينما حاله الديكتاتوريه توجب انفضاض القلوب وتحطم الجماعة.

منطلقات الجماعه

(مسأله ١٨): بعد طول تجربه الدنيا لأقسام الحكم، وصلت أخيراً إلى ما ذكره الإسلام من الاستشاريه، حيث إنها أدوم الأحكام وأحسنها، وتوجب ظهور الكفاءات واستقرار الناس وتعاونهم وقله المشكلات للحاكم والأمة على حد سواء.

ومن هذه الجبهه كان اللازم على الحكومات، وعلى جماعات الاستكشاف ممن لهم هدف في الكشف، أن تتعرف على منطلقات الناس في أعمالهم، من العقائد والصفات وغيرها، فإنه إذا اكتشفت الحكومه ذلك، تمكنت من إعطاء الرغبات، وحل المشكلات، وتعديل القوانين، بدون تصادم بالعقائد والمآرب.

فاستكشاف ذلك من قبيل الوقايه قبل المشكله، والعلاج بعدها، فإن مشاكل الأمم حالها حال مرض الفرد، فكما أن الطبيب الحاذق يحاول الكشف عن صحه الإنسان حتى لا يبتلى بالمرض، وإذا مرض قطع جذوره بالعلاج الملائم، كذلك إذا جست الحكومه نبض الاجتماع اطلعت على مكانن المشكله، ففعلت ما يوجب عدم استفحالها، فإذا برزت المشكله تمكنت من علاجها بما تنحل، فلا تبقى بله أن تستفحل.

أقسام الجماعه

أقسام الجماعه

ومن هذا المنطلق فقد قسم علماء الاجتماع الجماعه إلى أقسام:

١: الجماعة الاستعراضية، التي تعرض عضلاتها بالمظاهره أو يعطاء الشعار أو ما أشبه.

٢: الجماعة التضاديه، التي عملت الصدفه فى تجمعها، لأجل منظر مفرح أو مؤلم، كمجىء كبير أو فيضان أو نحوهما.

٣: الجماعة المنتظمه، كالجماعه التي تحضر مجلس الدرس أو الخطابه أو تمثيله أو ما أشبه.

٤: الجماعة الانفعاليه، كالتى يؤثر فيها شىء يهيج أعصابها، فتهتاج بالتصفيق والحركه وما أشبه.

٥: الجماعة المخربه التي تريد هدفاً _ بنفسها أو بتحريك محرك _ فتأخذ فى التخريب لأجل الوصول إلى هدفها.

٦: الجماعة المنظمه _ اسم مفعول من باب الإفعال، لا من باب التفعيل _ وهى التي انضمت أعضاؤها لأجل هدف خاص، أمثال الجماعة الاقتصادية والسياسيه ونحوهما.

٧: الجماعة المبعثره، وهى التي لا انضمام لها، وإنما كلها ذات طريقه واحده، أمثال هواه السباحه، والرياضيين، وقراء مجله كذا، ونظار التلفزيون الفلانى، ومثل هذه الجماعه هى الأكثر احتياجاً إلى معرفه نواياها وأهدافها وتطلباتها، إذ إنها هى التي لا يطلع على أحوالها ضمن مجموعته خاصه، ولذا يلزم استطلاع الحكومه عنها بصوره عامه، وهذه النوايا تسمى بالمطلب العمومى، أو العقيدته العموميه.

وقد يكون المطلب العمومى ظاهراً، وإنما الاستكشاف لأجل معرفه درجه الشده والضعف فى ذلك، مثلاً الحكومه تعلم أن نظار التلفزيون غير راضين

عن برامجها، لكن لا تعلم مقدار عدم الرضا، هل هو خمسون في المائة، أو أكثر أو أقل.

وإنما تريد استطلاع ذلك لأجل الموازنة بين الأهم والمهم، مثلاً الميزانية المخصصة للإعلام تصرف في الإذاعة والتلفزيون والصحف أثلاثاً، فإذا أريد تبديل برامج التلفزيون كلف ذلك نصف ميزانية الإذاعة والتلفزيون، فهل التبديل أهم حتى تنقص ميزانية تين، أم البقاء على ميزانيتها، لأن عدم رضى الناس بتقيص ميزانيتها أكثر من عدم رضاهم ببرامج التلفزيون.

ثم إن الشيء الذى يميل نحوه المجتمع، يصطلح عليه بأن له قيمة اجتماعية، وكلما كانت علاقه المجتمع به أكثر، كانت قيمته الاجتماعية أكثر، والعكس بالعكس، ومعرفة القيم الاجتماعية من أهم الأمور لدى الساسه، لأن كيانهم مرتبط بها.

التوعية الجماهيرية

التوعية الجماهيرية

ثم إن المجتمع ليس معصوماً، يعرف قيمه ذوات القيم، أو يعرف تفاهه ما لا- قيمه له، خصوصاً إذا عملت معه سياسه التجهيل والتضليل، وعليه فاللزام على المفكرين أن يعدلوا انحراف المجتمع الفكرى، حتى يعرف ما له قيمه من غيره، ويعرف قدر قيمه كل ذى قيمه، وهذا الأمر محتاج إليه فى حالتين:

١: حاله سيطره القوه، حيث إن الحكومات الديكتاتوريه تمارس سياسه التجهيل والتضليل، بواسطه أبواق دعايتها وأجهزه إرهابها، فإن الطبقة المستنيره تنسحب عند ذاك عن الميدان، ولا يبقى إلا الهمج الذين يسبحون

بحمد الديكتاتور، وعند ذلك لا تعرف العامه القيم من الزيف، كما لاتعرف مرتبه كل قيمه، ودرجه كل زيف.

وفى الحديث: «إذا ظهرت البدع فى أمتى فعلى العالم أن يظهر علمه فمن لم يفعل فعليه لعنه الله»^(١).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «ولولا... ما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظه ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها»^(٢).

فاللازم توعيه المفكرين للأمم، بما يوجب انقشاع الظلمات، ورجوع الأمه إلى حريتها، وعرفانها للقيم.

٢: حاله سيطره المال، فإن المال وإن لم يكن له القوه، إلا أنه أيضاً له دور خطر فى الدعايه والتعميه والإضلال، وربما كان هذا أسوأهما، لأنه يخدر بما يوجب اتباع الضحيه للجلاد، وقد ورد فى الحديث: «لعن الراشى والمرتشى»^(٣)، وأنه يسأل عن الإنسان يوم القيامه عن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه^(٤)، وقد ذكرنا فى كتاب (الفقه: الاقتصاد) أن رأس المال كيف يسيطر على المجتمع بما يخرب السياسه والقانون وغيرهما.

وهذا أيضاً يحتاج إلى توعيه الجماهير حتى لا يقعوا ضحيه التعميه والتجهيل.

كيفية استكشاف العقيدته الاجتماعيه

ثم إن عقيدته العامه^(٥) ونظرياتهم، ليست

بذلك الظهور حتى يتمكن تحصيلها

بذلك الظهور حتى يتمكن تحصيلها

ص: ١٥٨

١- وسائل الشيعه: ج ١١ ص ٥١٠.

٢- نهج البلاغه: الخ ط ٣.

٣- بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٢٧٤.

٤- بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٢٩٩، ومعدن الجواهر: ص ٤٩.

٥- أى عامه الناس فى كل مجتمع.

بسبب الإحصاءات الرسميه، بل ظهورها يحتاج إلى تعمق أكثر وتدقيق واسع، لأنه ليس كل أحد يستعد للكشف عن نظرياته في مختلف الأمور بمجرد سؤال صحفى أو نحوه، فإن اقتنع بمجرد الإحصاء لم يستفد المحصى ما يريده من الكشف حتى يرتب عليه أثره، فإذا حصل على شىء مخالف للواقع ورتب ذلك الأثر المرتب على المكشوف بقى الواقع يؤثر أثره، حاله حال ما إذا لم يقل المريض الواقع للطبيب، حيث إن دواء الطبيب لا يؤثر، ويبقى المرض يؤثر أثره.

ولذا اتجه علماء الإحصاء، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع إلى البحث حول السبل المنجعه لكشف عقائد ونظريات العامه خارج نطاق الإحصاءات الرسميه، مثل التوسل إلى رؤساء الأحزاب والمنظمات والجمعيات، ومراقبه أعداد قراء الجرائد ونظار المسارح ونحوها، وملاحظه أعداد الكتب ذات الاتجاهات الخاصه التى تباع وتتداول، إلى غير ذلك.

داء التعصب الاجتماعى

داء التعصب الاجتماعى

ثم إنه كما قد يبتلى الفرد بالمرض العضال مما يصعب علاجه، وقد يبتلى الاجتماع بذلك كما فى أيام الطاعون ونحوه، كذلك قد يبتلى الفرد أو الاجتماع بالمرض النفسى، ويسمى بالتعصب، حيث إنه انحراف فى العاطفه بدون المنطق، ولذا يصير على ما فى جانبه وإن لم يكن له دليل، ويرفض ما فى جانب طرفه وان كان له دليل.

كذلك قد يبتلى الحزب والجماعه بمثل ذلك.

وإذا اشتد التعصب حتى صار الفرد أو الاجتماع حساساً شديداً الحساسيه تجاه ما يذهب إليه، سمى ذلك بالعُقد، كأن النفس انعقدت على ذلك الجانب

بدون ملاحظه التوسط والحق، وقد أكد الإسلام فى آيات وروايات، على اجتناب مثل هذه الأمور، وتقدمت بعض النصوص فى ذلك.

الجماعات الضاغطة

ثم إنه لما كان للاتجاه العام، وللالاتجاه الخاص فى الأمور الخاصه، مثل اتجاه الأممه ككل فى الحرب أو السلم، واتجاه الاقتصاديين فى ترفيع الأسعار أو عدمه، وزن وقيمه فى سير دفة الأمور، حدثت فى العصر الحاضر طائفتان من جماعات الضغط:

الأولى: الذين يريدون إنقاذ الأممه من الانحراف الفكرى، الذى سببه الجهل، أو التجهيل من أصحاب المصالح المنحرفه، هؤلاء يضغطون على الاتجاه العام المنحرف حتى يستقيم، كى لا يخدع بسبب الخادعين، فيسير فى ضد مصلحه نفسه، ومثل هذه الجماعات الضاغطة تتشكل من المصلحين والمفكرين وأصحاب العقول الحره والأفلام النزيهه.

الثانيه: الذين يريدون استغلال الناس، لأجل أهدافهم وأغراضهم، فإنهم يحاولون أحد أمرين:

١: إما تحريف الاتجاه العام أو الخاص إلى جانبهم.

٢: أو فرض آرائهم على الناس.

وسائل الضغط

وضغط كلتا الطائفتين _ الأولى والثانيه _ يكون بأسباب، هى:

أ) الوسائل الدعائيه، حيث تحاول الجماعه الضاغطة السيطره على وسائل

الإعلام، من الكتب والإذاعة والتلفزيون والصحف والسينمات والمسارح وما أشبه ذلك.

ب) الوسائل الاقتصادية، مثل الرشوة والهدية والضيافة وما أشبهه، حيث إنها تؤثر في الفرد أو الجماعة التي يراد توجيهها، فإذا كان الهدف من ذلك شريفاً، أى تخليص الناس من الانحراف، كان حسناً، كما قرر الإسلام سهماً للمؤلفه قلوبهم، وإلا كان باطلاً وسيئاً.

ج) الوسائل الحقوقية، فإنه تسعى الجماعة الضاغطة لأجل سن قوانين بما يخدم اتجاهها، ولذا يحاولون النفوذ في المجالس التشريعية والقضاء والمحامين وما إلى ذلك.

د) الوسائل التخريبية، فإن الجماعة الضاغطة تحاول تخريب وهدم المقاومه سواء بالتصفيه الجسديه، أو تلوith السمعه، أو هدم مؤسسه أو جماعه أو جمعيه، أو ما أشبه ذلك، حتى يبقى الطريق منفتحاً أمام مآرب الجماعة الضاغطة، وبذلك تتمكن من النفوذ والتغيير.

الإعلام الصحيح والإعلام المزيف

الإعلام الصحيح والإعلام المزيف

ثم إن الإعلام لو كان لأجل الهدايه إلى الحق والإرشاد إلى الصحيح، سمي تبليغاً، وإن كان لأجل التحريف والإضلال سمي (دعايه)، وإن كانت هذه اللفظه تطلق على الأول أيضاً.

وحيث صار العالم الحاضر منحرفاً عن طريق الله سبحانه، وبذلك جعل المحور الدنيا، لا الدنيا والآخره كما جعله الإسلام، راجت أسواق الدعايه بالباطل، وخرج الإنسان عن محوريه الكون، إلى كون الماده محوراً، ولذا نجد مآسى الإنسان في هذا العصر أكثر من مآسيه في كل عصر مضى.

وقد اتخذ أصحاب الباطل الدعايه سبباً لرواج بضاعتهم، أخذاً من الإلحاد الشيوعى فى الشرق، إلى التثليث الرأسمالى فى الغرب، إلى ما يدور فى فلكهما، كالصهيونيه، والقوميه، والبعثيه، والوطنيه، والطائفه الضالاه، فى العالم الإسلامى.

والدعايه السيئه تلبس الحق بالباطل، وتزيف الحقائق، وتستفيد من جهل الناس، فتحملهم الأباطيل فى صوره حقائق، سواء فى العقيداه أو فى العمل أو فى البضاعه أو فى غيرها، وأخشى ما يخشى منه الدعائى هو النور، حيث يظهر الزيف عن الواقع.

وهذا الأسلوب وإن كان قديماً، حتى إن فرعون كان يقول عن موسى (عليه السلام): {إنى أخاف أن يبدل دينكم * أو أن يظهر فى الأرض الفساد} (١١)، و: {يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره} (٢)، إلا أن كثره الأدله وتقدم الوسائل والأسباب سببت تقويه ذلك فى العصر الحاضر.

ولذا كان اللازم على أصحاب الحق والفضيله، أن يفتحوا الطريق أمام البحوث الحره، ويهتموا بمختلف الوسائل لفضح الباطل اللابس ثوب الحق، ويكشفوا عن مواضع الإعلام الباطل، ومكانم الدعايه الزائفه، وبذلك يكون إنقاذ الضحايا، وسيأتى بعض الكلام فى ذلك.

طرق التزييف الإعلامى

طرق التزييف الإعلامى

وللدعايه المزيفه طرق كثيره، وقد كتبت فى هذا الشأن كتب سخرت لها

ص: ١٤٢

١- سوره غافر: الآيه ٢٤.

٢- سوره الشعراء: الآيه ٣٥.

أقلام اجتماعيه ونفسيه وتربويه، وهنا نذكر جمله من الأساليب التي يتبعها أصحاب الدعايات الباطله، وهى:

١: استغلال مواضع الضعف عند الإنسان، مثل حاله المرض والفقر والفوضى وما أشبه، حيث إن الإنسان فى هذه الأحوال هس النفس، سريع القبول، ولذا يشكلون من أمثال هؤلاء طابوراً خامساً لنيل أهدافهم، ومن هذا القبيل فتح الجماعات المنحرفه مدارس للعميان وللصم البكم وما أشبه، وتربيتهم تربيته منحرفه، ليكونوا آله هدم فى المستقبل.

٢: استغلال ضعاف الشخصيه لأجل قبول الدعايه، ثم النفوذ فى المجتمع من طريقهم كبعض النساء والأطفال والمعوقين.

٣: تسخير الألسنه المقبوله، مثل إرشاء خطيب أو مدرس أو مذيع أو ما أشبه، لينشر فى المجتمع ما يريدونه.

٤: التأثير فى الاجتماع بسبب أقلام الأدباء وقريحه الشعراء، إذ الأدب والشعر أنفذ إلى الاجتماع من غيرهما.

٥: التوسل بمختلف الإغراءات، أمثال صور النساء شبه العاريه وغيرها، وقد هيا المحاربون الصليبيون صورته للمسيح (عليه السلام) فى هندام شاب حسن الصوره، وصوره لنبى الإسلام (صلى الله عليه وآله) فى هندام بدوى خشن، وقد ضرب الثانى رأس الأول بالسيف حتى جرت دماؤه، فأخذوا يطوفون بهذا فى البلاد المسيحيه، وجمعوا بذلك أكبر قدر من المال والرجال، وفى المثل: (صوره واحده أنفذ من ألف كتاب).

٦: تحرى الجماعات لأجل نشر دعايتهم، مثل جمعيه خيريه، أو جمعيه الرفق بالحيوان، خصوصاً إذا كانت الجمعيه ذات عنوان براق وسوابق مشرقه.

٧: اللّٰي في اللسان، كما قال سبحانه: {يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب} (١).

مثلاً يخترع من نفسه كلاماً يشبه القرآن الحكيم في الأسلوب أو الاحاديث الشريفه، ليظن الجاهل أنه قرآن أو سنه فيقبل كلامه، فيقول كما ورد: (حشر مع الناس عيد)، أو يقول: (لا يوضع أحد في قبر آخر)، يريد بذلك الانسياق وراء الجهال وعدم التعرض لعمل الآخرين السيء.

٨: يكرر كلامه حتى يؤثر في السامع، فإن التلقين والإيماء بال تكرار لهما أثرهما الكثير، قال الشاعر:

أما ترى الحبل بتكراره

في الصخره الصماء قد أثرا

وقال أحد زعماء الإلحاد: (اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس).

٩: تحرى الحق النصفى، أى ذكر بعض الحق، والسكوت عن بعضه الآخر، مما يوجب بتر الكلام وتحريف الحق، مثلاً يحفظ فى الشريط (لا إله) ويسقط فيه (إلا الله)، فيظن السامع أن المتكلم كافر.

١٠: تأويل الحق باطلاً، أو الباطل حقاً، كما قال سبحانه: {يحرفون الكلم عن مواضعه} (٢)، مثلاً أوّل بعضهم: «أنا مدينه العلم وعلى بابها» (٣)، إلى أن المراد من (على) عال، أى رفيع، أو أوّل «لا أشبع الله بطنه»، أى حتى لا يأكل إلى حد الشبع.

ص: ١٦٤

١- سورة آل عمران: الآية ٧٨.

٢- سورة النساء: الآية ٤٦.

٣- إحقاق الحق: ج ٥ ص ٤٩٥، وكنز العمال ح ٣٢٨٩٠.

١١: إراءه ما يريدہ فی ثوب قشيب، بينما ليس الأمر بذلك الجمال، مثل تدليس القبيحه بالمساحيق لتظهر في مظهر الجميله.

١٢: الاستناد إلى أقوال العظماء ليوهم أن ما يقوله مأخوذ عنهم.

١٣: استعمال الأساليب المنفره عن الشيء الصحيح، مثل الاستهزاء بكلام صحيح، وبالعكس كالاستماع بكل جد إلى كلام باطل، ليوهم الآخر أن الأول باطل والثاني صحيح.

١٤: خلط الباطل بالصحيح حتى ينخدع السامع والقارئ والناظر بالصحيح الموجود في البين، فيظن أن كل ما يرى ويسمع صحيح.

إلى غير ذلك من الأساليب.

كيفية مجابهة قوى الضغط المنحرفه

كيفية مجابهة قوى الضغط المنحرفه

واللازم أن يعمل أمام الجماعات الضاغطة المنحرفه، أمور:

أ: كشف تلك الجماعات للملأ، حتى يفضحوا أمام الناس، فلا يجدوا مجالاً للتستر والإفساد باسم الإصلاح، قال سبحانه: {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} (١٢)، ويلزم أن تتم عمليه الكشف كماً وكيفاً في إطار الإسلام والإنسانيه لا غير.

ب: تثقيف الناس بالثقافه الصحيحه حتى يعرفوا الزيف من الحق، فإن الجماعات الضاغطة إنما يتسترون وراء الحق ليروجوا بضاعتهم الزائفه، فإذا انكشف الحقائق للناس، لم يبق مجال للظلام الذي يتلفع به الضاغطون.

ج: إيجاد حس الفحص والنقد في الناس، لئلا يقبلوا الشيء بدون

ص: ١٦٥

التدقيق حوله، وقد بنى الإسلام على العقل والبحث، وعدم الانسياق وراء التقليد والعاطفه، بل وحتى الظن.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَىٰ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (١).

وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٢)، إلى غير ذلك.

وحتى أن المشهور لزوم الدليل في أصول الدين، فلا يصح للمسلم أن يقبل أن الله واحد، أو عادل، أو أن محمداً (صلى الله عليه وآله) نبي، إلا بالدليل، ولذا دَوَّن علم الكلام.

فإذا قيل إن فلاناً رئيس مدى العمر، أو إنه أفضل من غيره، أو إن الاقتصاد الإسلامى كذا، أو إن اللازم للدوله جعل الدستور، أو... يلزم أن يسأل الإنسان لماذا.

ولا- ينفع أن تقول للمتسم أريكه الحكم: لماذا تفعل كذا، والحال أن الشعب غير مثقف، فإن الشعب غير المثقف هم الذين يمكنون له، بل اللازم أن يتثقف الشعب حتى لا يتمكن المتسم أن يعمل حسب هواه، ولذا قال على (عليه السلام): «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً» (٣).

فلم يخاطب القمه، وإنما خاطب القاعده، إذ القمه حصلت على امتيازات فلا يههما بعد ذلك أى شىء.

وبهذه المناسبه لأبأس أن نقول: إن المشكله فى البلاد الإسلاميه ذات

ص: ١٦٦

١- سوره يونس: الآيه ٣٦.

٢- سوره الإسراء: الآيه ٣٦.

٣- نهج البلاغه: الكتب ٣١.

الألف مليون مسلم ليس في حكامها، وإن كانوا هم الديكتاتوريين العملاء. وإنما المشكله في الأمة الإسلاميه نفسها، فهي إنها ربيت على بعض الإسلام، وهي الصلاه والصيام والمسجد والحسينيه والاحتفالات والمآتم وما إلى ذلك، وتركت بعض الإسلام الآخر، وهو:

(١) الثقافه الحيه الاجتماعيه وغيرها.

قال (عليه السلام): «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس» (١).

وفي حديث آخر: «عالمًا بأهل زمانه» (٢).

وفي وصف على (عليه السلام): «كان والله بعيد المدى، شديد القوى» (٣).

(٢) والسياسه، فلا يعرفون منها ما ينجيهم، وما يضع الحكام وأسياد الحكام عند حدهم، فكل بلاد الإسلام بين حكم وراثي أو حكم عسكري، ولا ثالث، أما الأمة فهي بمعزل عن الحكام، لا تملك من أمرهم شيئاً.

(٣) والاقتصاد الذي هو عصب الحياه، ولذا كان اقتصاد كل بلد إما رأسمالياً، أو شيوعياً، أو مزيجاً منهما. والغرب والشرق يذهب خيراتهم نهياً لا مثيل له في التاريخ، وإذا علمنا أن (الفقر سواد الوجه في الدارين) عرفنا لماذا المسلمون لا كيان لهم في العالم الحاضر.

(٤) وفهم خطط المستعمرين، وكيفيه تغلغلهم في البلاد، وكيف يمكن التخلص منهم واقعاً، لا صوراً.

ومادام هذا الجزء من الإسلام مشلولاً، عاش المسلمون في ضياع.

د: الجماعات المضاده للجماعات الضاغطة، حتى يتحرى هؤلاء مواضع

ص: ١٦٧

١- تحف العقول: ص ٢٦١.

٢- أمالي الطوسي: ص ١٤٦.

٣- نهج السعاده في مستدرک نهج البلاغه: ج ٣ ص ١٩٩.

حركه أولئك ويطلبوا كيدهم ويردوا مكرهم إلى نحورهم، وفي المثل: (لا يفيل الحديد إلا الحديد).

وتدخل الجماعات المضاده للجماعات الضاغطة فى ميزان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإنهما وإن كانا واجبين على كل مسلم ومسلمه، كما يدخل البنود (أ - ب - ج) أيضاً فى موازين إسلاميه آخر، إلا- أن عدم تأتى الأمر والنهى كاملاً- أمام الجماعات الضاغطة إلا بهذه الصوره يجعل الوجوب لها آكد.

وقد حرص الإسلام على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بأبلغ تحريض.

قال الله تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} (١).

وقال على (عليه السلام): «أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُيُودَنَا يُعْمَلُ بِهِ، وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِيَ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ وَتَوَرَّ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ» (٢).

وفى كلام آخر له (عليه السلام) قال: «فَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ، فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ، وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ، فَذَلِكَ مَتَمِّسِكُ بِخِصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَمُضَيِّعُ خِصْلَةٍ، وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ، فَذَلِكَ الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخِصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ، وَمِنْهُمْ تَارِكُ لِإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ، فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ وَمَا أَعْمَالُ

ص: ١٤٨

١- سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

٢- نهج البلاغه: قصار الحكم ٣٧٣.

الْبِرِّ كُلِّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنْفَتْهِ فِي بَحْرِ لُجْئِي، وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرَّبَانِ مِنْ أَجْلِ وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةٌ عَدَلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ» (١).

وقال (عليه السلام): «أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ، الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا وَلَمْ يُنْكَرْ مُنْكَرًا، قَلْبَ فَجَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، وَأَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ» (٢).

إلى غيرها من الآيات والروايات الكثيره جداً.

ص: ١٦٩

١- نهج البلاغه: قصار الح كم ٣٧٤.

٢- نهج البلاغه: قصار الحكم ٣٧٥.

الأدوار الاجتماعية

(مسأله ١٩):

١: الاجتماع يتجزؤ إلى رتب اجتماعيه، كل فرد فى درجه خاصه منها.

٢: والإنسان فى درجته الاجتماعيه له مكانه خاصه به، وتسمى بالمكانه الاجتماعيه.

والفرق بينهما بالعموم المطلق، فكل مكانه اجتماعيه لابد وأن تكون تحت درجه اجتماعيه خاصه، وليس كل درجه تلازم المكانه.

٣: ثم الفرد يقوم بدور اجتماعى حسب مكانته غالباً، وذلك الدور ينقسم إلى:

أ) دور محول إليه.

ب) ودور هو يقوم به خارج ما حول إليه.

٤: ثم للإنسان تحرك اجتماعى فى رتبته ومكانته:

أ) أحياناً أفقياً.

ب) وأحياناً عمودياً.

٥: وأخيراً يأتى دور تأثير الأمور السابقه فى حياه الإنسان الفرديه، والاجتماعيه:

أ) الاجتماع الخاص به، كما إذا كان عضواً فى جماعه.

ب) والاجتماع العام، أى المجتمع.

وقبل ذكر تفاصيل هذه الأمور نذكر قطعه من كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حول الرتب الاجتماعيه:

قال (عليه السلام): (واعلم أن الرعيه طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولاغنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامه والخاصه، ومنها قضاء العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزيه والخراج من أهل الذمه

ومسلمه الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجه والمسكنه. وكل قد سمي الله له سهمه، ووضع على حده فريضه فى كتابه أو سنه نبيه (صلى الله عليه وآله) عهداً منه عندنا محفوظاً» (١).

أقول: لعل المراد بالسهم نصيبه وحقه، وبالفريضه واجبه الذى يجب عليه أن يأتى به، فإن الحق فى قبال الواجب.

أما تفاصيل البنود والتى ذكرناها فى البدء فهى كالتالى:

مقياس الرتب الاجتماعيه

مقياس الرتب الاجتماعيه

الأول: الرتب الاجتماعيه، عباره عن مثل رتب العلماء، ورتبه المعلمين، ورتبه الخطباء، ورتبه التجار، ورتبه الجنود، ورتبه العمال، ورتبه الفلاحين، وما أشبه ذلك، فكل جماعه لهم تمايز عن جماعه أخرى تسمى رتبته.

وهناك أقوال أخر لعلماء الاجتماع فى وجه تمايز رتبته من رتبته:

أ) فالشيوعيون ذهبوا إلى أن تمايز معيار الرتب مالكيه وسائل الإنتاج والقدره الناشئه من ذلك، وعليه فالاجتماع رتبتان أساسيتان الملاك وغيرهم، والأولون ينقسمون إلى كبار الملاك وصغارهم.

وفيه: إنهم إن أرادوا صرف الاصطلاح فلا- مشاحه فيه، فهو مثل أن نقسم الناس إلى رتبته الرجال، ورتبه النساء، ورتبه الخنائى، وإن أرادوا الواقع فقد ثبت فى العلم بطلان النظرية القائله بأن الاقتصاد هو البناء التحتى للمجتمع.

ثم على فرض تسليم أنه البناء التحتى، فأى ربط بين ذلك وبين انقسام رتب

ص: ١٧١

الاجتماع بالنسبه إلى ذلك.

ب) وذهب آخرون إلى أن التمايز ينشأ من تصور كل جماعه لأنفسهم ميزه خاصه، مثل أن من تصور أنه من الأشراف حشر معهم، ومن تصور نفسه من العلماء حشر معهم، وهكذا، وإن لم يكن في الواقع من أولئك.

وفيه: إن الأمر واقعي لا- تصوري، فحشر غير العالم لا يجعله من رتبه العلماء، كما أن حشر العالم نفسه مع الجنود مثلاً لا يجعله من رتبه الجنود.

ج) وذهب ثالث إلى أن المعيار في الرتبه الشغل.

وفيه: إنه في الجملة وإن كان صحيحاً، إلا أن الشغل يعطى التصنيف لا الرتب، فالتجار رتبه واحده وإن كان شغل جماعه منهم التجاره في الأراضي، وآخرين التجاره في الأسهم والسندات، وثالث التجاره في مواد الإنشاء، وهكذا بالنسبه إلى أصناف سائر الرتب.

د) ومن ذلك ظهر بطلان قول القائل: إن منشأ الرتب مقدار الدخل ومصدره أو محل السكونه ونحو ذلك، فإنه وإن كان صحيحاً أن جماعه يسكنون محلاً خاصاً، ينضم بعضهم إلى بعض في كثير من الشؤون، كما أنه وإن كان صحيحاً أن المتساوين في الدخل لهم أحكام جامعته، مثل كون عيشهم شبه متساو، ونحو ذلك.

إلا أن أمثال هذه الأمور لا توجب تسميه الأفراد الذين هم تحت أمثال هذه الكليات رتبه، إلا إذا اريد الاصطلاح المجرد، فإن الرتبه الاجتماعيه حقيقه اجتماعيه، وهي كما ذكرناه في أول البحث، ولذا لا يقال: الرتبه الساكنه في محله كذا، ولا الرتبه الذين يملك كل أحد منهم مائه ألف، إلى غير ذلك.

ص: ١٧٢

مظاهر اختلاف الرتب

مظاهر اختلاف الرتب

ثم إن اختلاف الرتب الاجتماعيه يتجلى فى أمرين:

١: الثقافه، فإنه وإن كان لكل اجتماع لون خاص من الثقافه، يميز ذلك الاجتماع عن الاجتماعات الأخر، مثلاً لون الثقافه الإسلاميه غير لون الثقافه المسيحيه، وكلاهما يمتازان عن الثقافه اليهوديه، إلا أن فى المجتمع الإسلامى ثقافه رتبه المعلم تختلف عن ثقافه رتبه العالم الدينى، وكلاهما يختلفان فى الثقافه عن ثقافه التاجر، وهكذا.

ومصدر هذه الثقافه الخاصه، أن كل رتبه بحكم مصدرها وموردها تمتص عن الاجتماع لونهاً خاصاً من الثقافه يلائم مسيرها ومصيرها.

وإن شئت قلت: إنما تأخذ من فنون الثقافه المبعثره فى الاجتماع ما يلائم دورها فى الأداء، فالجنود يأخذون من الثقافه ما يساعدهم فى حفظ المدن والغلبه على الأعداء عند الحرب، بينما التجار يأخذون من الثقافه ما يساعدهم على جلب البضائع وإنتاجها وحفظها وتسويقها وتوزيعها، إلى غير ذلك من ثقافات الرتب المختلفه.

مناقشه فى نظريه المساواه

مناقشه فى نظريه المساواه

١: وتبعاً لهذه الثقافه، والمسير والمصير الخاص، فإن كل فرد رتبه يأوى إلى أفراد رتبهه فى لون الحياه، من لباس خاص، كألبسه العلماء والجنود وغيرهم، وكيفيه خاصه فى المأكل والمشرب، ولحن خاص فى الكلام، وكيفيه خاصه فى المسكن، وغير ذلك.

ولا يراد بهذا الامتياز الكامل، بل

الخصوصيات المتفرقة والمزايا المبعثرة.

وقد يزعم بعض الناس أن اللازم التسوية الاجتماعيه فى كل شىء، وقد عمل البهلوى وأتاتورك وياسين وماو، وأضرابهم على توحيد الملابس، بل والمأكل وما أشبهه، وجاء آخر فزعم أن المجتمع الإسلامى مجتمع غير متفاوت، ونسبوه إلى أنه مقتضى التوحيد، فمادام الرب واحداً، والناس سواسيه كأسنان المشط، كان اللازم ذلك.

وفيه: أولاً: الحياه خلقت ملونه بملايين الألوان، فلماذا يشذ الإنسان عن ذلك.

وثانياً: الإنسان خلق مختلف الأجسام والصفات، فمن الأفضل أن يعمل كل حسب ما يشتهى فى إطار الإسلام عند المسلم، وفى إطار الإنسان عند غير المسلم.

فكلما أن من يرى لزوم تساوى الذكى والغبى، أو تساوى كل ما فى الكون، بأن يكون كل الأشياء ماءً، أو فاكهه رمان، أو جميلاً، أو تساوى أفراد الإنسان فى الذكوره والأنوثة، أو ... لا يدعم زعمه دليل، بل الدليل على خلافه، أولاً: لماذا التساوى، وثانياً: أليس المتفاوت أجمل، وفى نفس الوقت إعطاء لكل مهيه متطلبه طلبها.

كذلك من يرى تساوى الملابس، أو سائر شؤون الحياه، وحتى التساوى فى المال خلاف العدل، وقد ذكرناه فى (الفقه _ الاقتصاد) أن المال بإزاء:

١: العمل الجسدى.

٢: والفكرى.

٣: والمواد الأوليه.

٤: وشرائط الزمان والمكان.

٥: والعلائق الاجتماعيه.

ولا يخفى أنه ليس معنى ذلك الابتعاد فى الرتب بعضهم عن بعض، بل معناه:

ص: ١٧٤

أ: حريه كل إنسان أن يعمل ما يشاء، فى إطار الإسلام، وعند غير المسلم فى إطار الإنسان.

ب: إن من الطبيعى أن كل رتبه بحكم عملها وثقافتها الخاصه بطبقتها، لها مزايا، فلا داعى إلى تحطيم تلك المزايا، بل ربما أوجب التحطيم خلاً.

مثلاً شرطه المرور لابد لهم من شاره خاصه، وإلا لم يقعوا فى موضع انقياد الجماهير لهم مما يسبب عطباً فى السير، والرياضى لابد له وأن يلبس ملابس خاصه تمكنه من أعمال الرياضيه، كما أن مآكل الزراع والعمال بحاجه إلى خشونه أكثر من مآكل من لا يحرك عضلاته، كالطبيب والمهندس، إلى غير ذلك من الأمثله.

ج: أما ما عدا ذلك، كان تسكن كل رتبه محلاً خاصاً بها، أو لا يزواج بعضهم بعضاً، أو يكون امتياز فى المدرسه والفندق والمطعم والسياره وما أشبه فذلك غير صحيح.

وعليه فاللازم أن توطر الحياه فى إطار الحريه والكفاءه، وهذا هو الذى قرره الإسلام تبعاً لفطره الإنسان، فإن التشريع صدر من الذى صنع الكون.

قال سبحانه: {يضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم} (١).

وقال تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} (٢).

ومن المعلوم أن التقوى عباره أخرى عن الكفاءه.

ص: ١٧٥

١- سورة الأعراف: الآيه ١٥٧.

٢- سورة الحجرات: الآيه ١٣.

مزايا الرتبة الاجتماعيه

ثم الرتبة لها مزايا هي:

أ: السعه.

ب: الدوام.

ج: التعارض.

أ) أما السعه، فهي عباره عن أن الرتبة لا تحد بالحدود القوميه واللغويه والجغرافيه والمذهبيه، إلا في أطر أخرى، أي إن علماء أى مذهب يختلفون في اللون المذهبي عن علماء المذهب الآخر، وكذلك حال الجنود وغيرهم، وكذلك بالنسبه إلى الجغرافيات والقوميات المختلفه، وإلى آخره.

فالعلاء مثلاً أو الجنود أو الزراع متساوو المزايا، وإن اختلفت قومياتهم ولغاتهم ومناطقهم ومذاهبهم.

ب) وأما الدوام، فلأن الرتبة إنما تتولد تحت موزاين خاصه، نفسيه واجتماعيه ونحوهما، وحيث إن تلك الموزاين ليست سريعه النمو، كما ليست سريعه الزوال، فالرتبه تبقى مستمره، نعم أحياناً تتطور حسب تطور الآله، مثلاً رتبه المكارين تطورت إلى رتبه السواق والطيارين، بينما رتبه الملاحين بقيت على حالتها السابقه، وإن تطورت السفن من الشراعيه إلى البخاريه.

وكذلك رتبه العمال تطورت من العمل اليدوى إلى العمل فى المعامل، أما أصل الرتبه فقد بقيت.

وفى الاتحاد السوفيانى مثلاً- تطورت رتبه علماء الدنيا، فإن أفراد الحزب هم المبشرون بمبادئ ماركس الدينويه، بينما علماء المسلمين مثلاً فى الجمهوريات الست المحتله، كانوا علماء دين ودنيا، وإلى غير ذلك.

ج) وأما التعارض، فلأن الرتبة حيث تحتوى على أفراد تتزاحم مصالحهم لا بد وأن يقع بينهم التعارض، إذ النفسيات مختلفه والمصالح قليله لا تكفى الكل، ولذا يريد كل دفع الإضرار عن نفسه، واكتساب أكبر قدر من المزايا،

وهذه الحالة النابعة من ذات الإنسان، وقله المصالح، وإن كانت تأخذ في كثير من الأحيان صورته حاده، إلا أن الإسلام خففها:

أولاً: بتنظيف الضمائر.

وثانياً: بجعل التنافر إيجابياً، بدل أن يكون في السلب.

ولا يخفى أن حاله التعارض، وإن كانت بين أفراد الرتبة أعلى لاحتكاك المصالح فيها أكثر من الأفراد المبعثرين الذين لا مصالح مشتركة لهم، إلا أن تلك الحالة توجد أيضاً بين الرتب المختلفة، إذا احتكت مصالحهم.

ثم إنه كلما كانت الرتبة أقرب إلى الإيمان أو إلى التعقل، كان التعارض فيها أقل، إلى أن يصل إلى شيء لا يكاد يذكر.

المكانة الاجتماعية

المكانة الاجتماعية

الثاني: المكانة الاجتماعية، فإن الإنسان في رتبته الاجتماعية له مكانه خاصه، إذ لا يتساوى أفراد الرتبة الواحد، مثلاً في رتبة رجال العلم قد يكون الإنسان ذا مكانه اجتماعيه لكونه خطيباً، أو مدرساً، أو مرجعاً، أو مبتدئاً، وهذه المكانة إنما هي بالنسبة إلى سائر أفراد الرتبة وإن كانت النسبة مع سائر الرتب أنه رجل دين في قبال أنه تاجر أو جندي.

وذلك لأن أفراد الرتبة ذو درجات، فإن القيمة إنما تظهر بالمقارنه، وإن كان الإطار العام شامل للكل، مثلاً كون هذا تاجراً من الدرجة الأولى أو الثانيه أو الثالثه، إنما يعرف بالمقاييسه إلى التجاره، أما المقاييسه إلى المعلمين أو الفلاحين فلا درجه، وإنما يلاحظ الإطار العام في قبال الإطار العام.

القيمه الاجتماعية

القيمه الاجتماعية

ومن المكانة الاجتماعية تظهر القيمه الاجتماعيه، وكما أن في المواد

تكون القيمة حسب الأمور الخمسه (العمل الفكرى والجسدى و...) كذلك القيمة الاجتماعيه تكون حسب الفائده، سواء كانت الفائده ماديه كالإنتاج المادى، أو معنويه كما إذا كان الشخص ينتج إنتاجاً معنوياً، مثل مدرس الأخلاق ومعلم الفضيله.

وحيث إن القيمة كانت بذلك جرت القيمة بين الرتب، وبين أفراد رتبه ورتبه، مثلاً- القيمة الاجتماعيه للفلاحين أكثر من القيمة الاجتماعيه للفحامين، وبهذه المناسبه القيمة الاجتماعيه لفلاح أكثر من القيمة الاجتماعيه لفحام.

ثم إنه من الممكن أن يكون شخص داخلاً فى رتبتين اجتماعيتين أو أكثر، كأن يكون مهندساً وطبيباً، وحينئذ يمكن أن تكون مكانته الاجتماعيه فى إحداهما أرفع من مكانته الاجتماعيه فى الاخرى، مثلاً كان فى الرعيل الأول من الأطباء، بينما كانت مكانته الاجتماعيه المهندسيه فى آخر سلم المهندسين.

ثم إن المكانه الاجتماعيه تصاحب دائماً:

١: الوجهه الاجتماعيه.

٢: والنفوذ الاجتماعى.

فالوجهه إنما تحصل من الاحترام الذى يتلقاه الفرد من المجتمع، بسبب ما يحيط بمكانته من الملابسات التى توجب الاحترام، أو لا- توجهه، إذ ربما يكون لإنسان مكانه رفيه، لكن حيث لا- يحفظ نفسه شروط تلك المكانه، لا تكون له تلك الوجهه اللائقه بتلك المكانه، وربما كان بالعكس، بأن تكون الوجهه أكثر من المكانه.

وهذان اللفظان يطلقان باعتبارين، كالشجره لها جذور ولها غصون، فالمكانه بمنزله الأولى، والوجهه بمنزله الثانيه.

أما النفوذ الاجتماعي، فهو قدر امتداد قدره الإنسان في المجتمع، ويأتي دور النفوذ الاجتماعي بعد دور الوجهه، والتي هي تأتي بعد دور المكانه.

والنفوذ يحتاج إلى شرائط، فقد تكون الوجهه بحيث تقتضى النفوذ الكذائي، لكن صاحبها حيث لا يقوم بشرط النفوذ، ليس له ذلك النفوذ المطلوب، وقد يكون الأمر بالعكس.

المكانه الطبيعيه والمكانه المكتسبه

المكانه الطبيعيه والمكانه المكتسبه

ثم إن المكانه الاجتماعيه، والتي تجعل الإنسان من قبل الاجتماع في مكانه خاصه، قد يقتنع بها الإنسان فلا يبرحها، وإنما يلزم تلك المكانه بدون زياده أو نقيصه، وقد يتعدها الإنسان إلى مكانه أخرى بالإضافه إلى الأولى، كما إذا كان خطيب يستعد لقضاء حوائج الناس، أو طبيب يساعد الفقراء ويفحصهم مجاناً، فإنهما قد يرفعان مكانه الخطيب والطبيب إلى مكانه أخرى.

وعلماء الاجتماع يسمون الأولى بالمكانه الطبيعيه، والثانيه بالمكانه المكتسبه.

ثم إن المكانه الاجتماعيه لفرد في رتبه ليست شيئاً ثابتاً في كل الأمم، فقد تكون المكانه في أمه دون أمه، مثلاً للسحره مكانه في الجهال ليست لهم مثلها في المثقفين، نعم أصل القيم شيء حقيقي، كالحسن والقبح العقلين، فليستا من الأمور الاعتباريه تختلف باختلاف الاعتبار، وهي تتكون باعتبار الفائده الحقيقيه، لا باعتبار الوهم والزيف.

الدور الاجتماعي

الدور الاجتماعي

الثالث: والدور الاجتماعي، هو ما يقوم به الفرد في مجتمعه الكبير، أو

فى جماعته التى هو عضو فيها، والغالب أن يقوم الفرد بجمله أدوار، سواء كان عضواً فى جماعه، أو فى جماعات، أو ليس عضواً فى جماعه، وإنما يكون فرداً من الاجتماع.

وذلك لأن الإنسان مربوط بعده أشكال اجتماعيه، يقوم فى كل شكل منها بدور، فالإنسان مربوط ببلده، وبمنطقه، وبحزب، وبعائله، وبصنف، وهكذا، وكل واحد من تلك يتطلب منه القيام بدور، وربما صار وكيلاً أو وصياً عن آخر فيقوم بدوره أيضاً، وهذه الأدوار إن جمعت جميعاً سميت بالدور.

وحيث إن الإنسان غالباً تقدمى، ويريد مزيد المنفعه الماديه أو المعنويه، لا يقتنع بالقيام بالدور المحول إليه، بل يقوم بما يزيد على واجبه، ولذا كان للإنسان:

(١) دور محول إليه.

(٢) ودور اكتسبه بنفسه.

ثم المجتمعات البدائيه، تكون الأدوار فيها قليله، بينما كلما تقدم المجتمع تعقد، وكانت الأدوار فيه كثيره، وكلما كثرت أدوار المجتمع يكون للفرد أدوار متعدده، فالمجتمع الذى لا- جمعيات فيه، أو لا- أحزاب، لا- يكون للفرد مثل هذين الدور، وكلما كثرت الجمعيات أمكن كثره أدوار الفرد، مثلاً- يكون عضواً فى جمعيه خيريه، وفى جمعيه الأطباء إذا كان طبيباً، وفى الجمعيه الثقافيه المرتبطه بالحزب الفلانى، وفى جمعيه تجاريه، وهكذا.

وربما تعارض دورا الإنسان فيقدم أهمهما، كما إذا كثرت أشغاله الحزبيه قل دوره فى إداره عائلته، وكذلك إذا كانت هوايته إداره جمعيه خيريه يقلل من دوره فى الجمعيه الثقافيه التى هو عضو فيها.

ص: ١٨٠

انتخاب الدور الأفضل

ثم إن الدور الأفضل الذى يمكن أن يقوم به الإنسان، وعرفانه أى الأدوار الموكوله إليه اجتماعياً أو إمكنياً أفضل من غيره، بحاجه إلى حسن الانتخاب، وحسن الانتخاب ليس بالشىء الهين، فإنه بعد الاحتياج إلى الكفاءات الذاتيه والكفاءات المنميه، يحتاج إلى دقه تأمل وكثره تفكر، ليميز الأرجح من غيره.

كما أن إنماء الكفاءات بيد الإنسان غالباً، إذا لم تكن الإمكانيات الطبيعيه أو الاجتماعيه عائقه دون الإنماء، مثلاً الفرد الهندى له ربع إمكانيه الفرد الأمريكى فى تحصيل العلم والمعرفه، فمن كل أربعه أولاد يوجد ولد واحد له إمكانيه التحصيل فى الهند، بينما كل الأربعه لهم إمكانيه التعليم فى أمريكا.

فإذا فرض وجود الذاتيه، كان لم يكن بليداً ولا مريضاً، ووجود الكفاءه الاجتماعيه، يأتى دور حسن الانتخاب، والغالب أن سوء الانتخاب هو الذى يؤخر المتأخر، فنفران كلاهما طلبا العلم الدينى يصل أحدهما إلى المرجعيه، بينما الآخر يبقى فى المراتب النازله، وهكذا كاسبان يصل أحدهما إلى الدرجات الرفيعه من التجاره حتى يكون فى الرعيل الأول من التجار، بينما يبقى الآخر بقالاً فى دكان صغير، وهكذا سائر من له دور اجتماعى.

ملاك الأدوار الاجتماعيه

ملاك الأدوار الاجتماعيه

ثم إن الأدوار الاجتماعيه، ليس ملاكها القابليات والكفاءات الفرديه، بل اللازم مدخليه الموازين الاجتماعيه فى قبول إعطاء الدور للذى يريد أن يقوم به، مثلاً فى غالب المجتمعات لا يعطى صلاحيه الانتخابات لمن لم يكن بالغاً

– والبلوغ يختلف ميزانه عند الأديان والأمم – وتبعاً لمثل ذلك يختلف دور الشبيه عن دور الكهول، ودورهم عن دور الشباب، ودورهم عن دور الأطفال، كما يختلف دور الرجل عن دور المرأة، ودور العالم عن دور الجاهل، ودور رؤساء القبائل أو الاحزاب عن دور سائر الأفراد، وهكذا.

وفى الحديث: «اعتمدا فى دينكما على كل مسن فى حينا، كثير القدم فى أمرنا» (١).

وعدم إعطاء الاجتماع الدور إلى قسم خاص من الناس، قد يكون لموازين عقليه، وقد يكون لموازين عرفيه، مثلاً إعطاء دور الاصطلاح إلى الشبيه وذوى خبره والتجربه أمر عقلى، أما إعطاء الدور لمن له مال أكثر لمجرد ذلك كما فى بعض المجتمعات، إنما يتبع العاده، وإلا فالمال لا ربط له بمثل ذلك الدور.

الجماعات والأدوار

الجماعات والأدوار

والجماعه حالها حال الفرد، فى أنها قد تؤهل نفسها للقيام بدور كثير الأهميه، وقد تبقى عاديه، بحيث لا يراها الاجتماع مؤهله للقيام بذلك الدور الذى أزمعت القيام به، مثلاً الحزب الذى يريد الحكم فقد يوجد فى نفسه مؤهلات الحكم، ومثل هذا الحزب يصل إلى الحكم، أما إذا لم يوجد فى نفسه تلك المؤهلات وصل الآخرون وبقي هو فى ذيل القافله.

فقد يجد الإنسان فى بلد كذا حزباً كبيراً له سوابق مشرقه، وأعضاء بارزين وثقافه عاليه، ومع ذلك لا يصل إلى الحكم، بل ولا أمل له بذلك، بينما حزب آخر تمكن من الوصول، ولا أقصد وصول القفر بانقلاب عسكري، فإن ذلك

ص: ١٨٢

١- رجال الكشى: ص ٤ ح ٧ طبعه مشهد. والمذكور فيه: (فاصمدا فى دينكما).

الوصول أيضاً لمؤهلات الأجانب الذين كانوا وراء الانقلاب، بالإضافة إلى أن مثل ذلك الوصول لم يكن شرعياً، وكلامنا نحن في الشرعيه.

وإذ يحقق في شأن عدم وصول ذلك الحزب اللامع يرى أن عدم وصوله نابع من ذاته، حيث إن مداراته الناس قليلة فلا يستعد الناس لانتخابه سيداً عليهم، فالاجتماع لا يعطيه الدور الذى يطلبه، لأنه ليس بمؤهل فى نفسه لذلك الدور، فإن للاجتماع بالنسبه إلى إعطاء الأدوار الرفيعه شروطاً صعبه لا يحظى بتلك الأدوار إلا أولئك الذين يستعدون للعمل بتلك الشروط.

وإذا فرض أن قفز إنسان إلى ذلك الدور بدون مؤهلاته، أنزله الاجتماع عنه بمختلف الوسائل والسبل، إن قريباً أو بعيداً.

تحرك الإنسان فى رتبته

تحرك الإنسان فى رتبته

الرابع: تحرك الإنسان فى رتبته أو فى مجتمعه عمودياً أو أفقياً.

فالأول: هو أن ينتقل من درجه أعلى إلى درجه أسفل، أو بالعكس، كأن يكون مرؤوساً فيصبح رئيساً، أو ينتقل من الرئاسة إلى المرئوسيه.

والثانى: أن ينتقل من عمل فى الحزب إلى عمل آخر فيه مساو للأول مثلاً، أو أن ينتقل من جمعيه إلى جمعيه أخرى وهكذا، وقد حرض الإسلام على تحرك الإنسان إلى أعلى دائماً، فقال (عليه السلام): «من تساوى يوماه فهو مغبون»^(١).

ضروره الرتب

ضروره الرتب

ثم إن المجتمع مهما كان، لابد له من الرتب، وذلك لأن الرتب من مقتضيات

ص: ١٨٣

١: الطبعه، حيث إن بعض الأفراد أشجع من بعض، وأكرم من بعض، وأزكى من بعض، وهكذا مما يوجب تقدمهم على الرتبه التي ليست لها هذه المزايا النفسيه والجسميه.

٢: والزمان حيث إن كبر السن الذى يسببه مرور الزمان يعطى للكبار رتبه فى قبال الصغار، والسبب لذلك أن الكبار أكثر تجربه، وأنهم هم الذين ربوا الصغار، ولذا كان لهم احترام أكثر، وهيبه وعزه فى النفوس.

٣: بالإضافة الى انقسام المجتمع تلقائياً إلى الرجال والنساء، حيث إن النساء يصلحن لشيء لا يصلح له الرجال، لمكان كثره العاطفه والنعمه فيهن، والرجال يصلحون لشيء لا تصلح النساء له، لمكان كثره التعقل والخشونه فيهم.

٤: ثم بحكم احتياج الاجتماع إلى الإدارة، يجعل بعض أفراده رئيساً لمكان إدارته، وأولئك الأفراد يشكلون رتبه خاصه، هي رتبه الحكام فى قبال رتبه المحكومين.

وهذه الرتب موجوده فى كل اجتماع، سواء كان ابتدائياً، أو متقدماً صناعه، نعم الفارق أن الاجتماع الابتدائى ليس فيه بعض الرتب، من باب السالبه بانتفاء الموضوع، مثل المخترعين أو الأحزاب أو ما أشبه ذلك.

أما الزعم بأنه لا-تفاوت فى الرتب فى الاجتماعات الابتدائيه، لأن التفاوت يأتى من الملكيه الفرديه، ولا ملكيه فرديه فى تلك المجتمعات، فالدليل على خلافه، لا فى الرتب فحسب، بل فى الملكيه الفرديه أيضاً، وقد دلت التجارب التى أجريت على أمم معاصره تعيش عيشه البداوه، فظهرت النتائج أنهم توجد فيهم الملكيه الفرديه والرتب.

والمجتمع الماركسي الذى بنى دولته وأمته على آراء ماركس، ظهر له عدم استقامه تلك الآراء، ولذا رجعت إليه كل الحقائق الإنسانية، كالرتب والملكيه الفرديه وعدم إشاعه النساء وغير ذلك، وإنما كل ما فعله ذلك المجتمع أن سلب الإنسان دينه وأخلاقه وحرية بالقوه، بقدر ما تمكن من سلبها، وإلا فنفس تلك المجتمعات أيضاً فيها كثره كبيره من المتدينين، ولكن تعيش تلك الكثره تحت الكبت والإرهاب.

عوامل تكون الرتب

عوامل تكون الرتب

ثم إن الغالب فى سببيه تكوين الرتب هو:

(١) الثقافه: فالمثقفون يشكلون رتبه فى قبال غيرهم، والأرفع ثقافه كالطبيب والمهندس والمرجع والخطيب البارع ونحوهم يشكلون رتبه فى قبال الأقل ثقافه.

(٢) والملكيه: تكون رتبه الملا-ك فى قبال غيرهم، والأكثر ملكاً يكون رتبه فى قبال الأقل ملكاً، ولا يخفى أن الملك الحاصل من الأسباب الخمسه السابقه: (العمل الجسدى، والفكرى، والمواد، والشرائط، والعلائق) مشروع، وماعده ليس بمشروع.

(٣) والحكام يشكلون رتبه فى قبل سائر الناس.

ولا يخفى أن الحاكميه المشروعه فى الإسلام هى التى يتوفر فيها شرطان:

أ: مواصفات الإسلام.

ب: انتخاب الناس، وهذا وإن كان راجعاً إلى بعض المواصفات أيضاً، إلا أنه أفرد بالذكر لأهميته.

وهذه الثلاثه هي أصول أسباب تكون الرتب، وإن كانت هناك فروع آخر من نفس هذه الأصول أو غيرها.

التفاوت الصحيح والتفاوت الباطل

التفاوت الصحيح والتفاوت الباطل

ثم إن الرتب إذا رجعت إلى أسباب عقلائيه صحيحه كانت صحيحه، كالثقافه والملك عن استحقاق، والحكم عن استحقاق.

أما إذا رجعت إلى أسباب غير صحيحه كانت باطله، ويلزم إزالتها، مثل الحكومه الديكتاتوريه الموجوده في الشيوعيه، حيث إن الحكام يصلون إلى الحكم بالإرهاب والكبت، ومثل المالكه الرأسماليه الغريبه، حيث إن المالكه لا تكون إلا بأكل أتعاب الناس.

وإذا كانت الاختلافات فاسده، أفسدت أيضاً، كما أفسدت الحكومه الشيوعيه مسأله المال فأخذته من أيدي المستحقين إلى يد الحكومه، وكما أفسدت الرأسماليه الغريبه مسأله الحكم، حيث تحكم رأس المال في الانتخابات، على ما ذكرنا تفصيله في (فقه الاقتصاد).

ولا يخفى أن الانحراف ينتهي إلى سقوط المنحرف، ولذا يتنبأ الخبراء بسقوط الشرق الديكتاتور والغرب الرأسمالي، كما سقطت قبل ذلك الرومان، حيث قسمت الناس إلى الأشراف والعوام والعبيد، وسقطت حكومات القرون الوسطى، حيث قسمت الناس إلى ملاك الأرض والعبيد وسائر الناس، وكذلك سقطت الدوله الفارسيه لمثل ذلك.

ثم إن منشأ العبيد في الإسلام، غير منشئه في تلك الدوله، وقد ذكرنا في (الفقه الاقتصاد) تفصيل ذلك.

أما وجه سقوط المنحرفه، فهو أن الإنسان حيث خلق نقي الفطره، لا بد وأن يميز الانحراف عن الاستقامه، مهما تزود الانحراف بالمال والقوه والدعايه، وإذا ميز الناس ذلك أخذوا في هدم الانحراف

إلى إسقاطه.

وإنما يطول أو يقصر زمان الانحراف تبعاً لعاملين:

(١) عامل قوه كيد المنحرف.

(٢) عامل ذكاء الذين يريدون إسقاطه.

وعلى أى، فالباطل ساقط، قال سبحانه: {لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل} (١).

وقال (صلى الله عليه وآله): «تضايقى تنفرجى».

وورد: «للحق دوله، وللباطل جوله» (٢).

إلى غير ذلك من الآيات والروايات واقوال الحكماء، بالإضافة إلى التجارب.

ولذا فمن الأجدر بالإنسان أن يمشى فى الطريق المستقيم، وقد سئل الامام (عليه السلام) ما الحيله، فقال (عليه السلام): «فى ترك الحيله».

ثم إن أول ما يوجب إسقاط المنحرف هو وعى الناس، ولذا يمارس المنحرفون سياسه التجهيل، ويجعلون العقوبات الصارمه للوعاه والمرشدين، فمثلاً حكومه البلاد الشيوعيه تحظر العلم التوعوى، كما تحظر الحريات التى تنتهى إلى العلم، فيزعم كثير من أهل تلك البلاد أنه لا شىء وراء الشيوعيه.

كما أن الرأسماليين فى البلاد الغربيه يوهمون الناس أنهم فى نعيم، وأنه ليس وراء ما هم فيه تقدم ورفاه وحرية.

فالتطبيق المنحرفه أخذه بالأكظام فى كلا النظامين، وإن كانت الكيفيه فيهما مختلفه، ولذا نرى أن أكثر الأولاد فى كلا النظامين لا يتمكنون من التخلّى عن حرفه آبائهم، حيث ليس المجتمع منفتحاً يتمكن كل إنسان فيه من تقرير مصيره بنفسه، كما نرى فى كلا البلدين أن الزواج بين الرتب السفلى والعليا شبه معدوم، وذلك لانحراف الثقافه، حيث جعلت الحواجز

ص: ١٨٧

١- سوره آل عمران: الآيه ١٩٦.

٢- الكافى: ج ٢ ص ٤٤٧.

النفسيه، ولا مخلص للشعوب من هذين النظامين إلا بالوعى والحريه.

تأثير الرتبه فى الإنسان

تأثير الرتبه فى الإنسان

الخامس: دور تأثير الأمور السابقه فى حياه الإنسان، فإن الرتبه على قسمين:

أ: الرتبه عن استحقاق، النابعه عن المؤهلات الحقيقيه، كالعلم والمال المستحق والحاكميه الانتخاييه وما أشبه، وهذه الرتبه لا توجب فساداً وتخريباً، بل بالعكس عدمها يوجب حرمان ذى الحق عن حقه.

ب: الرتبه لا عن استحقاق، كالموجوده فى النظام الرأسمالى أو الشيوعى، وهذه الرتبه توجب إسراف رتبه وحرمان رتبه.

وقد روى عن على (عليه السلام) أنه قال: «ما رأيت نعمه موفوره إلا وإلى جانبها حق مضيع».

وهذا التفاوت المنحرف يوجب حرمان الرتبه النازله عن كثير من الأمور الحيويه، بينما لو كان الاختلاف مستقيماً، كان أفراد البشر سواءً أمام كل مؤهلات الحياه.

ص: ١٨٨

الطبقه المنحرفه تؤثر فى الحياه

(مسأله ٢٠): الأمور الحيويه التى يحتاج إليها كل إنسان، يلزم على الدول والأفراد على حد سواء توفيرها حتى لا تبقى حاجه ومحتاج، وقد ذم الإسلام الفقر، وأوصى بترفيه مستوى الفقراء حتى يصبحوا أغنياء، ونظم برامجه، حيث لا يبقى فقر ولا فقير، كما فصلناه فى كتاب (الفقه الاقتصاد).

قال على (عليه السلام): «الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب فى بلدته» (١).

وقال (عليه السلام): «الغنى فى الغربه وطن، والفقر فى الوطن غربه» (٢).

وقال (عليه السلام): «الفقر الموت الأكبر» (٣).

وقال (عليه السلام): «ينام الرجل على الثكل، ولا ينام على الحرب» (٤)، أى سلب المال.

وقال (عليه السلام): «إن الله فرض فى أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غنى، والله تعالى سائلهم عن ذلك» (٥).

إلى غيرها من الروايات.

أما فى بلاد الطبقات المنحرفه كروسيا وأمريكا، فالدوله ورأس المال

ص: ١٨٩

١- نهج البلاغه: قصار الح كم ٣.

٢- نهج البلاغه: قصار الح كم ٥٦.

٣- تحف العقول: ص ١٥٣.

٤- نهج البلاغه: قصار الح كم ٣٠٧.

٥- نهج البلاغه: قصار الح كم ٣٢٨.

يتعاونان لجعل الامتيازات لطبقه؛ لى حد الاتخام» وحرمان طبقه؛ لى حد الاحتياج إلى أوليات الحياه.

الفقر والحياه

الفقر والحياه

وبصوره عامه فالطبقه المنحرفه، تعطى إمكانيات كثيره لطبقه، مما تحرم طبقه أخرى عن مثلها، وهى:

أ: امكان أن يحيى، فإن الفقير لا يتمكن كثيراً ما من الزواج إما لأجل تكاليفه، أو لإجل إدامه المعيشه العائليه، مما يوجب حرمان الأولاد الممكن حياتهم لو تزوج عن رؤيه نور الحياه، وإذا تزوج منع عن الولد إما بالاجهاض، أو بالحيلولة دون تولده خوفاً من الفقر، مثل ما كان فى الجاهليه.

قال سبحانه: {ولا تقتلوا أولادكم من إملاق} (١).

وفى آيه أخرى: {خشيه إملاق} (٢).

وقال تعالى: {وإذا الموؤده سئلت * بأى ذنب قتلت} (٣).

بينما ليس كذلك غير مثل هذه طبقه، حيث إن المتمكن والمرفه، أى طبقه الوسطى والعليا، لا يشكون من مثل ذلك.

أما قوله سبحانه: {نحن نرزقكم وإياهم} (٤)، وقوله: {إن يكونوا فقراء يغنهم الله} (٥)، فذلك بصدد الرزق فى المنهاج المستقيم، فإنه لو كان المنهج مستقيماً

ص: ١٩٠

١- سورة الأنعام: الآيه ١٥١.

٢- سورة الإسراء: الآيه ٣١.

٣- سورة التكوير: الآيه ٩.

٤- سورة الأنعام: الآيه ١٥١.

٥- سورة النور: الآيه ٣٢.

أما إذا نهبت الدوله والرأسماليون الثروه، فالفقير لا يعانى من عدم إرزاق الله تعالى، بل من نهب الظالمين حقه، ولذا تقدم فى كلام على (عليه السلام): «فما جاع فقير إلا بما متع به غنى» (١).

ب: إمكان إدامه الحياه، فإن الطبقة الفقيره:

(١) يموت أولادهم أكثر من غيرهم، لعدم تمكنهم من الغذاء والدواء للأولاد، وقد دلت التجارب أن فى بعض البلاد يبقى من أولاد الفقراء ما يقارب النصف فقط، بينما بقاء أولاد غيرهم أكثر من تسعين فى المائة.

(٢) يموت الفقير، لعدم توفر وسائل الغذاء والدواء والراحه بنسبه كبيره، بينما ليس كذلك موت غيره، والإحصاءات فى آسيا وإفريقيا بالنسبه إليها فى البلاد الأوربيه واليابان وأمريكا، دلت على ذلك.

(٣) الفقراء تلتهمهم الحروب أكثر من الأغنياء بنسبه كبيره، لأن الفقراء غالباً لا- يثقفون، ولا- نفوذ لهم حتى يمنع نفوذهم عن الذهاب إلى الحرب، ولا مال لهم لإعطاء البدل، مستقيماً فيما كان للجنديه بدل، أو ملتوياً بالتخلص بالرشوه ونحوها.

(٤) الموت الناشئ من جهه الإ-جرام، فإن المجرم الفقير ينطبق عليه القانون فيقتل، أو يسجن مما يوجب مرضه وموته، أو يعذب مما يوجب موته، أما غير الفقير فيخلص نفسه من الموت المذكور بسبب ماله ونفوزه.

ج) إمكان الأخلاق الفاضله، فإن سوء الأخلاق ناشئ من المرض والفقر في كثير من الأحيان، والمرض ناشئ من الفقر أيضاً، والغنى وإن كان يبتلى بالكبر ونحوه، إلا أن توتر الأعصاب وضيق الصدر ونحوهما يعطى الأخلاق السيئه غالباً.

ولذا نرى النزاعات وسوء الأخلاق في العوائل الفقيره، وانتهاء الأمر إلى الطلاق أكثر من غيرهم، والأمر بحاجة إلى إحصاءات دقيقه حتى تظهر النسبه الواقعيه بين الفقراء وغيرهم من الطبقتين المرفهه والمتوسطه.

الفقر والصحه

الفقر والصحه

د) إمكان حفظ الصحه، فإن الفقير حيث لا يقدر على الدواء من ناحيه، ولا من حفظ صحته من جهه عدم الوسائل من ناحيه أخرى، وبالجمله لا على الوقايه ولا على العلاج، أكثر مرضاً وأدوم مرضاً من الغنى، وقد دلت الإحصاءات على ذلك.

ثم من ناحيه ثانيه، الفقير يبتلى بالأمراض العصبية والنفسية أكثر من غيره، حيث إن الفقر والبطاله والمنازعات وما أشبه تنتهي إلى أمثال هذه الأمراض، مما الغنى يأمن منها، وقد دلت إحصاءات مستشفيات الأعصاب ودور المجانين على هذه الحقيقه.

والأغنياء وإن كانت لهم أمراض خاصه بهم، أمثال ضغط الدم وتصلب الشرايين والتخمه والسكر ونحوها، إلا أن أمراض الفقراء أكثر وأدوم وأخطر.

الفقر والسلام

هـ) إمكان السلام، حيث إن الأغنياء يحفظون أنفسهم عن الحرب ببذل المال، أما الفقراء فحيث لا مال لهم لابد لهم أن يلتجئوا إلى الحرب لحل مشكلاتهم، فإن الحل للمشكلة إما يكون من الطريق الدبلوماسيه، وإما من طرق الحرب، وحيث يفقد الأول لابد من اللجوء إلى الثانى.

هذا بالإضافة إلى أن المستكبرين دائماً يحاربون المستضعفين لأجل السيطرة عليهم لاتخاذهم خولاً، وما بقى من ثروتهم _ بالقوه _ دولاً، وحرب المستكبرين للمستضعفين إنما هو بواسطه مستضعفين آخرين، مما ينتج أن إمكانات السلام فى الفقراء أقل من إمكانات السلام فى غيرهم.

الفقر والعلم

الفقر والعلم

و) إمكان تحصيل العلم، وذلك لأن تحصيل العلم بحاجه إلى المال من جهه:

١: وسائل العلم من الكتب وأجره المدرسه ونحوها.

٢: إمكان النفقه على النفس ليتفرغ الإنسان، إذ لو لم تكن له نفقه اضطر إلى الكسب، وكلا الأمرين موفران للغنى دون الفقير.

ومنه يعلم أن الدول مهما وفرت المجانيه للمدارس، لم ينفع ذلك فى تساوى مجال الفقير والغنى لطلب العلم، فإنه بعد التوفير يبقى:

١: أمر النفقه.

٢: بالإضافة إلى إمكان الغنى من التحقيق الأكثر بسبب ما يملكك، بينما يحرم منه الفقير، ولذا تجد فى كل المجتمعات أن الطبقة المثقفه أغلبهم من

الأغنياء، بينما أقلهم من الفقراء، وكلما كانت ثقافته أرفع، كانت نسبة الأغنياء فيها أكثر.

الفقر والعمران

الفقر والعمران

ر) إمكان العمران، فإن العمران يستند إلى الأغنياء دون الفقراء، فإن الفقير مهما تعب لا يتمكن إلاّ بناء دار لنفسه، أما الأغنياء فهم وحدهم القادرون على تكثير العمران، سواء بالبناء للدور وإيجاد البساتين أو غير ذلك.

الفقر والحياه النظيفه

الفقر والحياه النظيفه

ح) إمكان العيش النظيف، فإن الفقر والحرمان والضغط الاجتماعى الوارد على الفقير، يوجب انحرافه وسقوطه فى الرذيله، ولذا يكون أكثره السجناء ونزلاء دور البغاء والمعطين للشذوذ الجنسى، وما أشبه من الفقراء.

لذا نجد التلازم فى الأذهان العرفيه بين اللص والغيبى والولد الساقط ومن أشبههم، وبين أنهم فقراء لا يملكون المال لانتشال أنفسهم من حضيض الرذيله، وقد تقدم أن الفاسد من الأغنياء ينفلت عن العقاب، فلا يبتلى بالسجن ونحوه.

الفقر والقدرة

الفقر والقدرة

ط) وإمكان تحصيل القدرة والوصول إلى المناصب الرفيعه فى المجتمع يتوفر للأغنياء ومن إليهم من الطبقة المتوسطه أكثر مما يتوفر للفقراء، وذلك لأن المال يعطى للإنسان إمكانات لا يجدها غير ذى المال، وتبعاً لهذا الإمكان

ص: ١٩٤

يصل الأغنياء إلى مناصب شامخه، أكثر من وصول غيرهم.

لا يقال: إنا نجد أن جملة كبيره من فقهاء الشيعة وصلوا إلى المراتب الساميه بينما كانوا فقراء.

لأنه يقال: إن مبدأ إعطاء الحقوق جعلهم أغنياء وإن عاشوا مده من الزمن فقراء فى أوائل تحصيلهم للعلم، فبقاؤهم أيضاً تابع للمال الذى يتوفر لهم، فيتسنى له الاستمرار فى تحصيل المراتب العاليه والسير إلى الدرجات الرفيعه.

أما إمكانية إنقاذ ذى المال الفقراء والمرضى والملوثين ومن أشبه بماله دون غير المال، فلم نجعله فى عداد ما تقدم، لأجل أنه يرتبط بشأن غيرهم، والكلام فى المقام فى شأن الطبقة الغنيه بالنسبه إلى الطبقة الفقيره.

الاختلاف الفكرى بين الفقراء والأغنياء

الاختلاف الفكرى بين الفقراء والأغنياء

وأخيراً فإن نظره كل من الفقير والغنى تختلف إلى أمور فى الحياه، وكذا سببك تعاملهما مع الحياه، مثلاً:

١: نظره الفقراء إلى المصلحين نظره إنقاذ وهدايه، ولذا يلتفون حولهم، بينما نظره الأثرياء والمترفين الطاغين نظره هدم وتخريب، حيث إنهم يرون المصلحين يسببون لهم المشاكل وإنزالهم عن مقامهم وامتيازاتهم.

٢: وحيث إن المال قليل عند الفقير، كان من الطبيعى أن يكون دقيقاً فى الصرف بخلاف الغنى.

٣: ويربى الغنى أولاده وما يتعلق به بالنظافه والأدب، بينما الفقير ليس له وقت ولا مال يفيان بمثل ذلك.

٤: والفقير يرى لزوم تقويه طبقه العامل والفلاح ومن إليهما، بينما يرى

الغنى المنحرف عكس ذلك، وذلك لتضارب مصلحه الطرفين فى طرفى الأمر.

٥: والحريه التجاريه ينظر إليها الغنى كأنها حقه الطبيعى، بينما لا شأن للفقير بذلك، من باب السالبه بانتفاء الموضوع.

٦: والغنى المنحرف ينظر إلى كل شىء نظره اكتساب وتجاره، فالمعنويات تضعف لديه، لأن عقليته طبعت على المال والتجاره، بينما ليس الفقير كذلك.

إلى غير ذلك من أنظارهم المختلفه إلى جملة من شؤون الحياه، حيث إن كل واحد منهما ينظر إليها من زاويته الخاصه.

موقف الإسلام تجاه الفقراء

موقف الإسلام تجاه الفقراء

ولا يخفى أن الإسلام قرر منهجين لأجل الفقراء ومن إليهم:

أ: منهج إغنائهم، لأن الإسلام كما يحرم الشيوعىه يحرم الرأسماليه، فكلا النظامين يستغل أموال الناس، فى النظام الرأسمالى يستغله الرأسماليون، وفى النظام الشيوعى تستغله الدوله التى تجمع بين المال والقوه، بل اللازم فى المال أن يكون لكل أحد حقه النابع من الأمور الخمسه السابقه الذكر.

ب: منهج أن من لا- يتمكن من الغنى ليطم أو مرض أو ما أشبهه، يلزم على الدوله القيام بكل حوائجه، حقاً له عليها، لا استعطاءً وصدقاً وتبرعاً.

قال على (عليه السلام) فى كتابه إلى مالك الأشر (رحمه الله): «ثم الله الله الطبقة السفلى، من الذين لا حيله لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإن هذه الطبقة قانعاً ومعتراً» _ أى من يسأل ومن يرى نفسه من غير سؤال _ .

«واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت المال، وقسماً من غلات صوافى الإسلام فى كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذين للأدنى،

وكل قد استرعت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لأحكامك الكثير المهم».

«وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقنحه العيون، وتحقره الرجال، وفرغ لأوائك ثقتك من أهل الخشيه والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالأعدار إلى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعيه أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله في تأديه حقه إليه».

وتعهد أهل اليتيم، وذوى الرقه فى السن ممن لا حيله له، ولا ينصب للمسأله نفسه، وذلك على الولاه ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبه فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم»(١١).

ثم حيث إن المال يتراكم من التجاره، الأعم من الزراعه والصناعه والاكتساب، وأن هذه هى التى إن عدلت اعتدلت الأمور، وإلا حدثت الطبقية المنحرفه، فاللازم أن يجتمع فيها بين الحرية الصحيحه، والتقييد المعقول، وقد جمعهما الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) فى عهده إلى الأشر، فقال (عليه السلام):

(ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح، فى برك وبحرك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلاح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك».

«وأعلم مع ذلك أن فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً

ص: ١٩٧

للمنافع وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضره للعامه، وعيب على الولاه، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا- تجحف بالفريقين، من البائع والمبتاع، فمن قارف حكره بعد نهيك إياه، فنكل به وعاقبه في غير إسراف»(١).

ص: ١٩٨

١- نهج البلاغه: ال كتب ٥٣.

إشاره

موقف الإسلام تجاه الفقراء

(مسأله ٢١): معرفه شخصيه الإنسان _ الشخصيه بالاصطلاح الاجتماعى _ توجب تهيئه الظروف التى تسبب استقامه الشخصيه، أو لا أقل من التقليل عن الشخصيات المنحرفه، وعن انحرافات الشخصيه المنحرفه.

ثم إن الشخصيه تتكون من:

١: الفطره، حيث إنها الأرضيه المفطوره بحيث لا يمكن تغييرها كلياً، وإنما الممكن أن يزرع فيها الزرع المختلف.

٢: الوراثة.

٣: المحيط الطبيعى.

٤: المحيط الاجتماعى.

٥: الثقافه.

الفطره والشخصيه

الفطره والشخصيه

١) أما الفطره، فقد قال سبحانه: ﴿فطره الله التى فطر الناس عليها﴾ (١)، فإن الإنسان يخلق وله فطره خاصه، قابله للتغيير فى حدود مخصوصه، بينما أخواه الآخران الحيوان والنبات ليس لهما إلاّ تغيير قليل جداً، فالحيوان ليس

ص: ١٩٩

له ذلك المجال الواسع للتقلب، وإنما له غزائر يسير الحيوان من أول عمره إلى آخره على تلك الغزائر، ولا اختلاف بين أفراده طيله ملايين السنوات، وإن احتمل بعض العلماء إمكان التطوير في الحيوان أيضاً.

والنبات أقل تطوراً، وإن كان فيه بعض التطور أيضاً، حيث إن شجره التفاح مثلاً تختلف عن أمها في بعض الكيفيه والخصوصيات، وفي بعض خصوصيات الثمر، بل قابله للتحسين، أو الترك حتى تكون أسوأ.

والإنسان وحده دائره تطوره كبيره جداً، يتدئ بالمشى على قدمه، وينتهى إلى ارتياد الفضاء، وهذا لا بد وأن يكون له أرضيه قابله لمثل هذا التجول عليها بهذا الدائره الوسعيه، وحدود هذه الأرضيه وان لم تكن معلومه لنا، إلا أنها وسيعه في الدنيا والآخره جداً.

قال سبحانه: {لتركبن طبقاً عن طبق} (١).

وقد قال بعض الحكماء: ثم أصدع عن الملائكه وأصل إلى ما لا يناله الوهم.

وفي الحديث عن الآخره إنه ينال الإنسان «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» (٢).

والإنسان يخلق فطره مختلفاً، فـ «الناس معادن كمعادن الذهب والفضه» (٣).

الوراثه والشخصيه

الوراثه والشخصيه

٢) وبعد ذلك يأتي دور الوراثة، ففي الحديث: (الولد سر أبيه)، وقد

ص: ٢٠٠

١- سورة الانشقاق: الآيه ١٩.

٢- غوالي الل ثالى : ج ٤ ص ١٠١ ح ١٤٨.

٣- روضه الكافى: ج ٨ ص ١٧٧.

ثبت فى علم الوراثة ذلك، وإن الابن يحمل معه بعض ملامح الأب وبعض ملامح الأم، وهذا جار فى ملامحه الجسديه وملامحه النفسيه، فكان نفسياته الفطريه تؤطر بنفسياته الوراثيه.

وهاتان: الفطره والوراثة، لا- توجبان الإلجاء، بل الاقتضاء، حالهما حال الأدويه حيث إنها اقتضائيات لا أنها توجب الآثار قطعاً، والفطره والوراثة تبقيان مع الإنسان من أول عمره إلى يوم مماته.

دور المحيط الطبيعى فى تكوين الشخصيه

دور المحيط الطبيعى فى تكوين الشخصيه

٣) وبعدهما يأتى دور المحيط الطبيعى، فإن للمناخ المحتوى على كيفيه خاصه من الحراره والبروده، والرطوبه واليبوسه، تأثيراً على الإنسان لا يمكن إنكاره، ولذا كان أهالى البلاد المعتدله أكثر اعتدالاً من أهالى البلاد الحاره، حيث تغلب عليهم اليبوسه، ومن أهالى البلاد البارده، حيث تغلب عليهم الرطوبه، وكل من الرطوبه واليبوسه لها آثارها فى النفس، كما لها آثارها فى الجسد.

بل للبلاد الجبلية، والسفحيه، وسواحل البحر، وبلاد الأشجار والأنهار، تأثيرات كبيره فى الصفات والمزايا، ولذا اعتادوا من القديم وصف أهالى البلدان بالصفات المختلفه مما يرى علماء النفس والاجتماع والوراثة ما لتلك البلاد من التأثير فى تكوين شخصيه أهاليها.

وكان تقسيم أرسطو الأمزجه إلى الدمويه والبلغميه والصفراويه والسوداويه مستقى من ذلك، هذا فى الجمله، لا أن كل التأثير للبلد والمناخ.

وإذا كان لأنواع الأطعمةه التأثير فى الاخلاق _ لا أقل العابره منها _ كان للمناخ التأثير أيضاً، إن قل أو كثر.

٤) أما المحيط الاجتماعي وما يتلقاه الإنسان من مجتمعه، فلا يخفى تأثيره في تكوين شخصيته، فإن الإنسان يولد في كمال العجز، ويبقى عاجزاً إلى حين مماته، ويكمل عجزه من محيطه الاجتماعي، كما يكمل بعض عجزه من محيطه الطبيعي.

وكما يأخذ حاجاته عن الاجتماع كذلك يأخذ صفاته وأخلاقه عن الاجتماع، ويؤطر نفسه بإطار الاجتماع، فيلاحظ كيف أنه يتمكن أن يعيش في وسط ذلك الاجتماع، ويأخذ منه حاجاته الجسديه والنفسيه، فيلاحظ الفعل ورد الفعل ويؤطر نفسه بتلك الشبكة المنسوجه حوله.

والفطره والوراثه والمحيط الطبيعي، تنسحب أمام المحيط الاجتماعي بقدر ممكن من الانسحاب، ولذا نجد حتى المرضى ونحوهم إذا وقعوا في الضغط الاجتماعي، ساروا كما يريد الاجتماع حسب الممكن.

الثقافه صانعه الإنسان

الثقافه صانعه الإنسان

٥) وأخيراً يأتي دور الثقافه، فالإنسان يتمكن أن يخزن ثقافته التي استفادها بأى طريق كان، في الكتب ونحوها، وكل جيل متأخر يتعلم من الجيل المتقدم لا- تجاربه فحسب، بل ما اخترنه في الكتب، حتى يأتي دور جيل _ كجيلنا المعاصر _ تجمعت لديه مليارات العلوم والتجارب المتراكمه منذ الأجيال السابقه.

وهذه الثقافه التي تلون الاجتماع تحتوش الإنسان من كل مكان، وتؤثر فيه وتؤطره بإطارها، وحتى الذين يفرون من الاجتماع إلى الكهوف والصوامع قد لونوا بلون اجتماع ما، ويحملون معهم ذلك اللون إلى هناك، كما يحملون معهم لغه

اجتماعهم وذكرياتة، نعم إذا ربى الطفل بين الحيوانات لا يتلون بلون الاجتماع.

وهذا الاجتماع الذى يحتوش الإنسان يعطى للإنسان هيئه اجتماعيه، فيعيش الإنسان فى شبكته، ويتغير حسب تغيره، وبتبدئ احتواء الاجتماع للإنسان من أول أيام حياته، ولذا تجد الطفل من أوائل أيامه يأخذ فى ملاحظه الاجتماع والتعلم منه، والأنس به وطلب الحوائج إليه.

ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اطلب العلم من المهد إلى اللحد».

وقد ثبت فى العلم أن مخ الطفل كالشريط يأخذ ما يلاقه، ثم يختزن ذلك فى لا وعيه، ويرشح بعدئذ ذلك المخزون من أفكاره وأعماله، والميت يفهم وهو فى لحده، ولذا يلقن فى القبر، كما ورد فى الشرع.

ثم الإنسان لا- يتعلم حاجاته الأوليه وأصول معاشرته من الاجتماع فقط، بل يتعلم الحاجات الثانويه مما يحتاج إليه فى معاشرته الاجتماعيه أيضاً، كالآداب والرسوم والتقاليد والعادات الاجتماعيه وهى حاجات اجتماعيه لا أوليه، فإن الحاجات الأوليه هى المأكل والمشرب والمسكن ونحوها.

ويبدأ الاحتواء الاجتماعى من العائله، ثم المدرسه، وإلى الاجتماع الكبير، بل وإلى الاجتماع الأكبر، بسبب الإذاعات والأسفار ونحوها، ولذا قالوا: (من لم يؤدبه الأبوان أدبه الزمان)، حيث إن الإنسان إذا لم يتطور حسب التطور الاجتماعى ولم ينفعه نصح العائله، اصطدم بموازين الاجتماع مما يصفع بسببه.

والثقافه بضميمه الأمور الأربعة السابقه، تعطى الإنسان فرداً أو جماعه الشخصيه، فيقال شخصيه فلان، أو شخصيه البلد الفلانى، وهكذا.

ودور الثقافه من أهم الأدوار فى حياه الإنسان، حتى أن بعض علماء الاجتماع نسب تكون شخصيه الإنسان إلى الثقافه فقط، دون الأربعة المتقدمه، فبالثقافه الصحيحه تتوفر أجواء الحريه، والتي بدورها تؤثر فى المزيد من الثقافه وتوسيع كل أبعاد الإنسان.

ولاء- أدل على ذلك من المسلمين، فإن الدنيا كانت مغلقه قبلهم طوال الألوف من السنوات حتى إذا جاء الإسلام وهياً أجواء الثقافه بإعطائه الحريات وتشويقه إلى العلم، وحصل عند المسلمين:

١: حس البحث والتنقيب.

٢: وشجاعه إبداء الآراء والنقد.

ملؤوا الدنيا علماً ونوراً، وأعطوا للإنسان دفعه تقدميه ليست الصناعه الحاضره إلا بعض ثمارها.

قال (عليه السلام): «فى التجارب علم مستأنف»^(١).

وقال (عليه السلام): «العقل عقلان، عقل الطبع، وعقل التجربه»^(٢).

وقال (عليه السلام): «رأى الرجل على قدر تجربته»^(٣).

وقال (عليه السلام): «الظفر بالحزم، والحزم بالتجارب»^(٤).

وقال (عليه السلام): «العقل حفظ التجارب»^(٥).

ص: ٢٠٤

١- فروع الكافى: ج ٨ ص ٢٢.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٦ ح ٥٨، عن مطالب السؤل ص ٤٩.

٣- غرر الحكم: ص ٢٨٧ ح ٥٥٠٩.

٤- نهج البلاغه: قصار الحكم ٤٨.

٥- نهج البلاغه: ال كتب ٣١.

وقال (عليه السلام): «فإن الشقى من حرم نفع ما أوتى من العقل والتجربة» (١).

المسلمون والنبوغ العلمى

المسلمون والنبوغ العلمى

وقد نبغ فى المسلمين علماء كثيرون، إحصاؤهم يحتاج إلى مجلدات، بل قدر بعض العلماء المعاصرين عدد علماء وفضلاء خراسان منذ أول ظهور الإسلام إلى اليوم، فكانوا أربعة وعشرين ألفاً، ونحن إلماعاً إلى المطلب نعد أسامى جملة من العلماء الكبار فى مختلف العلوم، من غير نظر إلى اتجاهات بعضهم المذهبية.

١: فى الاعتقادات والفقه والأصول والأخلاق والتفسير والحديث منذ ألف سنة نبغ: المفيد، والمرضى، والرضى، والشيخ، وابن البراج، وابن إدريس، والعمانى، والإسكافى، والكلينى، والصدوق، وعلى بن إبراهيم، والمحقق، والعلامة، وولده، والشهيدان، والمحقق الثانى، والطبرسى، والفيض، والبهاى، والمجلسيان، والمقدس الأردبيلى، وصاحب المعالم والمدارك، ونصير الدين طوسى، والوحيد، وبحر العلوم، وصاحب الحقائق والجواهر، وكاشف الغطاء، والنراقيان، والمحقق القمى، والشيخ، والشيرازيان، والآخوند، والطباطبائى، وشرف الدين، والعاملى، وغيرهم كثيرون.

٢: وفى الاقتصاد: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، وأبو عبيده القاسم بن سلام، وابن يحيى الدمشقى، وعبد الرحمان بن خلدون.

٣: وفى الأدب والشعر والبلاغة: الدؤلى، والفرزدق، والكسائى، وسيبويه، وابن مالك، ودعبل، وأبو نؤاس، والمنتبى، والرضى، ومهيار، والكميت، وأبو

ص: ٢٠٥

فراس، والحلى، والفردوسى، والنظامى، والجامى، وناصر خسرو، والأزرى، والسعدى، والحافظ، والقزوينى، والتفتازانى.

٤: وفى الفلسفه والكلام والمنطق والحكمه: الفارابى، وابن سينا، وبهمينار، وابن طفيل، وابن مسكويه، وابن رشد، والكندى، والرازى، والميبدى، والطوسى، والغزالى، والمولوى، وصدر المتألهين، والداماد، والسهروردى، والفيض، والفياض، والمولى عبد الله.

٥: وفى علم الفلك: أبو الحسن الأهوازى، وأبو الوفاء البوزجاني، والفرغانى، والبيرونى، وخالده، والمروزى، وعلى الطبرى، ويحيى بن أبى منصور، وسند بن على، وعلى الأسطرلابى، والحاسب، والشيخ البهائى، والماهانى، وأبو عثمان الحانى، والدينورى.

٦: وفى علم البيئه: الجاحظ، وعماد الدين الكاتب.

٧: وفى علم البحر: سهل بن أبان، وأحمد بن ماجد، ومحمد بن شاذان، وابن كحلان.

٨: وفى علم النبات: أحمد الدينورى، وابن بيطار الحالى، وابن سيده، ومنصور بن فضل السورى، وأبو العباس النباتى، وعبد الله بن صالح، ومحمد بن على بن سفر، وابن الأوان الإشبلى، والإدريسى، وابن العوام.

٩: وفى علم التاريخ: سليم بن قيس، والثقفى، والواقدى، ونصر بن مزاحم، وابن العماد، وابن الأثير، والطبرى، والمسعودى، واليعقوبى، والبيرونى، والخزرجى، والقفطى، والشهرستانى، والسمعانى، وابن خلكان، وابن واصل، والدينورى، والمقرزى، وأبو الفداء، وابن عساكر، والجوينى، وأبو مخنف، والأزدى، والذهبى، والأصفهانى، والبلاذرى، والمحدث القمى.

١٠: وفي علم الرياضيات: أبو الحسن بن المنجم، والنسوي، وموسى الخوارزمي، ومحمد بن جابر، والخيامي، والمحقق الطوسي، وثابت بن قره، وابن هيثم، وأبو كامل، وابن مطر، وابن الطاهر البغدادي، وابن يعقوب الدمشقي، ومحمود الأصفهاني، وابن ليث، والحاسب الكرخي، وابن عبد الباقي البغدادي، وغيرهم كثيرون.

١١: وفي علم الميكانيك والفيزياء: منصور الخازني، وحسن بن هيثم البصري، وأحمد بن مسكويه، ومحمود بن المصلح، وحسن السمناتي، وكمال الدين الفارسي، وعميد الدوله، والدمشقي الجويري، ومحمد بن السماوي.

١٢: وفي علم الكيمياء: جابر بن حيان، والرازي، والتميمي، والخوارزمي، وأحمد الكلداني، والبوني، والمالقي.

١٣: وفي علوم الطب والتشريح ومعرفة الأجنه والصيدله: ابن سينا، وابن نفيس، وابن زهر، والرازي، وعلى الطبري، وأبو الحسن الطبري، والأهوازي، والخزاز، وحسن بن نوح، والهروي، والمقدسي، وأبو القاسم الموصلي، والمصري، والعراقي، وغيرهم كثيرون.

١٤: وفي علم الجغرافيا: الخوارزمي، وسليمان، وخرداد به، والسيرافي، والسرخسي، والكلبي، والهمداني، والشيزري، والبلخي، والمسعودي، وابن فضلان، والبغدادي، وابن الحائك، والخزرجي، وابن حوقل، والمقدسي، والقبادياني، والبكري، والاصطخري، والغرديزي، والوزان، والحموي، والكبرى، والصلقي، والمازني، والكناني.

١٥: وفي علم المعدن: عطارد الحاسب، والبيروني، والذهبي الكامل، ونصير الدين الطوسي، والقاساني، والقبيجقي، وعربشاه، وابن منصور.

١٦: وفي العلوم العسكريه: حسن الرماح، والأوسى.

١٧: ومن المترجمين: الفزارى، والأهوازى، وثابت بن قره، والمقدسى، والحمصى، والرهاوى، وأولاد موسى بن شاكر الثلاثه، وحبش بن الحسن، وأبو الفرج، والهارونى، وابن نوبخت.

١٨: ومن الذين ألفوا دائره المعارف: الأبرشى، والخوارزمى الكاتب، وجمال الدين القزوينى، وأبو يحيى القزوينى، والجرجانى، والقلقشندى، والسكالى.

إلى غير ذلك، مما تزخر به التراجم والفهارس والكتب المعده لذلك، وقد جمع مكتبه بعض قضاة صاحب بن العباد مليوناً وخمسين ألف كتاب، وجمع مكتبه العزيز الفاطمى فى القاهره مليوناً وستمائه ألف كتاب، كان سته آلاف وخمسمائه منها فى الرياضيات، وثمانيه عشر ألف منها فى الفلسفه، إلى غير ذلك من الأرقام الكبيره لمكتبات الأفراد وأعضاء الدوله.

العلم فى خدمه الإنسان

العلم فى خدمه الإنسان

وفى القرآن الحكيم وأقوال النبى (صلى الله عليه وآله) والأئمه (عليهم السلام)، يجد الإنسان منطلق الحركه الإسلاميه فى أبعاد العلم والثقافه، ولذا نجد علماء المسلمين فى أوائل وأواخر كتبهم يذكرون لطف الله بهم فى أن وقفهم لارتياح العلم وجوب آفاق المعرفه.

وكان هذا التوجه إلى الله هو السبب فى أن المسلمين لم يسخروا علمهم لضرر الناس، بل لنفعهم، فلم يستعمروا البلاد، ولم يكتبوا الحريات، ولم يصنعوا الأشياء الضاره، وكانوا دائماً بين طرفى نقيض مع السلطات الجائره، وكان كثير منهم يُضطهدون من أجل ذلك، لا من الفقهاء وأهل الحديث فحسب،

ص: ٢٠٨

بل وحتى أمثال جابر بن حيان الذى اختفى من جور السلطان حتى مات فى مخبئه، ونصير الدين الذى سجن سنوات كثيره.

بينما نجد الحضاره الحديثه، حيث خلت عن الايمان بالله، صار العلم فى خدمه الظلم والاستعمار، فمن مئات الملايين من الناس الذين يجوعون، إلى عشرات الملايين من الأطفال الذين يموتون جوعاً ومرضاً، إلى البلاد المستعمره بكاملها، إلى الشعوب ذات مئات الملايين الذين يخنقون، إلى أدوات الفتك الهائله، إلى أدوات التعذيب القاسيه، إلى غيرها.

وبالجمله العلم حيث تخلى عن الله، صار فى خدمه الظلم والظالمين، وآله الفناء والدمار.

أما كيف يمكن نجاه العلم من الانحراف، فذلك بمزجه بالخوف من الله، وبذلك ينجو الإنسان عن سيطره رأس المال والديكتاتوريه، وإذا نجى الإنسان من دين، صار العلم آخذاً بالزمام، لا أن يكون مقوداً للأهواء والشهوات، ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أول العلم معرفه الجبار، وآخر العلم تفويض الأمر إليه»^(١).

وفى حديث آخر: «ليس العلم بكثره التعلم، وإنما هو نور يقذفه الله فى قلب من يشاء».

بل وقبل ذلك قال سبحانه: {إنما يخشى الله من عباده العلماء} ^(٢).

فالعالم ذو الخشيه يستحيل أن يسخر علمه لضرر الناس، كما أن العلم بدون

ص: ٢٠٩

١- بحار الأنوار: ج ١ ص ٢٢٥.

٢- سوره فاطر: الآيه ٢٨.

معرفة الجبار، والذي لا- ينتهى إلى التفويض إليه _ بأن يعرف أن كل الأمور صائره إليه تعالى، كما قال سبحانه: {ألا إلى الله
تصير الأمور} (١) _ ليس بعلم، كما أنه ليس بنور، إذ النور ينير لا أنه يظلم، وينجى لا أنه يدمر.

ص: ٢١٠

١- سورة الشورى: الآيه ٥٣.

كيف تتكون الشخصية؟

(مسألة ٢٢): الشخصية هي (أنا)، وهل هي تتكون، كما قال بذلك جمع من علماء الاجتماع، أم هي شيء يولد مع الإنسان وإنما ينمو، كما قال به آخرون، وهل هو شيء واحد، أو اثنان، أو ثلاثة، كما قال بكل ذلك جمع، احتمالات.

وفي الحديث: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^(١)، قال جماعه فيه: إنه كناية عن أن الإنسان يستحيل أن يعرف نفسه، كما يستحيل أن يعرف ربه، وقال آخرون: إن المراد به أن الإنسان إذا التفت إلى نفسه وأنها مخلوقه جاهله عاجزه و... عرف أن لها خالقاً عالمًا قادرًا و...

والقائلون بأن (أنا) لا يولد، بل يتكون، قالوا: بأن (أنا) عبارة عن جملة من أعمال الفعل وردود الفعل التي يكتسبها الإنسان في مسيره الطويل من الأسابيع الأولى من الولاده إلى آخر عمره، حيث إن (أنا) أي (الشخصية) لا يولد، وإنما بالتدريج يعرف الطفل أنه غير إنسان آخر، ثم تبلور هذه الشخصية بملاحظته:

(١) عمل الناس تجاه الإنسان.

(٢) وعمل الإنسان تجاه نفسه أو تجاه الآخرين.

وتصورات الإنسان عن نفسه وعن الآخرين أول ما يشعر مبهمه غايه الإبهام، ثم تأخذ في الوضوح،

ص: ٢١١

والوضوح الأكثر، حتى تصل إلى درجه الكمال، حيث ليس فوقه كمال، لكن الكنه يبقى مجهولاً على كل حال.

ولذا قال أحد العلماء: إن معرفه كنه الأشياء من أشكال المشكلات، وقال آخر: إنه مستحيل، ثم أردف: إنا قد علمنا بعد دركنا لكل فنون العلوم: أنه لم نعلم شيئاً.

لكن هذا القول لم يتم عليه دليل، إذ الظهور تابع للواقع، كما قالوا بذلك في الحركة الجوهرية، وأن ظهور الحركة دليل على واقع الحركة في الجوهر.

أما من قال بأن في الإنسان (أنا) و(أنا)، استدل بما يجده الشخص، من نازع ينزع فيه إلى الخير وينهى عن الشر، ونازع بالعكس، إذا الواحد لا يصدر منه إلا الواحد.

ومن قال بـ (أنا) ثالث، استدل بما يشاهد من حكم ثالث بين النفيرين (أنا وأنا).

لكن دليل كلا الرأيين ليس مقنعاً، وفي القرآن الحكيم: {ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها} (١).

وفي الحديث: «إن في قلب الإنسان لمتين، لمة من الملك، وأخرى من الشيطان» (٢).

وفي حديث آخر تفصيل وجود جنود العقل وجنود الجهل (٣).

وكيف كان، فالمهم التكلم عن (الشخصية) مما يجدها كل إنسان، وهو مهم علم الاجتماع.

تكون شخصيه الطفل

تكون شخصيه الطفل

إن الطفل يلاحظ الأشياء حوله بحواسه الخمسه، سواء ما تفعل الطبيعه

ص: ٢١٢

١- سوره الشمس: الآيه ٧.

٢- الوسائل: ج ١١ ص ٣٣٦.

٣- للتفصيل انظر بحار الأنوار: ج ١ ص ١٥٨.

أو الحيوان أو الإنسان، سواء بالنسبة إلى الطفل، أو إلى بعضهم البعض، كما يلاحظ ردود الفعل لأعماله بالنسبة إلى طبيعه أو الحيوان والإنسان:

(١) فمثلاً- يرى الشمس والماء والشجر والمروحة والمصباح، وينصدم بالهواء والحراره، ويسمع الأصوات الطبيعيه والحيوانيه والإنسانيه.

(٢) ويرى معامله بعض أفراد الحيوان للبعض الآخر، كالحيوانات الداجنه، وبعض أفراد الإنسان لبعض فى التكلم والتعارف والمصارعه ونحوها.

(٣) كما يرى أنه إذا فعل فعلاً- صار رد الفعل كذا، مثلاً إذا ذهب إلى النار احترق، أو إلى السلم سقط، أو إذا بكى حملوه أو أطعموه، وهكذا، ثم إنه يأخذ كل شيء ليراه جيداً، ويدخله فى فمه ليعرف مذاقه، وهكذا.

فإذا عرف الأشياء يدخل تدريجاً فى عالم الأفكار، أى يعرف ما وراء الأشياء، مثلاً أولاً يرى الكبريت، ثم بعد ذلك يشعر بأنه إذا قدح شبت منه النار، ويرى الدينار ثم يعرف أنه ذو قيمه، وهكذا.

وبكل ذلك تنمو شخصيته، ولذا كانت الشخصيه رهينه الأفعال وردود الأفعال المحيطه به، فإذا حقروا الطفل نشأ محقراً ذا عقده، وإذا عظموه نشأ كبيراً سمحاً، وقد رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحسن (عليه السلام) فقال: «هذا سيد ابن سيد»^(١٢).

وهكذا بالنسبه إلى الكرم والبخل، والشجاعه والجبين، واللف والخشونه، والنظافه والوساخه، والأدب وسوء الأدب، وغيرها، فإن الملكات كالبذور تبذر فى النفس، ويعتنى بها فتتمو من جنس ذلك البذر الذى بذر فيها.

وبالجمله فالشبكات الاجتماعيه الهائله تأخذ شيئاً فشيئاً تحيط بالطفل فعلاً وردّ فعل، وفى وسط تلك الشبكات تنمو ملكاته.

ص: ٢١٣

بين الضمير والمجتمع

وحيث إن في الإنسان حاله حكيمه داخله مما يسمى برؤيه الحسن والقبح، وحيث إن الاجتماع وليد ضغوط ونتائج حاصله من تلك الضغوط، بالأهم والمهم، والماضى والحال والمستقبل، فميراث الماضى حيث يأخذ القدسيه والعاده، ومصالح الحاضر، والاستعداد للمستقبل، وفي كل هذه الثلاثه الأهم والمهم، يخلى المهم مكانه للأهم، كما أن الأهم من الماضى يزاحم المهم فى الحاضر، والأهم المستقبلى يزاحم المهم فى الماضى والحاضر.

أقول: حيث كل ذلك، تتكون عند الشخص شخصيتان:

(١) شخصيه ضميره.

(٢) شخصيه اجتماعه.

فإذا خلى ونفسه أو بأفراد عرفه الخاص، الذين أطرت شخصياتهم شبيهه بالآخر، أظهر ضميره وتكلم وعمل بكل حريه.

أما إذا كان مع الاجتماع اضطر إلى أن يتنازل إلى شبكه الاجتماع حذراً من أن يفقد مصالحه، وهذا ليس نفاقاً، بل من باب ترجيح الأهم على المهم، وهى قاعده عقليه.

وهذا هو الفارق بين النفاق والمداراه، فالأول انتهازيه ووصوليه ونفعيه، والثانى أهم ومهم، ومصالحه واحترام الآخرين.

وقد ذم الله سبحانه الأول، قال: ﴿وَدُوا لَوْ تَدَهَّنْ فَيَدَهْنُونَ﴾ (١)، وغيرها من الآيات.

ومدح الثانى، قال: ﴿لَتَعَارَفُوا﴾ (٢)، وغيرها من الآيات.

ص: ٢١٤

١- سورة القلم: الآيه ٩.

٢- سورة الحجرات: الآيه ١٣.

وبالسبب السابق ضمير الشخص واجتماعه، بالإضافة إلى الميول والشهوات الداخليه والضعف الخارجيه الأحيانيه، يتراوح الشخص في أفكاره وأعماله، فربما صار مؤمناً، وربما منافقاً، وربما كافراً، وكذلك ربما صحيح الفكر أو العمل، وربما فاسدهما، ولذا كانت الشخصيه كثيراً ما متأرجحه بين عوامل أربع:

١: ضميره المنعقد على حسن الحسن، وقبح القبيح.

٢: شهواته وميوله الطاغيه.

٣: عرفه الخاص، كحزبه وجمعيته.

٤: عرف الاجتماع العام، حيث تختلف موازينه عن موازين العرف الخاص غالباً.

ومما تقدم ظهر أن الشخصيه ليس محض انعكاس للمحيط الاجتماعى، بل أمر مزيج من الذاتيه والانعكاسات الاجتماعيه وأمور آخر، فإن كل هذه الأمور دخيله فى تكوين الشخصيه، أما من يراها صرف الانعكاس للمحيط الاجتماعى، ولذا يرى أنه لو تغير المحيط الاجتماعى تغيرت الشخصيه، فالدليل على خلافه، فإنه لو كان الأمر كذلك، لماذا كانت الازدواجيه بين الضمير والخارج، ولماذا يتغير الاجتماع تدريجاً، إلى غير ذلك.

مراحل تدرج الطفل

مراحل تدرج الطفل

ثم إن الطفل فى تقدم شخصيته يتدرج فى مراحل ابتدائيه أربع:

١: مرحله التقليد للناس، حيث يعمل كما يعملون، كأن يصلى مع أبيه وأمه وغيرهما، أو يأخذ اللقمه كما يأخذون، أو يتنحج مثلهم، إلى غير ذلك.

ص: ٢١٥

٢: مرحله جعل نفسه مكانهم، والنظر إلى نفسه كما هم ينظرون إليه، مثلاً- يمثل نفسه بالأم ويلطف مع نفسه، أو مع آله لعب صورت في صورته الطفل، وبالآب ويأتي إلى نفسه بالفواكه، أو يهز نفسه كأن الأب أخذ يهزه، وشبه ذلك.

٣: مرحله اللعب الجماعي، حيث تنتهي مرحله اللعب الفردي، وإنما يلعب في شبكه من الارتباطات، حيث يراقب دوره في اللعب، ويلاحظ فشل ونجاح زملائه، ويكون حكماً في أن أياً منهم خالف الدور، أو زور في اللعب، أو ما أشبه ذلك.

٤: وأخيراً يصل إلى مرتبه يأخذ تدريجاً في الخروج عن مرحله الطفوله، ويتكون في نفسه هدف في الحياه، ويرفع بنفسه عن الألعاب الطفولييه، ويكون الزمان بنظره أبطأ، فإن الزمان - كما قرر في محله - يختلف مروره بالنسبه إلى الأشخاص، فمن في لذه يرى تقضى الزمان بالنسبه إليه سريعاً، بينما من في الألم يرى الساعه عشر ساعات مثلاً، والمنتظر للصدیق الحميم يرى ببطء الزمان، بينما من ينتظر مكروهاً يرى سرعته، وهكذا، حتى قال بعض العلماء: إن الزمان محله في ذهن الإنسان لا في الخارج، وكلما قرب الإنسان إلى الطفوله يرى ببطء الزمان، فالساعه عند الطفل كنصف ساعه عند المراهق، بينما هو ربع ساعه عند الشاب، وهكذا.

تصورات الإنسان عن نفسه

تصورات الإنسان عن نفسه

وحيث يتكون في نفس الطفل الذي أخذ في الكبر هدف ما، يقارن ذلك أنه يأخذ في تقييم نفسه، وفي هذه المرحله والتي تبقى إلى آخر العمر يلاحظ أموراً:

ص: ٢١٤

١: تصوره عن نفسه، وأنه كيف هو، فإن الإنسان يزن نفسه عند نفسه، هل له وزن أم لا، وكم وزنه، وكيف وزنه، وما هي مرتبته في الاجتماع، إلى غير ذلك.

٢: تصوره أنه كيف يكون عند الناس، هل له وزن أم لا، وكم وزنه، وكيف، وهكذا، فيجعل نفسه مكان الآخرين وينظر إلى نفسه من منظارهم، وإذا كان يحيط به عرفان، عرف عام وعرف خاص، كما إذا كان في منظمه أو حزب أو جمعيه أو ما أشبهه، يلاحظ أنه كيف عند هؤلاء، وكيف عند هؤلاء، وهكذا.

وغالباً يعدل الإنسان طريقته إلى ما يراه يوجب ارتفاعه عند العرفين، وإذا كان تعارض بين العرفين، فغالباً يقدم عرفه الخاص، لأنه أقوى صلة ورابطه به، ولذا يشاهد أنه يتحمل مشاكل هذا العرف ضد العرف العام، وقليل هم الذين يخرقون عرفهم الخاص ليلحقوا بركب العرف العام.

ولأجل التناقض بين العرفين، وأن العرف الخاص لا بد وأن يكون في المجتمع علناً أو سراً، تحاول الحكومات الحازمه:

(أ) إعطاء المجال لأعضاء العرف الخاص بالظهور والاختلاط بالمجتمع لئلا يقعوا في قوقعه السريه، حيث يتبع السر الانغلاق ثم العنف، وأضرار العنف بالاجتماع وبسمعه الحكومه أكثر من إعطاء المجال لأعضاء العرف الخاص بالظهور.

(ب) ثم إذا كان العرف الخاص فيه طبيعه الهدم، تحاول الحكومه سحب البساط بالمغريات من تحت أرجل ذلك العرف، وإن لم يكن فيه طبيعه الهدم تحاول الحكومات ترقيق مشاعر العرف الخاص بإعطائه طلباته حسب الإمكان، وحل المشاكل بالتى هي أحسن.

وحيث إن الحكومات الديكتاتوريه لا تتحلى بالحزم، توقع نفسها

والمجتمع فى مشاكل جمه، وأخيراً يأتى دور المحاربه بينها وبين أعضاء الأعراف الخاصه، فالمظاهرات والإضرابات، وأخيراً القلاقل والفوضى والثوره.

٣: وأخيراً يأتى دور المحاكمه، فيتصور الطفل المتقدم فى أنه هل أن تصور الآخرين عنه صحيح أو باطل، وينقسم الحال إلى ثلاثه أقسام:

أ: أن يرى تصورهم صحيحاً.

ب: أن يرى أنهم قد بخسوا حقه، وأنه فوق ما يتصورون عنه، وهذا هو الغالب، لأن الإنسان حيث يحب نفسه لا يرى أخطاءه ونواقصه، بينما يراها الناس، فهو عند نفسه رفيع، بينما يكون عند الناس وضيعاً، أو لا أقل من أنه دون تصور نفسه.

ولذا ورد فى الحديث: «أحب إخوانى من أهدى إلى عيوبى» (١).

و: «صديقك من صدقك لا من صدقك» (٢).

و«يا صالح اتبع من يبكيك وهو لك ناصح ولا تتبع من يضحكك هو لك غاش» (٣).

و: «المؤمن مرآه لأخيه المؤمن» (٤).

ج: أن يرى أنهم قد وضعوه فوق مستواه، وهذا نادر، وكثيراً ما يكون ذلك وليد الديكتاتوريه أو المال أو التزوير، حيث يعلم الإنسان بحال نفسه، إلا أن قوته أو ماله أو رياهه يجعل الناس يتصورونه _ ولا أقل من إظهارهم ذلك _ فوق ما يرى هو لنفسه.

ولذا نرى أن العظماء حقيقه، يأبون من مدح أنفسهم، ومن مدح الناس لهم، وقد مدح الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) بعض فى وجهه، فقال (عليه السلام): «اللهم إنك أعلم

ص: ٢١٨

١- الوسائل: ج ٨ ص ٤١٣.

٢- انظر غرر الحكم: ص ٢١٥ ح ٣٩٦٧.

٣- وسائل الشيعه: ج ٨ ص ٤١٣.

٤- نوادر الراوندى: ٨.

بى من نفسى، وأنا أعلم بنفسى منهم، اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون، واغفر لنا ما لا يعلمون»(١١).

وقد لقيه (عليه السلام) عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار، فترجلوا له واشتدوا بين يديه، فقال (عليه السلام): ما هذا الذى صنعتموه، فقالوا: خلق منا نعظم به أمراءنا، فقال: «والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم، وأنكم لتشقون على أنفسكم فى دنياكم، وتشقون به فى آخرتكم، وما أخسر المشقه وراءها العقاب، وأربح الدعه معها الأمان من النار»(١٢).

وقال (عليه السلام): «كرهت أن يكون جال فى ظنكم أنى أحب الإطراء واستماع الشاء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك، لتركته انحطاطاً له سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمه والكبرياء، وربما استحلى الناس الشاء بعد البلاء، فلا تثنوا على بجميل ثناء لإخراج نفسى إلى الله سبحانه وإيكم من التقيه، فى حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لا بد من إمضائها، فلا تكلمونى بما تكلم به الجابره، ولا تتحفظوا منى بما يتحفظ به عند أهل البادره، ولا تخالطونى بالمصانعه»(١٣).

الشخصيه الفرديه والشخصيه الاجتماعيه

الشخصيه الفرديه والشخصيه الاجتماعيه

ثم الشخصيه تطلق:

(١) إما على الفرد، ويراد بها ما للفرد من الخصوصيات والصفات الظاهره أو الباطنه.

ص: ٢١٩

١- نهج البلاغه: قصار الحكم ١٠٠.

٢- نهج البلاغه: قصار الح كم ٣٧.

٣- نهج البلاغه: الخطب ٢١٦.

٢) وإما على الاجتماع، ويراد بها ما يغلب على الاجتماع من الصفات الظاهره والباطنه، في قبال الاجتماع الآخر، مثلاً يقال: إن الاجتماع الفلاني له الشخصيه الرفيعه، لكونه كريماً نظيفاً محباً للخير، بخلاف الاجتماع الفلاني الآخر فله شخصيه منحطه، لعدم تحليه بالصفات الجميله.

وفي التاريخ أن سبارطه كانت لها الشخصيه الحربيه، بينما أثينا كانت لها الشخصيه العلميه.

الشخصيه ماديه ومعنويه

الشخصيه ماديه ومعنويه

والشخصيه، فريده كانت أو اجتماعيه:

أ: ماديه.

ب: معنويه.

والثانيه تنقسم إلى:

١) اعتباريه.

٢) وانتزاعيه.

٣) وحقيقه.

أ: فالماديه هي المرتبطه بالأوليات المدركه بالحواس، مثل ما يحفظ الإنسان في خاطره، وما يظهره من الفعل ورد الفعل عند المسموعات والمنظورات والمشموحات والمذوقات والملمسوات، مع العلم أن قوه اللامسه: تشمل: ١) الخشن واللين. ٢: والرطوبه واليبوسه. ٣: والحراره والبروده. ٤: والأحجام. ٥: والعلو والهبوط. ٦: والمرغوب وغيره مثل الملامسه الزوجيه).

فالشخص يكون قبال هذه الأمور في شبكه من الارتباطات، وكذلك الاجتماع، وكل ذلك يكون للفرد أو الاجتماع الشخصيه الماديه.

تغير الشخصيه الماديه

والشخصيه الماديه تتغير حسب تغير الإمكانيات أو المعارف، فمثلاً من يرى النظافه، أو الكرم، أو تعليم الأولاد، أو تزويج أولاده مبكراً، إذا فقد الماء أو المال، تحول إلى شخصيه غير نظيفه، ولا مضيافه، ولا يعلم أولاده، ولا يزوجهم مبكراً.

كل ذلك لعدم توفر الأسباب، وإن توفرت المعرفة لديه، وهذه الحالة تعطى للشخص شخصيه خاصه، بينما إذا توفر الماء والمال تبدلت شخصيته إلى خلاف تلك الشخصيه.

وهكذا حال المجتمع الفاقد والواجد، ومثل ذلك الحال إذا تغيرت المعنويات، مثلاً كان له المال، لكن لم يكن له رأى فى تزويج أولاده، أو حفظ نسائه، أو إكرام ضيوفه، فإن له حينئذ شخصيه خاصه، ولم تكن تلك الشخصيه مستنده إلى الماده، وإنما تستند إلى معرفه خاصه، فإذا تبدلت تلك المعرفه إلى معرفه مضاده تبدلت الشخصيه.

ولذا نرى أن الجاهليين عرباً وفرنساً وروماً، كانت لهم شخصيات خاصه، مثل السجده للملوك، وإطاعه العلماء فى الباطل، وحظر التعليم، وزواج المحارم، وفى الجزيره قتل البنين والبنات خوف العار والإملاق والمقاتله، وشاع فى الكل المعاقره، وقطع الرحم، والانحراف الجنسى نساءً ورجالاً، وإلى غير ذلك.

فلما غيرت معارفهم تحت لواء الإسلام، صارت لهم شخصيه مخالفه لتلك الشخصيه السابقه، وكذلك لما وفر عليهم الماء ووجب التطهر صاروا نظافاً، بعد أن كانوا من أوسخ الناس، وبقي الغرب فى الوساخه، حتى أن بعضهم لما بلطوا الشوارع وفتحوا الحمامات فى فرنسا قال علماءؤهم: إنهم تشبهوا بالكفار _ أى المسلمين _، وأغلقوا الحمامات وأرجعوا الشوارع كما كانت.

وكان مما اشتكى المسلمون فى حروب الصليبيين لهم، كثره تعفن أبدان جيوش الصليب، فلما دخلت الحضاره الماديه إلى تلك البلاد تغيرت شخصيتهم.

وكذلك نرى الحال فى التفرقه اللونيه والعنصريه وما أشبه، فما دامت

التفرقة لا تكون مزاجه، ولا معاشره، بل طائفه المنبوذين فى الهند إذا أراد رئيس المعمل أو الإقطاعى إعطاءهم أجرتهم، وقف بحيث لا يقع ظل المنبوذ عليه وإلا لتنجس، وأعطى المال بواسطه، حتى لا تلمس يده يد المنبوذ.

وفى أمريكا البيض لا- يعاشرون السود، وكذلك القوميون لا- يتزوجون مع آخرين، بل ولا يرثونهم، كما رأينا ذلك فى بعض البلاد العربيه المعاصره إبان المد القومى.

وكان شىء كثير من ذلك إبان الجاهليه، فلما جاء الإسلام صار بلال الحبشى، وأبوذر العربى، وصهيب الرومى، وسلمان الفارسى، فى صف واحد فى كل الشؤن، من غير فوق بين اللون واللغه والقوميه والقطريه، فى العباده والمعامله والزواج والعقوبات والعلم وغير ذلك، بل قد صار ميزان المفاضله الإيمان والعمل الصالح فقط. ولم يكن ذلك الميزان سبباً للفصل فى زواج أو عقوبه أو معامله، بل مجرد الاحترام والأجر فى الآخره ونحوهما.

أقسام الشخصيه المعنويه

أقسام الشخصيه المعنويه

(ب) الشخصيه المعنويه:

أ: هى التى تحيط الشخص بالاعتباريات، فىكون الفرد أو الجماعه فى شبكه من أمور غير عينيه، وأما هى تكون باعتبار المعتر، فإذا اعتبرها المعتر كانت، وإذا أزالها زالت، مثل أن النقد الورقى يقابل كذا من السعر أو الماده بالاعتبار، فإذا اعتبر المعتر بأيه درجه كالدينار ونصفه وربعه والدرهم، صار له اعتبار، وإذا أزال اعتباره زال اعتباره.

والأمور اعتباريه جاريه فى المعاملات والحقوق والحدود والأحوال الشخصيه وغيرها، ولذا يتطور كل ذلك حسب تطور الاعتبار.

ص: ٢٢٢

٢: والتي تحيط الشخص بالانتزاعات، والفرق بينها وبين الاعتبارات أن الانتزاعات ليس بيد المعبر، وإنما هي حقائق لها واقع منتزع من أمر حقيقي، مثل زوجه الأربعة، والمناقضه بين الوجود والعدم، والمضاده بين الأسود والأبيض، والتضاييف بأقسامه:

أ: المعاند.

ب: وغير المعاند.

ج: المتشابه.

د: وغير المتشابه، كالفوق والتحت، والعالم والمعلوم، والأخ والأخ، والاب والابن.

فإن هذه الأمور الاعتباريه أيضاً تحيط حول الشخص فرداً واجتماعاً، وتعطيه شخصيه، مثلاً- القطر ذو خمسين مليون فرد له شخصيه زوجه، بينما القطر ذو تسعه ملايين له شخصيه فرديه، والقوم الذين يسكنون الجبال لهم شخصيه فوقه حسيه على القوم الذين يسكنون السفوح، إلى غير ذلك من الأمثله.

ولا- يخفى أن كلاً من الاعتبار والانتزاع له آثار، فليس مجرد ألفاظ، فاعتبار جواز الزواج بأربع يجعل كل النساء ذات زوج، بينما اعتبار عدم الجواز إلاً بواحد، يجعل كثيراً من النساء عوانس وأرامل، والذين هم يسكنون الجبال أمنع عند المحاربه من الذين يسكنون السفوح وهكذا.

ومما تقدم ظهر أن الاعتبار لا بد له من التواضع، وذلك يكون حسب المصالح، في نظر الواضعين.

أما الانتزاع فإنه حقيقه خفيفه، ليس أمره بيد أحد.

والفرق بين الانتزاع والحقائق الأصلية أن الانتزاع يستند إلى الحقائق، وليس العكس، حالهما _ ولا مناقشه في المثال _ حال الجوهر والعرض، فالشكل مستند إلى الذات، وليس العكس، ولا ينافي ذلك أن الذات لا تخلو عن شكل ما قطعاً.

ص: ٢٢٣

٣: والتي تحيط بالشخص بالحقائق، مثل واقع المبدأ والمعاد، والرساله والإمامه، وغيرها فإنها حقائق، ليست اعتباريه ولا انتزاعيه، وإنما هي تحيط بالشخص والاجتماع، فتعطيها شخصيه خاصه من الاعتقاد، والامثال وتلون الأفكار والأقوال والأعمال والسيره بها.

وإننا لا نريد بذلك أن كل شخصيه لفرد أو أمه في إطار الحقائق تطابق الواقع، بل نريد بيان أن الحقائق أيضاً تعطى شبكه الشخصيه، سواء وصل الاجتماع إليها فرتب الآثار على الحقائق، أو لم يصل، بل اتخذ بدل الواقع زيفاً، فرتب آثار الزيف مكان ما يلزم عليه من ترتيب آثار الحقائق.

وليست الشخصيه في الواقع والزيف متشابهه، إلا من حيث الاسم، وإلا فالحقائق تعطى آثاراً لا يعطيها الزيف، مثلها مثل الماديات، فكلما أن السراب لا يروى، والحائط لا يمكن النفوذ فيه، وإن ظن المخدوع أنه ماء وباب، كذلك تختلف آثار الحقائق المعنويه عن آثار الزيف الذي ظنه الظان حقيقه.

بل هكذا الحال في الانتزاعيات والاعتباريات، فزيفها لا يؤثر أثر الواقع منها، وإن ظن الظان أنه واقع، فمن ظن أن السياره زوجيه العجلات، بينما كانت فريده العجلات، لم يحصل السير لأن الزوج يمكنها المشى لا الفرد، ومن ظن أن هذا الورق دينار لم ينفعه ذلك في إعطاء كميته من المواد في قبالة، إذا كان زيفاً لا اعتبار له حقيقه، نعم قد يخدع الزيف، كما يخدع السراب الظمان، فيعطيه الاطمينان.

ومما تقدم ظهر أن كلاً من الثقافه الماديه أى المرتبطه بالماده، والثقافه المعنويه أى المرتبطه بالحقائق غير الماده، من حقائق واقعيه وحقائق انتزاعيه وحقائق اعتباريه، والفارق بين الثقافتين أن الماديه تدرك بالحواس

الخمس، والمعنويه لا- تدرك بها بل بالفكر، توطر الإنسان فى إطار خاص من الشخصيه، سواء كان ذلك الإنسان فرداً أو جماعه.

أما أنه هل الأثر الأكثر للماديه أو للمعنويه، فقد اختلف فيه علماء الاجتماع بين مرجح للأول، ومرجح للثانى، وقائل بالتساوى، وقائل بالتفصيل، فبعض الأفراد أو الاجتماعات يتأثرون بالماديه، وبعضهم بالمعنويه أكثر، وهكذا.

ص: ٢٢٥

أجواء نمو الشخصية

(مسألة ٢٣): كيف يمكن إنماء الشخصية الاجتماعية حتى يصل الاجتماع إلى الشخصية المطلوبه، أى القابله.

إن ذلك إنما يكون فى ظل إنماء الشخصية الفرديه، إذ الشخصية الاجتماعيه عباره أخرى عن تجمع الشخصيات الفرديه، إنه لا شك فى أن الاجتماع له شخصيه غير شخصيه كل فرد فرد، كما أن البحر له قوه غير قوه كل قطره قطره، لكن بصوره عامه يتوقف الكيان الاجتماعى على الكيان الفردي، سواء فى الشخصية، أو فى البحر والقطره، أو فى الجيش والجندي، أو فى البناء والآجره، أو فى الواحد والألف من الأعداد _.

وعليه فاللازم ملاحظه أنه كيف تنمو شخصيه الفرد.

ثم إذا كان للاجتماع بما هو اجتماع شرائط وآداب لنموه، يلزم ملاحظه ذلك فى مرتبه ثانيه، ولدى الاستقراء والسبر يرى أن الشخصية الفرديه إنما تنمو فى ظل كون (الحكم) و(العلم) و(المال) للجميع، بأن يكون الناس يحكمون أنفسهم بأنفسهم، وكل يتمكن من العلم تمكنه من الماء والهواء، وكل له نتيجة سعيه الفكرى والجسدى، بالإضافة إلى قيمه المواد، وما له من الشرائط والعلاقات الاجتماعيه.

وفى مثل هذا الجو: لكل قدر استحقاقه من الحكم والعلم والمال، تنمو الشخصيات نمواً ممكناً، وقد كان قبل الإسلام كل من الثلاثه محتكره على طائفه الحكام، وحتى أن العلم كان محظوراً إلا للموبذ فى إيران،

وللكنيسه فى الرومان، وجاء الإسلام ليعطى لكل حقه، ولكن إلى الآن لم تقدر الدنيا على ذلك، حيث إن العلم محروم منه الطبقات الفقيره، كما تقدم فى مسأله سابقه.

والحكم فى الغرب تحت سيطره المال، وفى الشرق تحت سيطره الديكتاتور، والمال يستغل فى الغرب لمصلحه الرأسمالين، وفى الشرق لمصلحه الحكام، وليس المراد بكون الحكم للجميع إلا الاستشاريه الصحيحه، مع لزوم أن يكون بالشرائط الإسلاميه كما هو عقيدته المسلم.

ولا- يمكن إخراج الحكم والمال والعلم عن سيطره الفرديه، والاحتكار إلى التوزيع العادل بين الجميع، إلا بتوزيع القدره، فقد قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «من ملك استأثر»^(١).

وتوزيع القدره لا يمكن إلا بالوعى الجماهيرى، بأن يعرف الكل كم حق كل أحد من العلم والمال والحكم.

فإذا وعى الجميع لا- يتمكن المستثمرون من استثمار علم أو مال أو حكم غيرهم، كما هو الحال فى عالم اليوم، وإن اختلفت البلاد فى شدة الاستثمار وضعفه، نتيجة لكثرة الوعى _ فى الجمله _ فى بعض البلاد، وقتله فى بعض البلاد الأخر.

فإذا وعى الجميع تبع ذلك تشكل المنظمات الحافظه للمكاسب والمنميه لها.

أما المنظمه الواحده فهى عباره أخرى عن الديكتاتوريه، كما نشاهد ذلك فى البلاد التى يحكم فيها حزب واحد، فإن الإنسان أقرب شىء إلى الديكتاتوريه والفرديه.

ص: ٢٢٧

طبيعه الحكم الدكتاتوري

ومن طبيعه الديكتاتوريه:

١: السريه فى العمل، حيث إن الديكتاتور دائماً متآمر، يريد بذلك أن يحفظ قدسه أمام الناس، فيعمل فى السر ما يظهر فى العلن خلافه.

٢: إظهار أنه العامل الوحيد فى الساحة، وأن كل الفضل يرجع إليه.

٣: تنفيذ آرائه فقط، أما غيره فرأيه غير صحيح، فهو فرد الله المختار الذى يفهم ما لا يفهمه غيره.

٤: استشاره بكل الغنائم، أى إن كل السمعه وكل الدعايه وكل الخير له فقط، أما من عداه فله بقدر ما تفضل عليه الديكتاتور تفضلاً محضاً وإحساناً صرفاً، فقد يجعل خيره الأموال لنفسه وجماعته ملكاً صرفاً، وقد لا يجرؤ على ذلك بل يحوط الأموال لصرفها فى هواه، وإن سمى ذلك بألف اسم آخر.

ولا- فرق فى الديكتاتوريه بين الصريحه، أو الملتويه تحت صورته مجلس الأعمه، أو مجلس القياده، أو مجلس الشعب، أو غير ذلك، وقد شاهد العالم أمثله واضحه لذلك فى ستالين وهتلر وموسيلينى وماو، وأضرابهم من الديكتاتوريين الأصغر منهم حجماً، وإن كانوا مثلهم فى كل الخصوصيات.

ومما تقدم ظهر أنه لو نظم المجتمع تنظيماً صحيحاً، بحيث يكون العلم والمال والحكم فى متناول الجميع بما يستحقون، نمت الشخصيه الاجتماعيه نمواً صحيحاً، بالعكس من المجتمع المبني على الفوضى، حيث كل أحد يحاول أن يحفظ نفسه بالقدر المستطاع فلا مجال له للنمو، ومن المجتمع المبني على الديكتاتوريه، حيث إن البناء الديكتاتوري يمنع عن النمو.

اختلاف النفسيات

وكما أن البذور مختلفه، فإذا وجدت المناخ المناسب نمت كل بذره بما فطر لها، من الأشكال والألوان والطعوم وغير ذلك، كذلك أفراد الاجتماع بصفاتهم المختلفه.

وقد قسم بعض علماء الاجتماع أفراد الاجتماع إلى أربعة أقسام هي:

١: الهادئ، حيث يرجح التعقل والتفكر والتأني والتروى.

٢: المتحمس، حيث يرجح الإقدام والاقترام والاستهانه بالمخاطر.

٣: المنسجم الذى يميل إلى الانسجام والمداراه.

٤: المتنفر الذى يميل إلى الانفصام والابتعاد.

ولا يخفى أن الصفات المذكوره تكمل بعضها البعض الآخر، ولذا يشاهد أن الجمعيه المركبه من القسمين الأولين، يمنع هادؤها متحمسها من الإفراط، كما يمنع متحمسها هادؤها عن الركود، وتكون النتيجة الإقدام العقلاني، وكذلك فى جمعيه تجميع بين المنسجم والمتنفر، وهكذا بالنسبه إلى بقية أقسام ضرب الأربعة بعضها فى بعض.

ومع أنا نرى فى عائله واحده قسمين أو أقساماً من الأولاد، إلا أن التربيه لها أثر فعال فى تلوين المجتمع بأحد الألوان المذكوره، أوالمزيج المتوسط منها، فبعض الأمم يربون على التعقل والتأني، بينما بعض آخر يربون على الإقدام والاندفاع، وهكذا.

ولذا اشتهر أن شعب العراق له صفه كذا، وشعب إيران له صفه كذا، والآسويين ليسوا فى صفاتهم كالإفريقيين، وتختلف سمات الإمريكيين عن الأوربيين، وهكذا.

ثم إنه ليست حدود خاصه بين الأقسام المذكوره، حتى تكون التمايز كلياً، ولذا يشاهد فى أمه لها شخصيه خاصه، أفراد لهم شخصيه متوسطه أو

مخالفه، وإنما همّ عالم الاجتماع ملاحظه الأعم الأغلب.

الاهتمام بالتربيه والتثقيف

اختلاف النفسيات

وحيث إن كثيراً من الشخصيه الفرديه والاجتماعيه، يتوقف على أسلوب التربيه والتثقيف، فاللازم على الذين يريدون إصلاح المجتمعات، الاهتمام بهذا الجانب.

فإن ظهور الشخصيه _ حسب التأديب _ وإن كان بطيئاً، إلا أنه نواه لا بد وأن يظهر ثمرها ولو بعد حين، ولا فرق في ذلك بين تأديب الإنسان نفسه، أو أولاده، أو أقرباءه، أو من يتمكن عليه من أفراد مجتمعه.

قال على (عليه السلام): «سوء الأدب سبب كل شر» (١).

وقال (عليه السلام): «أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه» (٢).

وقال (عليه السلام): «لا ميراث كالأدب» (٣).

وقال (عليه السلام): «أيها الناس تولوا من أنفسكم تأديبها، وأعدلوا بها عن ضراوه عاداتها» (٤).

وقال (عليه السلام): «غايه الأدب أن يستحي الإنسان عن نفسه» (٥).

وقال (عليه السلام): «لا تقروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم» (٦).

أقول: فإن ذلك من بعد المدى، حيث يجب أن يؤدب الإنسان ولده اجتماعياً، بحيث يقدر على أن يساير الاجتماع في نطاق الأحكام الإسلاميه.

ص: ٢٣٠

١- شرح نهج البلاغه: ج ٢٠ ص ٢٥٨.

٢- نهج البلاغه: قصار الح كم ٢٤٩.

٣- نهج البلاغه: ق صار الحكم ٥٤.

٤- نهج البلاغه: قصار الحكم ٣٥٩.

٥- شرح نهج البلاغه: ج ٢٠ ص ٢٦٥.

٦- شرح نهج البلاغه: ج ٢٠ ص ٢٦٧.

وقال (عليه السلام): «المرآة التي ينظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هي الناس، لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم، ومساوئه من أعدائه فيهم»^(١)، إلى غيرها.

ولا يخفى أن المجتمع كلما كان أكبر، كان أقرب إلى القوام والاعتدال، لأن العناصر المختلفة التي تصب فيه بثقافات مختلفة توجب تلون الاجتماع باللون الأنصع، فإن من طبيعه الإنسان أن ينظر إلى الأعلى فيتخذه أسوه، وأن يسعى بمثل سعي الأكثر سعيًا لئلا يفوته الركب.

ولذا كان من صفات المجتمعات الكبيرة:

١: وجود المحاسن فيها.

٢: اقترابها بمجموعها إلى الاعتدال.

٣: سرعتها في السير والتقدم إلى الإمام.

فإنه وإن كانت المشاكل في مثل هذه المجتمعات أكثر، إلا أن محاسنها أكثر من مساوئها، ولذا أمر على (عليه السلام) بسكنى المدن الكبار.

وكان المجتمع الكبير من أحسن أسباب إعطاء الشخصية المعتدلة للإنسان، فرداً أو جماعةً أو مجتمعاً.

عوامل صياغة الشخصية الفرديه

إشاره

عوامل صياغة الشخصية الفرديه

ثم إن الشخصية الفرديه _ والتي تؤثر بالآخريه في شخصيه الاجتماع _ إنما تصاغ بسبب العوامل التاليه:

١: الصفات النفسيه

١: الصفات النفسيه

(١) الصفات النفسيه الفطريه المودعه في نفس الفرد منذ الولاده، ولذا

ص: ٢٣١

نشاهد طفلين شرائطهما متحده من جميع الحثيات، ومع ذلك أحدهما أجراً من الآخر، أو أكرم، أو أذكى، أو ما أشبه ذلك.

وقد ثبت علمياً أن صفات الأبوين، بل الأقرباء كالعم والخال، وحالتهم عند انعقاد النطفه، وخصوصيات غذاء الأم حال الحمل، بل وبعض جهاتها الآخر، لها مدخله فى نفسه الطفل، وفى (الفقه) باب النكاح، فصل الأولاد، روايات بهذا الشأن.

٢: الخصوصيات الجسديه

٢: الخصوصيات الجسديه

٢) خصوصياته الجسميه، من طول وقصر، وجمال وقبح، وكمال ونقص، وصحه ومرض، وما أشبه، فإنها سهيم فى تكون الشخصيه، مثلاً- القصر غير المتعارف أو الطول غير المتعارف يسببان تحقير الناس له، وإن كان التحقير غير صحيح، والتحقير يسبب عقده نفسه فى الإنسان، مما يسبب له شخصيه معقده يظهر أثرها فى أعماله.

بالعكس الجميل يحظى باحترام الناس، مما يسبب له عدم الانطوائيه، وحفظ احترام نفسه، لئلا يخيب ظن الناس فيه، وقد ورد: «إن الله جميل يحب الجمال»^(١)، وورد: اتخاذ الظئر الجميل للرضاع، لان اللبن يعدى، وورد: «خير نساء أمتى أصبحن وجهاً وأقلهن مهراً»^(٢).

وحال القبيح والناقص والمريض، حال القصير والطويل.

بالإضافه إلى أن المريض أو الناقص لا يقدران على ما يقدر عليه الصحيح والكامل، وكل

ص: ٢٣٢

١- أصول الكافى: ج ٢ ص ١٦٤.

٢- مكارم الأخلاق: ص ١٩٨.

ذلك يعطى للإنسان شخصيه مناسبه لتلك الظواهر.

٣: المحيط الطبيعى

٣: المحيط الطبيعى

٣) كون الفرد ريفياً أو مدنياً، يعيش فى ساحل البحر أو الغابه أو الجبل أو غيرها، وذلك لأن المناخ يعطى للإنسان شخصيه خاصه، كما تقدم فى بعض المسائل السابقه الإلماع إلى مثل ذلك، مثلاً الريفى أصرح من المدنى، والذى يعيش فى الغابه أشجع من غيره.

ومن هذه المنطق كانت عاده قريش قبل الإسلام، إيداع أولادهم الرضع إلى المراضع البدويه، لينشؤوا شجعاناً فصحاء صرحاء أصحاء الجسم، وكما قال على (عليه السلام): «فإن الشجره البريه أصلب عوداً، وأكثر وقوداً، وأبطأ خموداً» (١).

٤: الوضع المعيشى

٤: الوضع المعيشى

٤) إنه عاش فى طبقه فقيره أو غنيه أو متوسطه:

أ: فالفقيره، ترضع الأمهات أولادها طويلاً، ويتعلم الولد على حياه الخشونه، وحيث إن للفقير روابط قليله يخرج الولد بشخصيه جسوره صريحه بسيطه، بينما العكس من كل ذلك أولاد الطبقة الغنيه، أما المتوسطه فالأولاد يكونون بين الأمرين.

ب: حيث إن الطبقة الفقيره تعمل دائماً لأجل المعاش، لا يتسرب إلى أولادها مسائل المعاشقه والأمر غير المشروعه، مما يكون سببها الفراغ والجده، بالعكس من أولاد الأغنياء المنحرفين، حيث يتوفر لهم ذان الأمران بتوابعهما.

ص: ٢٣٣

١- راجع نهج البلاغه: الكتب ٤٥.

ج: سهوله الحياه عند الطبقة الفقيره، بخلاف الطبقة الغنيه، حيث إن قله الماده والاشتغال بالمعاش يمنع الفقير من أن يركم على نفسه أغلال الحياه، من رسوم الزواج والولاده والموت وغير ذلك مما تلازم حياه الغنى والصدعه فى الغالب، وكذلك الحال فى المسكن والملبس والمركب والسفر والمرض، وغير ذلك.

د: يغلب فى الطبقة الفقيره الإقدام والإفراط، فيما الغالب فى الطبقة الغنيه العكس، وذلك لأن الروابط التى تحيط الفقير أقل، ولا مال ولا جاه له حتى يلاحظهما فى سلوكه، بينما كل ذلك بالعكس فى الطبقة الغنيه.

وعليه فالطبقة الغنيه لهم شخصيه خاصه ليست كشخصيه الطبقة الفقيره، والطبقة المتوسطه تعيش بين الطبقتين فى الشخصيه.

٥: العمل الاجتماعى

٥: العمل الاجتماعى

٥) بعد ذلك يأتى دور الشغل، فإن الأشغال المختلفه تعطى للإنسان شخصيات متفاوته، فالمرجع الدينى والخطيب والقاضى والمعلم، لهم شخصيه خاصه لا تماثل شخصيه الجندى والتاجر والموظف وما إلى ذلك، والسبب أن العمل فى نفسه، والمرتبطين بأى عامل عامل، يتطلبان نوعيه خاصه، فاللازم أن يصب العامل من أى لون عمل نفسه فى قالب تلك الكيفيه من الطلب وإلا لم يتمكن من إنجاز عمله.

ومنه يعلم اختلاف الشخصيات ولو كانوا فى إطار عام واحد، كالمراجع والخطيب، بل ومدرس الابتدائيه والثانويه والجامعه.

ص: ٢٣٤

٦: التعليم

٦) وأخيراً يأتي دور التعليم بشعبه:

أ: البيتي.

ب: والمدرسي.

ج: والاجتماعي الصغير.

د: والاجتماعي الكبير.

حيث إن العائلة مدرسه للأطفال، يتعلمون فيها كثيراً من الآداب والرسوم، ثم المدرسه تعطى التوجيهات، وإذا كان الإنسان منضماً إلى جماعه: كقوميه، أو دين، أو منظمه، أو حزب، أو ما أشبهه، تعلم منهم أموراً ليست كسائر التعاليم السابقه، وأخيراً يأتي دور ما يتعلمه الإنسان من الاجتماع العام.

وهذه الأمور كلها تعطى الشخص كيفيه خاصه من الشخصيه.

ولا يخفى أن بعض الأمور المذكوره التي لها مدخلية في إضفاء الشخصيه على الفرد، أكثر نفوذاً في الشخص من البعض الآخر، مما تكون شخصيه الشخص مستنده إليه بنسبه أعلى من استنادها إلى أمر آخر، مثلاً النفوذ البيتي والمدرسي أثرهما أكثر من النفوذ الاجتماعي والحزبي.

والسر أن الطفل صفحه بيضاء، فكلما نقش فيها تلونت تلك الصفحه بذلك اللون، فإذا جاء لون آخر يريد إزاله ذلك اللون السابق لم ينفذ كنفوذ اللون السابق، فيبقى اللون الجديد باهتاً، بينما اللون القديم يبقى قاتماً، هذا بالإضافة إلى أن تقبل الطفل أكثر وأسرع من تقبل غيره، وإن لم يكن اللون الجديد مضاداً للون القديم، ولذا يبقى لون العائلة والمدرسه في نفس الإنسان وفي أسلوب حياته إلى زمان موته، بينما ليس كذلك لون حزبه واجتماعه الكبير.

اختلاف الاستجابة للمؤثرات

اختلاف الاستجابة للمؤثرات

ثم لا يخفى أن استجابة الناس، أطفالاً أو كباراً، للألوان التي يراد إضافؤها على النفس والسلوك، مما بالآخره تعطى (الشخصية) مختلفه، وذلك لأن الأنفس فطرت متفاوتة، كما أن الشخصيات تتفاوت في قدر تقبل اللون الجديد، والمدته التي يحتاج إليها الشخص حتى يتهيأ للتقبل.

مثله مثل الماء الواحد الذى يلمسه ثلاثه أفراد، فيحس كل واحد منهم بحس مخالف للحس الآخر، فإذا كان (ماء فاتر)، وكان ثلاثه أشخاص أحدهم خرج من الماء البارد، والآخر من الماء الحار، والثالث من الماء الفاتر، فإذا دخل الثلاثه فى هذا الماء الفاتر، وجده الأول حاراً، والثانى بارداً، والثالث فاتراً، وليس ذلك لاختلاف الماء، وإنما لاختلاف الاستجابة.

وقد فحص جماعه من علماء الاجتماع كيفيه تكون الشخصيه، فوجدوا أن فى مائه عائله يتقوّلب الأطفال بأخلاق أبويهم خمسهم وخمسين، وبأخلاق أصدقائهم ثلاثه وثلاثين، وبأخلاق المرشدين تسعه، وبأخلاق المعلمين ثلاثه، وهذه النسب وإن كانت مشكوكه، إلا أن المسلم أكثره تأثيره تأثير العائله ثم الأصدقاء، وقد ورد: «المرء على دين خليله»^(١).

كما أن مثل هذا الإحصاء لا يصدق إلا فى الظروف العاديه، فإذا كانت العائله فى فوضى واضطراب، وكان الأصدقاء فى تضامن وبناء، صار العكس، بأن تقوّلبت شخصيه الأولاد بقوالب الأصدقاء لا بقوالب العائله.

التخطيط لإنماء الشخصيه

التخطيط لإنماء الشخصيه

والاجتماع بشلاله الهادر قادر على الاستفلاده من ماده الشخصيه، أكبر قدر

ص: ٢٣٦

١- الكافي: ج ٢ ص ٣٧٥.

من الاستفادة، كما أنه بالعكس قادر على إلزام (الشخصيه القابله) زاويه العزله والإنزواء، ولذا كان على المخططين الاجتماعيين تنظيم الاجتماع، بحيث تكون الشخصيات الرفيعه، وبحيث يستفيد من المواد ومن الشخصيات إلى آخر قطره من الاستفادة الممكنه، ولا يمكن ذلك إلا بحريه العلم والمال والحكم، كما ذكرناه في أول المسأله، والله المستعان.

ومما تقدم ظهر أن الاجتماع يربى الأفراد تربيه عامه، حسب اتجاه الاجتماع، محارباً أو مسالماً عالماً أو عاطلاً، كريماً أو بخيلاً، جباناً أو شجاعاً.

التوجيه السليم لصفات الامه

التوجيه السليم لصفات الامه

وحيث إن بعض الصفات يمكن استخدامها في الصحيح أو في الباطل، فالمصلح القدير هو الذى يتمكن من توجيه الصفه التى تستخدم في الباطل في الأمر الصحيح، مثلاً- إذا كانت الأمه مسرفه في الصرف على الولاده والزواج والأموات، أمكن صرف صفتها الإنفاقية التى تصرف بإسراف في الأمور المذكوره، في المشاريع الخيرية، كالمدارس والمساجد والمستوصفات وما أشبه.

والنبي (صلى الله عليه وآله) استفاد من هذه القاعده الإلهيه، فقد كانت القبائل العربيه تصرف طاقه شجاعيه هائله في محاربه بعضها لبعض، فصرفها الرسول (صلى الله عليه وآله) في محاربه الخارج، لأجل إعلاء كلمه الله وإنقاذ المستضعفين، كما صرف (صلى الله عليه وآله) إسرافهم في إنفاقات كانوا يسمونها كرمًا، في إعطاء الحقوق الشرعيه والصرف في سبيل الجهاد، وصرف قريحتهم البليغه وفصاحتهم الشعريه والثريه في الإرشاد والبلاغه.

ص: ٢٣٧

فبينما كانت تصرف القريحه الشعريه فى:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

صرفها الرسول (صلى الله عليه وآله) فى:

يناديهم يوم الغدير نبينهم

بخم واسمع بالرسول منادياً

إلى غير ذلك، وبينما كان العربى يقتل العربى فى سبيل ناقيه فى حرب البسوس، أخذ المسلم يجاليد الفرس والروم فى سبيل الحقيقه عوض الخرافه، وفى سبيل نشر العلم بعد أن كان محتكراً عند الأشراف، وهكذا.

وإذا كانت بعض الأمم تفقد الصفه الخيره، فاللازم على المصلح إرشادهم إلى فطرتهم المطويه على تلك الصفه، كما أن اللازم على المصلح صرف الصفه المنحرفه من أوليات رغبات الإنسان فى الجبهه المستقيمه، مثل أمه تصرف شهواتها فى الشذوذ والانحراف الجنسى، حيث إن اللازم توجيههم نحو صرفها فى {مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ} (١)، كما قاله لوط (عليه السلام) لقومه.

فإن الفرد كالمجتمع أرض قابله لمختلف الزرع، فاللازم زرع الطيب فيها إن كانت قفراء، وإن كانت مزروعه بالزرع السىء لزم اقتلاع ذاك الزرع وزرع الطيب مكانه، ولذا قدم القرآن الحكيم التزكيه.

قال سبحانه: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} (٢).

فالإنسان هو الإنسان، وإنما الاختلاف بظهور الصفات والكوامن، مثلاً المرأه فى كل عصر ومصر هى المرأه، وإن كانت عاراً فى أمه، وسيده فى أمه، ومربيه فى أمه، وأداه شهوه فى أمه، وهكذا.

ص: ٢٣٨

١- سورة الشعراء: الآيه ١٦٦.

٢- سورة الجمعه: الآيه ٢.

انحراف الشخصية

(مسأله ٢٤): لكل شيء واقع، وقد يكون ذلك الواقع ذا مصاديق، فالكلية واقع والجزئيات مصاديق متساويه بالنسبه إلى ذلك الواقع الكلية، مثلاً الواقع بالنسبه إلى الأمه أن تصرف مالها في تقدمها، لكن هذا التقدم يمكن أن يكون في سبيل تكثير الزراعه، ويمكن أن يكون في سبيل تكثير الصناعه، إذا لم يكن أحدهما أهم.

والواقع لا يختلف في أمه عن أمه، وإنما الاختلاف في أمرين:

١: أخذ إحداهما مصداقاً، والأخرى مصداقاً آخر.

٢: استقامه إحداهما وانحراف الأخرى.

وقد تكون كلتاهما في انحراف إذ الواقع واحد والانحراف كثير.

ثم إذا خالف الفرد الاجتماع في مسيره:

١) فإن كانت المخالفه عابره لم يعتن الاجتماع بخلافه.

٢) أما إذا كانت المخالفه مستمره سمى المخالف منحرفاً.

الانحراف ليس قدراً

الانحراف ليس قدراً

وقد كان في القرون الوسطى، وجماعه من المسلمين في حاشيه الخلفاء، ينظرون إلى الانحراف كأنه قدر محتوم وقضاء لازم، ويضمون إلى ذلك أن القضاء والقدر لا تبديل له، وكانوا يؤيدون ذلك بآيات وروايات خصوصاً

إذا كان المخالف المنحرف من طبقه الحكام، فكان من أسباب ذلك طبع أذهان جماعه من العامه على أن المستقبل بيد الله، فلا يمكن تغييره عما كتب، حتى قال شاعرهم:

جرى قلم القضاء بما يكون

فسيان التحرك والسكون

بل أبعد النزع بعضهم، حيث قال في أشعار له _ ما معناه _:

إني أشرب الخمر وكل من كان مثلي علماً

رأى في شربي الخمر أمراً سهلاً

وذلك لأن الله كان يعلم شربي للخمر

فإذا لم أشرب تبدل علم الله جهلاً.

فالمستقبل، بل وكل عمل الإنسان تقدير لا بد منه، وإلى مثل هذا التفكير يعزى كثير من تأخر المسلمين، حيث منع ذلك عن التخطيط للمستقبل.

بينما كان الإسلام أمر بالعكس من إعداد العده، وبعُد المدى، قال سبحانه: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة} (١).

ووصف علياً (عليه السلام) بعض أصحابه فقال: (كان بعيد المدى) (٢).

وقد أجاب بعض العلماء ذلك الشاعر قائلاً _ ما معناه _:

إن هذا الكلام لا يقوله من كان من أهل العلم

إذ جواب كلامه سهل

فإن جعل علم الله تعالى عله للعصيان

في غاية الجهل عند العقلاء

ص: ٢٤٠

١- سورة الأنفال: الآية ٦٠.

٢- نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغه: ج ٣ ص ١٩٩.

بل كان عند بعض الأقباط بعض الانحرافات الناشئة عن المرض كالصرع علامه السيادة والكبر، حتى كان بعض الانتهازيين يتصنع الصرع ليحوز هذا المقام.

انحراف الحكام

انحراف الحكام

أما انحراف الحكام فقد كان مما لا مَرَد له، إذ الشرعيه كانت تستمد من مصادر ثلاثه:

١: الوراثه، كما كان خلفاء بنى أميه والعباس وعثمان يصلون إلى الحكم من هذا الطريق في غير رئيس السلسله، ومثل هذه الشرعيه باقيه إلى الآن في بعض بلاد الإسلام.

٢: الثوره حيث إن الذى قدر أن يجمع السلاح والرجال كان يثور، فإذا استولى كانت له الشرعيه، كما فى أول كل سلسله من غالب الحكام الوراثيين.

ومن الواضح، أن السند لو كان الإرث أو السلاح كانت النتيجة تسلم المنحرفين أريكه الحكم، وبعد ذلك يفعلون ما يشاؤون، حتى أن بعضهم كان يخاطب:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار

فاحكم فأنت الواحد القهار.

ويقال فى آخر:

والآن صرت إلى أميه

والأمور لها مصاير.

٣: أما الأمر المشروع الذى قاله الإسلام وألمع إليه العقل، فهو الحكم الانتخابى، لمن له المؤهلات، ثم يعزل بمجرد أن فقد ولو مؤهلاً واحداً من تلك المؤهلات، قال سبحانه: {أمرهم شورى} (١)، وقال (عليه السلام): «أن يختاروا» (٢) كما

ص: ٢٤١

١- سورة الشورى: الآيه ٢٨.

٢- مست درك الوسائل: ج ٦ ص ١٤.

ذكرنا تفصيله فى كتابى: (السياسه) و(الحكم).

لا لفرديه الحكام

لا لفرديه الحكام

ثم إذا توفرت المؤهلات وانتخب الحاكم، فالقرار لا يمكن أن يصدره الحاكم بمفرده، ولا مع جماعه من الأفراد، بل بتعديل من مراكز القوى التى هى عباره عن خيره الشعب الذين اختاروا الحاكم، فإن الدوله ليست لعبه صماء تتحرك فى الفراغ وتعمل حسب أهوائها وشهواتها ومنافعها، وإنما هى كائن حى مرتبط بجميع أفراد الأمه بوجه أو بآخر، تتفق تلك المراكز بعضها مع بعض فى المصلحه، وتتعارض بعضها مع بعض مما يتقدم فى الرأى أكثرهم فى المؤهلات.

ولذا قالوا: لا يوجد فى السياسه صداقه دائمه ولا عداوه دائمه، بل ملاحظه الأصلاح الدائم، وهذا ما يسمى فى (الفقه) بقاعده الأهم والمهم.

والسلطه قمه عاليه جداً ضيقه، مليئه أطرافها بالأشواك والجبائل والفخاخ، فلا ينالها إلا الأقوى الأصلاح الأكثر حزمًا، وبمجرد أن نالها تتحرك القوى المناوئه والصديقه ضدها، الأولى لإسقاطها، والثانيه لتحريفها حتى تستفيد منها أكبر قدر من الاستفاده، فأى خطأ فى محاربه الأولى ومحاباه الثانيه توجب الإسقاط المفضوح، ولذا كانت السلطه قبل الوصول إليها ثم البقاء فيها بحاجة إلى القوه والصلاح والحزم.

ولهذا السبب: البقاء لا يكون إلا بالتوازن بين مراكز القوى، يكون الانحراف فى السلطه بعد الوصول مساوقاً للسقوط، كما كان الوصول إليها من المنحرف يساوق الاستحاله.

١: فالإحساس الشخصي بأن القرار ضروره.

٢: والانفعال الشخصي والإيحاء الذاتى.

٣: وصدقه الحاكم مع شخص أو جهه فى إصداره القرار وعدم إصداره، أو عداوته كذلك فى إصدار القرار أو عدم إصداره.

٤: وإعلان الحرب والسلام والمعاهده وشروط أيهما بمجرد رأى الحاكم.

٥: والاعتباطيه فى الصداقه والعداوه، لأنها تابعه لمزاج الحاكم، وكذلك الاعتباطيه فى إبقاء الصديق صديقاً والعدو عدواً.

٦: وتبدل الاتجاهات السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه وما إلى ذلك بتبدل الحاكم، بل وحتى بتبدل أنظمه الحكم، إلى غير ذلك.

لا يمكن أن يكون المبرر للقرار والعمل للقمه.

إن هذه الأمور وان كان يعملها الوارث السلطه إذا كان منحرفاً، أو الحاكم الذى أتى بالانقلاب العسكرى، إلا أن ذلك يوجب تزلزل حكمه والاتزجار العام حتى السقوط المشين، بالعكس من الحكم الانتخابى حيث لا يجد الانحراف إليه سبيلاً، وإنما ينزل عن كرسى الحكم إذا انتهت مدته، ويكون حاله بعد السلطه كحالها قبلها بلا تفاوت، إلا إذا انحرف حيث يكون حاله حال الانقلابى والوراثى يسقط بفضيحه.

موقف المجتمع من الانحراف

موقف المجتمع من الانحراف

وكيف كان فانحراف الشخصيه:

أ: قد يكون انحرافاً ملائماً للاجتماع، حيث يراه الاجتماع انحرافاً

لكنه يرى أنه لا بد من مثله، بل قد يوضع القانون لأجله من جهه أن الاجتماع يرى جعل المنحرف في دائره خاصه أفضل من تسيبه، مثل عاده شرب المسكر أو استعمال المخدر أو إجازه الشذوذ الجنسي في كلا الجنسين، وما أشبه هذا وإن كان في نظر الإسلام خطأً كبيراً، ويرى الإسلام منعه أهم من النفع المتوهم له، وقد قال سبحانه: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (١)، إلا أن جملة من الأمم لم تدرك أهميه الترك، أو أدركت ولكن لا علاج لها، حيث ليس لديها دين يدخل القلب، فيكون الامتناع تلقائياً، ولذا أجازت مثل هذه الانحرافات.

ب: وقد يكون انحرافاً غير ملائم، وهذا هو الانحراف الذي يقف الاجتماع دون ظهوره، وإذا ظهر حاول تقويمه، سواء كان المنحرف يراه انحرافاً لكنه لا يقدر على إزالته، أو لا يراه انحرافاً، مثل الذي له عقده الحقاره، حيث إن بعضهم لا يرونها سيئه، وبعضهم يرونها سيئه لكنهم يرون عدم قدرتهم على إزالتها.

مثلهما في ذلك مثل من يرى أن أربعه في أربعه يعادل عشرين!، ومن يرى أنه يعادل ستة عشر لكنه يتأذى من ذلك، وفي المثال الإسلامي _ ولا مناقشه في أنه عكس الممثل له _ قد يرى غير المسلم أن محمداً (صلى الله عليه وآله) ليس نبياً، وقد يراه نبياً لكنه يتأذى من ذلك، وقد قال سبحانه: ﴿وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ (٢).

ص: ٢٤٤

١- سورة البقره: الآيه ٢١٩.

٢- سورة النمل: الآيه ١٤.

عوامل الانحراف

ثم إن الانحراف:

١: قد يكون بالوراثه، فإن الانحراف فى الآباء يرثه الأبناء، فالولد سر أبيه، كما أن الولد يشبه العم والخال، إلى غير ذلك مما حقق فى علم الوراثة، لكن الإرث لا يكون عله تامه، بل أمر اقتضائى، ولذا لا ينافى التكليف كما قرر فى علم الكلام.

وهذا الانحراف الوراثةى إن أمده الاجتماع قوى الانحراف، وإلا بقى على حاله، إلا إذا كان الاجتماع صالحاً، حيث يتمكن من تقليله، وأحياناً من إزالته.

فمثلاً- الرجل السىء الخلق، إن كانت له زوجه حسنه الخلق، نزل الرجل عن غلوائه بنسبه فى المائه، أما إذا كانت له امرأه سيئه الخلق بقى على سوء خلقه إن لم تزده سوءاً على سوء، وكذلك حال المعلم والمدير، والموظف ورئيسه، والأولاد والوالدين.

٢: وقد يكون بالعرض، وهو على ضربين:

أ) فقد يكون بسبب المعاناه فى الصغر، مثل تحقير الأولاد فى البيت أو المدرسه أو فى محل لعبه أو ما أشبه ذلك، أو تدليل الأولاد أكثر من القدر المعتاد، أو إبعاده عن الاجتماع، أو جعله فى اجتماع سىء، أو ما أشبه ذلك؛ فإن أمثال هذه الأمور تجعل الأولاد عرضه للانحراف بعقده الحقاره أو بالخموم أو بالنشاط المحرم أو بما أشبه ذلك.

فإن حال النفس حال الجسم، كما أنه إذا ربى الولد بعيداً عن مختلف الأغذيه والمناخاه الطبيعیه أوجب انحراف صحته الجسديه، كذلك إذا ربى فى جو غير ملائم للنفس أوجب انحراف صحته النفسيه.

ب) وقد يكون بسبب عدم ملائمة ظروف الحياه، مثل الفقر أو الحرمان، وحاله الفوضى والحرب، والخصومات والمنازعات مع المنافسين، والفشل فى الحياه، والسجن خصوصاً الانفرادى منه، والكبت والمصيبه، وبالأخص إذا منع من التنفيس عن كبتة ببيكاء أو سفر أو سياحه أو رياضه أو ما أشبه ذلك، مما يوجب تنظيف النفس من المشاعر السوداء، والمدن الذى يتراكم عليها من الأمور السابقه الذكر.

ولعل من أسباب جعل الإسلام إطلاق السجناء فى أيام الجمع والأعياد لاجل الصلاه، وعدم منع عائله السجنين عن ملاقاته، بل وبقائهم معه، حيث لا دليل على منع ذلك، هو أن لا تتوفر الظروف السيئه حوله، حتى يوجب انحراف شخصيته.

كما أن من ذلك أيضاً إباحته البكاء على الميت، وغير ذلك مما تزخر به الأحاديث الوارده من المعصومين (عليهم السلام) فى أمثال هذه الشؤون وقايه وعلاجاً.

وإذا كان للإنسان أرضيه وراثيه، أو أرضيه من زمان صغره للاختلال النفسى، أسرع إليه الاختلال بمجرد حصول الظروف الملائمه لذلك الاختلال.

تأثير المجتمع فى الانحراف والاستقامه

تأثير المجتمع فى الانحراف والاستقامه

ثم الاجتماع كلما كان أكثر انغلاقاً كان أخصب لرشد الانحراف، كما أنه كلما كان أكثر حريه صحيحه كان أخصب لرشد الاستقامه، هذا من جهه، ومن جهه ثانيه كلما بنى الاجتماع على إعطاء الحاجات وتوفرت فيه وسائل الحياه كان أبعد عن تكوين الانحراف، والعكس بالعكس، ولذا أكد الإسلام على إعطاء حاجات الجسد ومنع عن الكبت.

ففى الحديث: «لجسدك عليك حقاً».

وقال النبى (صلى الله عليه وآله) لمن رآه قد أنهكته العباده: «إن هذا الدين رفیق فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى»^(١)، إلى غيرها من الأحاديث.

والاجتماع بكلتا حالتيه العاديه وغير العاديه، يوجب الانحرافات المختلفه، مثلاً فى الحاله العاديه الريف لسكانه يوجب قسماً من الأمراض الروحيه، أما المدينه المزدحمه فتوجد مرض توتر الأعصاب والقلق والحاله السبعيه والاندفاع فى بعض، وبالعكس يوجب الانعزال والانقطاع عن الاجتماع لبعض آخر.

أما الحالات غير العاديه للاجتماع مثل الحرب، بل والذين يتصدون الحرب كالجنود، فهى سبب انحرافات من قسم آخر:

١: فالتغيير الفجائى فى الحرب يوجب صدمه الأعصاب بما لا يتحملة بعض، فيوجب فيه أمراضاً نفسانيه، وانحرافاً فى الروح مما يؤثر أثره على العمل.

٢: والجندى حيث يضطر إلى الانضباط والأعمال الصعبه التدريبيه ونحوها، تتحول حالته العاديه إلى حاله غير طبيعيه، مما يوجب صدمه روحيه له توجب انحرافه.

الكبت والأمراض النفسيه

الكبت والأمراض النفسيه

٣: ثم إن الكبت النفسى الذى يضطر إليه الجنود، بعدم البكاء وعدم إظهار

ص: ٢٤٧

١- أصول الكافى: ج ٢ ص ٨٦.

الخوف، وعدم الشكايه وما أشبه، حيث إن مثل ذلك مما يعاب به في كثير من الأعراف، يوجب أمراضاً نفسيه وانحرافاً، هي من ولائد الكبت والانغلاق، ولذا جعل بعض الحكومات من نظام الجيش التنفس عن الكبت بالأمور السابقه وإظهاره عواطفه حتى لا تقوى نفس الجنود ولا يسبب ذلك أمراضه النفسيه وانحرافه.

ومن هذا المنطلق يتعارف عند الناس أنه إذا أصيب شخص بعزیز له أو بمال أو بآفه، كقطع يد أو قلع عين في عمليه جراحيه أو ما أشبه، أن يأمره بالبكاء، أو بالشكايه ببث الأشجان، وبالانصراف عن القيود والانضباط، كما أن العرف يصرون عليه بالسفر أو تغيير المنزل في من مات عزیزه، حتى يصبح فؤاده فارغاً، ولا يكون له ما يذكره بما فجع به، بالإضافة إلى أمره بالصبر، فقد ورد في الحديث: «من عزى مصاباً كان له مثل أجره»^(١)، و«من عزى ثكلى كسى برداً في الجنة»^(٢).

وقد لخص جمله من علماء الاجتماع، أسباب الانحراف في:

١: عدم استقامه العائله.

٢: الحرمان.

٣: تناقضات الاجتماع.

العائله وانحراف الشخصيه

العائله وانحراف الشخصيه

١) فعدم استقامه العائله، عباره عن عدم سلامه وأمن البيت الذي يربى فيه

ص: ٢٤٨

١- ثواب الأعمال: ص ٤٥٨.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٩ ص ٩٤.

الأولاد، أما بالكبت أو بالتنازع أو بالمزيد من العطف، فإن كل ذلك يوجب عدم استقامه النفس مما ينتهي بالآخره إلى الانحرافات الروحيه، قالوا: ولذا نجد كثره الانحرافات النفسيه عند الايرلنديين لتشديد الأمهات فى تربيته أولادهم، وعند اليهود لتكثير الأمهات من العطف واللفظ بأولادهم، وعند الإيطاليين لتشديد الآباء على الأولاد، وعند جماعه من الأمريكيين لكثره المنازعات بين الأخوه والأخوات.

وفى كثير من البلاد الغربيه يقع الأولاد أوائل بلوغهم بين تناقض متطلبات العائله منهم، مثلاً من ناحيه يريد الأبوان من البالغين الاستقلال فى إداره أمورهم الاقتصاديه وغيرها، بل وحتى الجنسيه، ومن ناحيه أخرى يربطون الأولاد بالبيت وبالطاعه للأبوين والكبراء، ومن الطبيعى أن يقع التناقض بين الاستقلال واللا استقلال.

وكذلك الحال يكون مع الأولاد الذين يريد الآباء منهم الطاعه، ولا يقومون بكل حوائجهم ولو عدم تزويجهم، وبذلك يحدث الانفصام والعقد النفسيه، فاللازم إما إعطاء الحاجه ولو النواقص منها فى قبال الطاعه، وأما ترك الأولاد ليقوموا بحوائج أنفسهم باستقلال من غير تطلب إطاعه منهم.

فالطاعه لا- تكون إلا- فى قبال إعطاء الحاجه، فإذا اختل الميزان اختلت الصحه النفسيه بما أوجب الانحراف، وهذه هى حاله الحكومات فى قبال الشعوب، فاللازم إما إعطاء حاجاتهم فى قبال تطلب الطاعه منهم، وإما تركهم وشأنهم لتحصيل حاجاتهم بأنفسهم بدون تطلب الطاعه، وإنما يكون شأن الحكومه حينئذ شأن المراقب لئلا يطغى بعضهم على بعض.

وفى بعض الأمم يتجلى التضاد فى العائله بمظاهر آخر، مثلاً الأب يريد

المجازات للمسيء من الأولاد، لكن الأم تمنع ذلك، فيقع الطفل بين هذين النقيضين، أو يريد الأب إنهاء دراسته للأولاد ليساعده في عمله ومزرعته، وتريد الأم عكس ذلك، أو تريد الأم زواج البنت، ويريد الأب عدم زواجها لأجل خدمه البيت أو غير ذلك.

ولون آخر من ألوان التضاد، تسيب الأولاد في الدار، وإراداه الانضباط منهم لدى الذهاب إلى السفر، أو إلى الضيافه، أو عند حلول الضيف لديهم.

والحاصل: إنه كلما يوجب الازدواجيه يوجب انفصام الشخصيه، مما ينجر بالآخره إلى الأمراض والعقد النفسيه، وحيث إن النفس والجسم يتبادلان المرض، ولذا قيل: (العقل الصحيح في الجسم الصحيح)، فإذا مرضت النفس وتعقدت أوجبت بالإضافة إلى انحراف خط سير الحياه للمريض ولمن يرتبط به، تأثير المرض النفسى إلى جسمه.

ولذا اعتاد علماء الطب النفسى الجسمى، فحص صور المرض الجسمى فى النفس، فإن لم يوجد هناك مرض، استوجده فى الأعضاء والاجهزه البدنيه.

دور الحرمان فى الانحراف

دور الحرمان فى الانحراف

(٢) أما دور الحرمان، فهو كبير فى خلق الانحراف، فإنه يؤثر فى الانحراف من جهتين:

الأولى: إن الحرمان يؤثر على الجسم نقصاً فى جهاز من الأجهزه، سواء

كان بسبب سوء التغذية، أو بسبب عدم الوقاية من الحر والبرد، أو بسبب عدم وسائل الصحة فى الماء والهواء، أو بسبب عدم الدواء، فىؤثر الاختلال الجسمى فى الاختلال النفسى، كما تقدم وجهه.

ولذا نرى فى البلاد ذات الاختلاف الطبقي تبلى الطبقة الفقيره بأمراض النفس، مما لا يوجد مثل ذلك فى الطبقة الغنيه، ويعرف ذلك جلياً فى الأحياء السكنيه الفقيره والغنيه.

فالأحياء السكنيه الفقيره، كما تكثر فيها الأمراض والأسقام الجسميه، كذلك تكثر فيها الأمراض النفسيه والانحرافات الروحيه، بخلاف الأحياء السكنيه الغنيه، وإذا ارتاد الإنسان المستشفيات والمصحات العقلية ودور المجانين يجد أن نسبه من فيها من الفقراء أكثر بكثير من نسبه من فيها من الأغنياء.

ومن أجل ذلك يكون المبتلى بالانحراف النفسى أكثر بكثير فى العوانس والأرامل والأيتام والنساء اللاتي طلقن، والرجال الذين طلقوا زوجاتهم، من غير هؤلاء، كالنساء والرجال ذى الأزواج، والذين لم يصلوا مبلغ الزواج من الصنفين، والأولاد الذين لم يصابوا بفقد أحد الأبوين.

تناقضات المجتمع تزرع الانحراف

تناقضات المجتمع تزرع الانحراف

٣) أما تناقضات الاجتماع، فهى الأخرى توجب الانحراف، حيث يقع الفرد بين جهتين متضادتين، ويسبب ذلك انفصام شخصيته واختلالاً فى داخله يجره إلى الانحراف، مثل ما إذا وقع الاجتماع بين كماشتى الثقافه القديمه والثقافه الجديده، أو وقع الفرد بين التضاد الثقافى، لأن ثقافته الاجتماعيه توجب شيئاً، وثقافته الحزبيه أو ما أشبهه توجب شيئاً آخر، وكما إذا أمره دينه بشىء

ولذا نجد الانحراف في البلاد الإسلامية بكثره بعد أن غزتها الثقافات الدخيله، ونرى من يفرط في شرب الخمر بما لا يفعل مثله زميله في بلاد المستعمر، إلى جانب من يفرط في التطهير إلى حد الوسوسة بما لم يأمر به الإسلام، إلى غير ذلك من الأمثله.

وقد نعى جماعه من علماء الاخلاق في الغرب، تحطم الاجتماع الغربي من جهه التناقضات السائده في تلك البلاد، لأن الاجتماع يدعو الفرد من ناحيه إلى حب الإنسان وخدمته ومراعاة حقوقه، ومن ناحيه إلى حب الشهره وجمع المال وتطلب المزيد من الربح، وكذلك يدعوه تاره إلى الرؤيه المستقبليه والوعى والرشد الفكرى، وتاره إلى حقائق مقبوله بواسطه الدعايات الملتويه في الإذاعات والصحف وغيرها، وهكذا يزيد تاره من حاجاته الاقتصاديه بسبب المنتجاب الاقتصاديه الجديده ذات الجمال والبريق، ثم لا يهيؤ له الوسائل الكافيه والإمكانات لاحتواء تلك الحاجات، وكذلك في أمر السلام والحرب والاستعمار والتحرر، بينما السلام هو ظاهر دعاياتهم، والتحرر هو مدعاهم، يعملون ليل نهار للحرب، وللاستعمار الأكثر فالأكثر.

حربه الاستعمار تصيب حاملها

حربه الاستعمار تصيب حاملها

وينبغى هنا أن ننوه إلى حقيقه هي أن الإنسان لا يمكن أن يكون على شاكلتين، إلاّ إذا كان مريضاً منفصم الشخصيه، قال سبحانه: {ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه} (١).

والشاكلة الواحده لا تأتي إلاّ بالعمل الواحد المشابه لتلك الشاكلة.

ص: ٢٥٢

{قل كل يعمل على شاكلته} (١١).

ولذا عادت أضرار استعمار البلاد ونيران حروبها إلى أنفسها بمثل ما رجعت إلى البلاد المستعمره والمحاربه، ولكن بصورة مختلفه، وإن كان المغزى واحداً.

فالحاله الاستعماريه فى تلك البلاد سببت:

١: استعمار دولها لشعوبها، كما استعمرت تلك الدول البلاد المستعمره، وقد صدقت الحكمة القائله: «من أعان ظالماً على مظلوم لم يزل الله عليه ساخطاً حتى ينزع من معونته» (٢٢). وما ورد من أنه: «كما تدين تدان» (٢٣).

فإن حاله الظلم إذا وجدت فى إنسان لم يهتم أن يظلم عدوه أو صديقه، وفى المثل الإسلامى: إن هارون كما قتل الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) قتل البرامكه الذين ساعدوه على ظلمه.

٢: المؤامره الدائمه من بعضهم ضد بعض، بما لا تدع لهم راحه، فهم فى ضيق البلاد المستعمره، وإن لم يكن من جهه الاستعمار الظاهر، وقد قال سبحانه: {ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشه ضنكاً} (٤).

كما أن حروبهم لأجل الاستعمار أورثت لهم بالإضافه إلى كره الأمم المحاربه لهم، والحروب الباردة بينهم، حربين عالميتين كانت كل حرب منهما تساوى القدر الذى حاربوه مع الأمم الضعيفه، قبل تلك الحرب إن لم تكن أكثر، وقد يجتمع هذه الحروب التى أشعلوها ضد الامم _ بعد الحرب العالميه الثانيه _ لتنفجر ضدهم فى حرب عالميه ثالثه.

ص: ٢٥٣

١- سورة الإسراء: الآية ٨٤.

٢- ثواب الأعمال وعقابها: ص ٥٩٧ ح رقم ١٢٤٣.

٣- الوسائل: ج ٨ ص ٤٢٤ الباب ٢١ من أبواب أحكام العشره ح ٣.

٤- سورة طه: الآية ١٢٤.

شروط عقاب المنحرف

(مسأله ٢٥): المنحرف يجب أن يعاقب بعد ملاحظه أربعه أمور:

١: الجريمه.

٢: والمجرم.

٣: والاجتماع.

٤: والصلاح.

فمثلاً- هل حجم الجريمه زنا محصن أو زنا غير محصن، وهل المجرم غير بالغ ليؤدب، أو بالغ ليحد، وهل الاجتماع صالح حتى يكون المنحرف خارقاً للصلاح العام، قال سبحانه: ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ (١).

أو الاجتماع غير صالح حتى يكون المنحرف خارقاً للقانون لا للصلاح العام، وقد قال (صلى الله عليه وآله): «ساحر المسلمين يقتل، وساحر الكفار لا يقتل، لأنه في أسوأ من السحر» (٢)، ولم يكن جزاء السارق في المخصمه قطع اليد.

وبعد تلك الأمور يأتي دور الأهم والمهم، وهل أن الصلاح العقوبه أو تركها أو قدر منها، قال الله تعالى: ﴿وخذ بيدك ضعفاً فاضرب به ولا تحنث﴾ (٣).

وجعل الإسلام الصلح سيد الأحكام، وقال تعالى: ﴿والصلح خير﴾ (٤)

ص: ٢٥٤

١- سورة الأعراف: الآية ٥٦.

٢- الجعفریات: ص ١٢٨، والوسائل: ج ١٨ ص ٥٧٦.

٣- سورة ص: ال آيه ٤٤.

٤- سورة النساء: الآية ١٢٨.

حتى لا يستفز الحق أحد الطرفين ويهياً الأرضيه للانحراف، وقد عزل على (عليه السلام) أبا الأسود الدئلي قاضيه، فقال له: لم عزلتني يا أمير المؤمنين، وما خنتُ ولا جئتُ، قال (عليه السلام): «نعم ولكن يعلو صوتك صوت الخصمين»^(١).

فلماذا الصياح من القاضى، فإن اللازم عليه أن يحكم حسب ما يراه من الحق، وذلك ممكن بصوت خافت، أما ما عداه فإنه يزرع الحقد ويهيو الأرضيه للانحراف.

وقد عفا على (عليه السلام) عن شاب سارق، قال له: ماذا تحفظ من القرآن، قال سورة البقره، قال (عليه السلام): «عفوت عنك لسوره البقره...».

وعفا (عليه السلام) عن لائط بعد أن تاب واستعد لتقبل العقاب.

وأنب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين أرجعوا ماعزاً إلى الحفره حتى رجم فمات، وأداه من بيت المال.

إلى غيرها من القصص التى تبين مسأله كون العقوبه حسب الجريمه أو حسب المجرم، وكون الاجتماع والصلاح يتدخلان فى الأمر.

كيف يعالج الانحراف؟

كيف يعالج الانحراف؟

وعلى أى حال، فالمهم فى باب الانحراف:

١: العلاج.

٢: وإصلاح المجتمع الصغير.

٣: وإصلاح المجتمع الكبير.

فإن المنحرف غالباً ليس إلا ضحية الاجتماع، فيجب أن ينظر إليه بنظر العطف والشفقه لا بنظر الغضب والازدراء، ولذا لم يرد فى التاريخ ازدراء

ص: ٢٥٥

الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلى (عليه السلام) بالمجرمين، وإن طبقوا عليهم أحياناً الحدود الشرعية.

وحتى المنافقين الذين ورد فيهم إنهم: {فى الدَرَكَ الأَسْفَلَ} (١١) وإنهم {هم العدو} (٢)، لم يواجههم الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلى (عليه السلام) إلا بأقل القدر الممكن من التأنيب، وكذلك الذين فروا من الزحف، أو خانوا الرسول (صلى الله عليه وآله) فى أوامره الحربيه مما سبوا قتل خيريه أصحابه كحمزه (عليه السلام)، مع أنه قال الله تعالى: {ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئه فقد باء غضب من الله} (٣).

وقال سبحانه: {يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين} (٤).

بل عامل الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلى (عليه السلام) الذين حاربوهما بأقل القدر الممكن من العنف مما لا بد منه، فى قصص معروفه، إذ العقاب اضطرار، لم يجعل تشفياً، وإنما جعل علاجاً، فهو كالعليه الجراحيه لا يقدم عليها إلا اضطراراً، ثم يكون كمها وكيفها بقدر الاضطرار أيضاً، فإن الله سبحانه خلق البشر ليرحمهم، قال تعالى: {ولذلك خلقهم} (٥).

أما العذاب فى الآخره، فهو أيضاً بقدر الاضطرار، ولذا تكون الشفاعة والعفو، ثم بعد ذلك إذا حدث الاضطرار يأتى {جزاءً وفاقاً} (٦)، {وإنما تجزون ما كنتم تعملون} (٧).

ص: ٢٥٦

١- سورة النساء: الآيه ١٤٥.

٢- سورة المنافقون: الآيه ٦٣.

٣- سورة الأنفال: الآيه ١٦.

٤- سورة التوبه: الآيه ٧٣.

٥- سورة هود: الآيه ١١٩.

٦- سورة النبأ: الآيه ٢٦.

٧- سورة الطور: الآيه ١٦.

ولذا كان شعار الإسلام: {قولوا للناس حسناً} (١).

و: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين} (٢).

و: {ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوه كأنه ولي حميم ولا يلقاها إلا الذين صبروا ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم} (٣).

و: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه} (٤).

وقال علي (عليه السلام): «واكظم الغيظ، وتجاوز عند المقدره، واحلم عند الغضب، واصفح مع الدوله» _ السلطه _ «تكن لك العاقبه» (٥).

وقال (عليه السلام): «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للمقدره عليه» (٦).

وقال (عليه السلام): «أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبه» (٧).

وقال (عليه السلام): «العفو زكاه الظفر» (٨).

إلى غير ذلك من كلماتهم (عليهم السلام) وأعمالهم، سواء بالنسبه إلى المجرمين السياسيين أو المجرمين الجنائيين.

وقد اكتشف علماء السياسه والاجتماع أخيراً لذلك قاعده (عجز القوه وقوه العجز)، حيث إن القوه يختفى في طياتها العجز، فهل يمكن أن يضرب لص بمدفع ميدان، وهل يمكن أن يقابل سلم العدو (العجز) بالقمع، وللمثال فقد انتزع حزب المؤتمر استقلال الهند من بريطانيا بالسلم، كما أن عالم اليوم

ص: ٢٥٧

١- سورة البقره: الآيه ٨٣.

٢- سورة الأعراف: الآيه ١٩٩.

٣- سورة فصلت: الآيه ٣٤.

٤- سورة التوبه: الآيه ٦.

٥- نهج البلاغه: ال كتب ٦٩.

٦- نهج البلاغه: قصار الحكم ١١.

٧- نهج البلاغه: قصار الحكم ٥٢.

٨- نهج البلاغه: قصار الح كم ٢١١.

عجز عن دفع عدوه مع أنه يملك السلاح النووى.

ومن كلام لعلى (عليه السلام) كما فى (نهج البلاغه): «وإنما ينبغى لأهل العصمه والمصنوع إليهم فى السلامه، أن يرحموا أهل الذنوب والمعصيه ... يكون الشكر هو الغالب عليهم، والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الذى عاب أخاه وعيَّره ببلواه».

«أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذى عابه به، وكيف يذمه بذنوب قد ركب مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه، مما هو أعظم منه، وأيم الله لئن لم يكن عصاه فى الكبير وعصاه فى الصغير، لجرأته على عيب الناس أكبر، يا عبد الله لا- تعجل فى عيب أحد بذنبه، فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصيه، فلعلك معذب عليه، فيكف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته، مما ابتلى به غيره»(١).

وعلى أى حال، فعلاج الانحراف:

أ) استدراج المنحرف إلى الاستقامه من أقرب الطرق وأسهلها، فإذا كان إجرامه لأجل فقر أو عدم زوج أو زوجه أو مرض أو منافسه أو ما أشبهه، عالج فقره، وزوجه _ وقد زوج على (عليه السلام) مومسه _ وهياً وسائل صحته، وأصلح بينه وبين منافسه، أو أبعد أحد المنافسين عن الآخر إن أمكن الإبعاد، وقد أمر الإمام الصادق (عليه السلام) بعض أصحابه أن يعطى من مال الإمام (عليه السلام) لطرف النزاع حتى يصطلحا إذا كان النزاع على مال.

ب) تهيئه مصحات تمزج العلاج بتشغيل المنحرف، إذ المنحرف إذا ارتبط بالعمل لم يبق له فراغ للانحراف الفكرى أو العملى، فإن فكره يشتغل

ص: ٢٥٨

بعمله، وتعبه العملى يورث انضباط أكله ونومه مما يسببان له راحه وبهجه، وبالأخص إذا كان شغله مغرياً وموجباً لتقدمه، حيث إن ذلك يسبب أن ينظر إلى نفسه بالرفعه، فيتجنب تعاطى الأمور الوضيعه، والتفكر فى الأمور السخيفه.

(ج) إذا كان مستحقاً للعقوبه عاقبه بقدر الضروره، كما وكيفاً، كما تقدم.

إصلاح المجتمع الصغير

إصلاح المجتمع الصغير

(د) إصلاح المجتمع الصغير، أى العائله والمدرسه ونحوهما.

فقد سبق أن المشاكل العائليه وسوء تربيتهم للأولاد، وانحراف الثقافه فى المدرسه وسوء معاشره المعلم ونحوه للتلاميذ، يسببان لهم انحرافاً، فاللازم على الأبوين إعطاء الأولاد العقل والعاطفه معاً، بدون إهمال أو تشديد حتى يحس الطفل بالأمن ويشعر بحدود عمله، فيعطيانه حاجاته، وفى نفس الوقت يعلمانه الانضباط والنظافه والأدب والعمل وحب الآخرين والمشاركه معهم وعدم الاستبداد.

يقول الشاعر:

والام مدرسه إذا أعددتها

أعددت جيلاً طيب الأعراق

أما المدرسه فهى محل التربيه الفكرية والعملية، وتقويم الطفل فيها أصعب من تقويمه فى البيت، حيث إنه فى المدرسه تختلط الأجواء، فإن لكل طالب جواً، والنفوس تسرع فى اكتساب السيئات أكثر من كسبها للحسنات، ولذا يكون اللازم استقامه الثقافه، واستقامه التربيه، والمواظبه الكامله على عدم سرايه الأخلاق السيئه من بعض الطلاب إلى بعض.

ولا- يخفى أن المجتمع الصغير حيث إنه مندمج فى المجتمع الكبير، يلزم أن يصلح المجتمع الكبير أيضاً، إذا أريد إصلاح المجتمع الصغير.

ص: ٢٥٩

إصلاح المجتمع الكبير

إصلاح المجتمع الكبير

٣: أما إصلاح المجتمع الكبير، فهو من أشكال الأمور، إذ يتدخل فيه الاقتصاد والسياسة والشؤون الاجتماعية، والعمران والتربية وغيرها.

وهو بحاجة إلى جيش من المصلحين ومن المثقفين والمحنكين حتى يمكن إصلاحه، فإن مثل محاربه تعاطي الخمر والمواد المخدرة والانحراف والشذوذ الجنسي، وفتح مدرسه أو إخراج مجله أو ما أشبه، أمور جزئية، لا يمكن إصلاح المجتمع الكبير بها، وإنما إصلاحه بحاجة إلى تخطيط عام يشمل كل جوانبه، وأول الإصلاح هو أن يكون القائمون به صالحين، وإلا (فاقد الشيء لا يعطيه).

دعائم إصلاح المجتمع

إشاره

دعائم إصلاح المجتمع

والتخطيط العام لإصلاح المجتمع بينى على دعائم:

أ: الإيمان.

ب: واقتسام العلم والحكم والمال.

أ: الإيمان بالله

١: الإيمان بالله

أما الإيمان فلأنه الوحيد الذى يمكن به تعديل الصفات والملكات والعواطف والأعمال، وإلا فمهما كان السطح منظماً ومنضبظاً، أمكن الخروج منه، وحيث ليس كلامنا الآن فى الإيمان، ندع الأمر لموضعه.

٢: اقتسام القدرات

٢: اقتسام القدرات

ب: وأما الاقتسام فلأن من طبيعه الاستغناء علماً أو مالاً أو حكماً الطغيان، ولا يأخذ أمام الطغيان، إلا الاقتسام، فإن فى ذلك وقايه للاجتماع عن الانحراف

فإن أحد الأمور الثلاثه، إذا لم يكن فى متناول الجميع على حد سواء _ باستثناء عدم قدره بعض للاستيعاب من جهه عدم الكفايه فكرياً أو جسمياً _ أوجب ذلك الحرمان، والحرمان ينتهى إلى الانحراف، ولذا يجب تحرير الثلاثه عن نير الرأسماليه والشيوعيه ونحوهما، حتى يكون الميزان الكفايه والعمل، فكل يقدر على أن يحصل (المال) بقدر الآخر فى صورته استوائهما كفاءه، وكل يقدر على أن يحصل على أعلى مراتب (العلم)، الجامعه وفوقها، وكل يقدر على أن يحصل على (الحكم) بعد وجود المؤهلات له، من الشرائط الشخصيه كالعلم والعداله، والشرائط الاجتماعيه كاختيار أكثرية الناس له، هذا فيما فيه اختيار الناس، أما إذا كان الحكم من قبيل الوظائف، كان لابد وأن ينظر إلى الأفراد المتأهلين بنظره واحده، وإذا كثروا وتساووا ولا احتياج إلى جميعهم كان الحكم القرعه، فالقرعه لكل أمر مشكل.

وبذلك يأمّن الاجتماع عن الطبقيه المنحرفه، والمحسوبيه والمنسوبيه، وعن تدخل غير الكفايه فى الوصول إلى المال والعلم والحكم، وحينذاك تكون الأرضيه الاجتماعيه خصبه للنبات الصالح، فلا يوجد الانحراف، إلا ما كان خارجاً عن تحت قدره البشر.

فإذا حصلت الموازنه الصحيحه بين المعنويات (الإيمان والعلم والحكم) والماديات (المال) لم يترد المجتمع فى مساقط الانحراف، بخلاف ما إذا لم تحصل الموازنه، كما إذا كان الإيمان عند من لا علم له، أو العلم عند من لا مال له، أو المال عند من لا إيمان له، أو ما أشبه ذلك، فإن المجتمع حينئذ يصبح

محلاً خصباً للانحراف.

فلماذا الشاب الفلانى يقدر على دخول الجامعه، وأنا لا أقدر مع أن مستواه الفكرى مثلى، فهل لأن والده يملك المال ولا يملك والدى، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا ملك والده المال ولم يملكه والدى، مع أن الكفاءه فيهما متساويه، أليس ذلك من ذنب الاجتماع الذى نظم القانون الاقتصادى بحيث يسحق الكفاءات، ويوجب الاختلاف فى الطبقات بدون مبرر.

ولماذا تمكن فلان من الوصول إلى مجلس الأمه، ولم اتمكن أنا، فهل لأن ذاك من حاشيه الحاكم، ولست أنا من حاشيته، وهل ميزان الحكم الحاشيه، أو أن الميزان الكفاءه وانتخاب الناس، وإذا كان الميزان الأول، فأى اجتماع هذا الذى ينظم القانون بحيث يحرم الكفوء بدون أى سبب.

ولماذا لا أتمكن أنا من كسب المال الكافى لشؤونى، مع أن عندى كفاءه وأنا مستعد للعمل، أليس ذلك لأجل أن الرأسمالى الفلانى يتمكن من التلاعب بالأسواق، فينزل البضاعه ليكسر باعه المفرد، حتى يوسع لنفسه المحلات لبيع المفرد التابعه له، وإذا كان الأمر كذلك فأى اجتماع هذا الذى يسنّ مثل هذه القوانين حتى يحرم الإنسان عن لقمه العيش، بله التقدم.

إلى غير ذلك من أسباب الطبقيه المنحرفه فى كل من العلم والمال والحكم، مما يسبب أن يكون الاجتماع محلاً لولاده الانحراف.

القوانين الوضعيه تصنع الانحراف

القوانين الوضعيه تصنع الانحراف

وقد أوغلت القوانين الوضعيه فى تهيئه مناخ الانحراف:

(١) فالقانون يطبق على العالم وغير العالم، والمضطّر وغير المضطّر،

ص: ٢٤٢

مع أن الإنسان يرى الظلم في القانون إذا رأى نفسه بريئاً بعدم العلم وبالاضطرار، وذلك مناخ خصب لوجود الانحراف، فإن المظلوم يهيو نفسه للانتقام، ويختم في نفسه العدا، وذلك ما يسبب الانفجار أحياناً في غير المحل المناسب.

وأما الإسلام فقد رفع تسعه أشياء: (ما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، وما استكروها عليه، والنسيان، والسهو، والطيره، والحسد ما لم يظهر بيد أو لسان، والوسوسه في التفكير في الخلق) (١١)، لأن كل ذلك لا يدخل تحت الاختيار، فكيف يؤخذ الإنسان به.

كما أن من خطأ القوانين الوضعيه الموجه لتهيئه مناخ الانحراف، جعل المال بدل العقاب، وبدل الوظيفه، فالقاتل وكثير من المجرمين إذا أعطوا المال خلصوا من السجن أو الإعدام أو ما أشبهه.

كما أن المكلف بالجنديه الإجباريه إذا دفع المال سقط عنه التكليف بالخدمه، وهكذا في كثير من القوانين، ومثل ذلك من أخصب المناخ للانحراف.

إن الفقير _ الذي لم يرجع فقره إلى تقصيره _ إذا أجرم هو والغنى، سجن الأول وأطلق الثاني، أو قتل الأول وخفف عن الثاني، ولماذا، لأن الأول عثر به حظه فلم تنهياً الظروف لأن يكون له مال، وكذلك إذا أخذ الفقير جندياً مكلفاً وأطلق الغنى بسبب عطائه المال، إلى غير ذلك من الأمثله.

وكذلك الحال في إجرام ذى نفوذ وغيره، حيث إن شخصيه الأول تحول دون عقابه أو عقابه الكثير، بينما غيره يتلوى لأمر لم يكن باختياره، حيث إنه لا شخصيه له، لعدم كونه من عشيره أو ما أشبهه، فإن أمثال هذه الأمور _ والأمر إنما في إطار القانون _ توسع رقعه الانحراف، وربما جرفت الثوره بواضعى أمثال هذه القوانين.

ص: ٢٤٣

بين المدينة والقرية

(مسألة ٢٤): الاجتماع عبارته عن حياة أفراد كثيرين يسكنون في محل واحد.

والمراد بالمحل الواحد المعنى الإضافي منه، مثل اجتماع القرية، واجتماع المدينة، واجتماع الدولة.

ولا فرق في صدق الاجتماع بين الاجتماع البدائي، كالذين يعيشون على الصيد ويسكنون الكهوف والخيام، وبين المتوسط كالذين يعيشون على الرعي والزراعة، وبين الصاعد كالذين يعيشون في المدن على الصناعة، فالأولون يصطادون الأكل، والثانيون ينتجونه، والأخرون يعيشون حياة الحضارة المعقدة.

ثم المدينة محل سكني الاجتماع، قد تكون مدينة متركزة، وقد تكون مدينة قطاعية، وقد تكون مدينة مراكزية، تناسب كل مدينة مع الاجتماع الذي يختار ذلك النوع من السكني.

وسكان البلاد في العصر الحاضر _ وبالأخص المتقدمون أكثر صناعياً _ لهم حياة خاصة، من ناحية هي متقدمه، ومن ناحية هي متأخرة، ومن ناحية هي أكثر تعقداً وضوضاءً وضغطاً، ولذا تكون المشاكل فيها أكثر.

وقد حصل البون الشاسع بين حياة القرية، وحياة المدينة.

وحيث يريد الإنسان السلامه، فاللازم أن يضع البرامج التي تضيق شقه الابتعاد بين القرية والمدينة من ناحية، وتقلل من المشاكل الناجمة من كثرة الناس ومن لوازم الصناعة في المدينة.

وحيث إن الأحكام الشرعية تابعة للموضوعات، ولا يعلم الحكم ما لم يعرف الموضوع، كان اللازم بيان الموضوعات حتى يعرف أحكامها من منابعها التي تستقى منها الأحكام، وكثيراً ما لا يعرف الموضوع فلا يمكن حل المشكله، مما يوجب اضطرار الفقيه إلى بيان الحكم الثانوى له.

مثلاً- إذا عرف أن الاجتماع الحاضر مبنى على البنك، ولم يعرف كيف يمكن التخلص من الربا فيه، كان لابد من إجازة تعامل الناس مع البنوك الربوبه اضطراراً، بينما إذا عرف الاقتصاد الحاضر، وكيف أنه دخل فيه الربا، أمكن علاج الأمر بتقويم الاقتصاد بما يظهر منه أنه لا اضطرار إلى تقبل الربا.

الاجتماع العام والاجتماع المحلى

الاجتماع العام والاجتماع المحلى

وكيف كان، فالجماعه الإنسانیه مع ملاحظه محل السكنى والروابط بين الأفراد، فيما دام الاجتماع، هى محل هذا البحث. ولذا يخرج عن ذلك الكلام حول طلاب مدرسه أو أعضاء مؤسسه يجتمعون أحياناً لأمر ما أو ما أشبه ذلك، هذا من ناحیه الطرد.

أما من ناحیه العكس، فاجتماع قبيله، أو قريه، أو مدينه، أو قطر، أو بين أمم، أو بين كل الأمم، كلها داخله فى محل البحث. ولذا كان بين الاجتماع المحلى والاجتماع عموم مطلقاً، فالأول يرتبط ببيئته خاصه، لوحظ فيها الماء والهواء والمناخ والمأكل وما أشبه، بينما الثانى يلاحظ الأمم لا من بيئته خاصه.

وحيث إن الكلام فى هذا المبحث أعم من بيئته خاصه، يكون البحث عن المطلق لا عن الخاص، والفرق بين علم البيئته وبين علم الاجتماع أن الأول يلاحظ الإنسان من حيث ارتباطه بالمحيط الطبيعى، والثانى يلاحظ من حيث ارتباطه بالمحيط الاجتماعى،

فعالم البيئه يلاحظ خصوصيات البيئه وتأثير الطبيعه فى الإنسان، بينما عالم الاجتماع يلاحظ خصوصيات الاجتماع، ونفوذ الاجتماع فى الأفراد.

ويتكلم القسمان من العلماء حول كيفية مجيء الجماعات والأقوام إلى الأماكن، لهجره طبيعياً أو مطارده أو حرب أو غيرها، وكيف أنهم تمرکزوا، وكيف توسطوا، كيف عاشوا، ثم كيف هجروا وجاء مكانهم أناس آخرون.

بدء الحياه الإنسانیه

بدء الحياه الإنسانیه

والإنسان أول ما وجد كان كاملاً عالماً، {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} (١)، إلا أن الحياه تدرج، فربما كان بدء مجيئه إلى الأرض يعيش على الصيد والفاكهه، ثم ورد أن هايبيل (عليه السلام) وقاييل أخذوا فى الزرع والرعى، ذلك تطور من الحياه التى لا استقرار لها إلى حياه الاستقرار فى الجمله، بسبب التقييد بمحل الزرع، وبالقطع المحتاج إلى مكان خصب، ثم يأتى دور تطور جديد:

١: بالسكنى مجتمعاً فى خيام أو قريه أو ما أشبهه، أما مسأله الإنسان الأول والتطور الداروينى فمما لم يقيم عليه دليل، بل الدليل قام على خلافه.

٢: وباجتماعات تعيش عيشه البداوه، واخرى تعيش عيشه التوسط.

٣: كما أن فى القسم الثالث أناس يعيشون قمه الحضاره الحديثه بصنائعها ورفاهها ومشاكلها، وآخرون يعيشون قبل ذلك، فلهم بعض محسنات ومشاكل المرحله السابقه والمرحله اللاحقه.

وقد أصبح الاجتماع بواسطه الوسائل الحديثه وحده واحده، مركبه من المدينه الكبيره، والمدينه العاديه، والمدينه الصغيره، والقريه، وما قبل القريه.

ص: ٢٦٦

القرية أم المدينة

وهناك خلاف بين علماء الاجتماع فى أفضلية سكن المدينة أو القرية، الأولى لأنها مركز الحضارة والمدينة، ولحصول الإنسان فيها على وسائل الرفاه، وتمكنه من التقدم إلى مدارج الكمال، والثانية لقله المشاكل والضوضاء فيها، ولسلامة البيئه عن التلوث، ولقله الأمراض، بل ولطول الأعمار.

ولكل وإن كان وجهه نظره، إلا أن القول الأول أقرب إلى الصواب لمن له قدره المقاومه، فإن التقدميه التى جبل الإنسان عليها لا تحصل فى القرية.

وحسب الاختلاف المتقدم، فقد اختلفت الآراء إلى:

١: هدم القرية وتكبير المدينة، وذلك بتشويق أهل القرية للهجرة إلى المدينة:

أ) إيجابياً بالدعايه ونحوها.

ب) بإهمال القرية حتى ينسحب أهلها تلقائياً، مع توفير الإمكانيات للمدينة لاستيعاب أهل القرية.

٢: تقليل أهالى المدينة، وتكثير القرية، وتكبير الموجوده من القرى بما لا يخرج عن كونها قرية بمحسنتها، والعمل على العكس من الأول، حيث تشجع الدوله الهجرة إلى القرى، وتوفر بعض الحوائج، وتسهل أمور الاستيطان فيها.

٣: تمدن القرى بإيصال بعضها ببعض، وتحصيل الوسائل الكافيه لها، حتى تكون مرحله وسطى بين المدينة المعقده، وبين القرية البسيطه.

وعلى أى، اللازم الدقه الكامله لما هو الأصلح بحال الإنسان _ حيث إنه

المحور _ فى رفاهه وتقدمه، وبعد ذلك الشروع فى التطبيق بما لا يوجب تزلزل أركان الاجتماع.

المدن المغلقه أم المفتوحه

المدن المغلقه أم المفتوحه

ثم هناك خلاف آخر فى أنه هل من الأفضل صنع المدن الجديده حول المدن الكبار، كما يتعارف الآن، مدناً منغلقة على طائفه، كالمعلمين وعمال المصارف والفلاحين وما أشبهه، أو مدناً منفتحه، أمثال القرى والمدن العاديه، يسكنها من يشاء من غير فرق بين المهن وما أشبهه.

الأولون: يستدلون بأنه أقرب إلى الراحة، للانسجام بين أصحاب الدور، حيث لهم مهنة واحده، والانسجام يوجب الرفاه النفسى والجسدى.

والآخرون يقول: إن وحده المهنة بين الجيران تسبب الانغلاق الفكرى، حيث إن عدم رقابه الحياه (1) توجب جمودها، وصعوبه الاختلاط غير المتجانس أهون من مشكله عدم الرقابه المجمعّد.

ولعل الثانى أقرب، وفيها فوائد آخر، مثل الزواج من مختلف الأقسام، وتنوع الحياه المستقبليه للأولاد، وغير ذلك.

نعم بعض المدن الصناعيه الحديثه، لا بد لها من وحده المهنة، أمثال عمال مصنع كبير وما أشبهه، كما هو الحال فى القرى الزراعيه ونحوها، ومع ذلك يجب أن تنظم حياه أمثال هؤلاء بما لا يوجب جمود الفكر الناشئ من عدم رقابه الحياه.

الفوارق بين المدينه والقرية

الفوارق بين المدينه والقرية

وكيف كان، فالفروق الأساسيه بين المدينه والقرية هى:

ص: ٢٤٨

١- المراد بعدم الرقابه عدم التنافس.

١: المدينة أكثر ناساً بخلاف القرية.

٢: روابط الأفراد في المدينة عادية، بينما الروابط في القرية شديده، وهكذا معاداة أفراد المدن بعضهم لبعض ضعيفه، بينما معاداة أفراد القرية شديده، والسر أن كثره أعمال روابط فرد المدينة لا تدع له مجالاً لشده الولاء أو شده العداة بخلاف القرية.

٣: سعه مجال العمل والزواج والانضمام إلى الجمعيات والمؤسسات في المدينة دون القرية.

٤: قوه العلم والدين والأخلاق والآداب في المدينة، لكثرة المدارس والمعلمين والوعاظ والمربين في المدينة دون القرية.

٥: كثره الأمراض ويسر العلاج في المدينة، وبالعكس من الأمرين القرية، حيث تلوث البيئه في المدينة أكثر، والطب والوسائل الطبيه فيها أكثر، بخلافهما في القرية.

٦: تعقد النفس في المدينة دون القرية، وذلك لأن كثره الروابط وتناقضها وشده الطبقية وكثره الحرمان في المدينة توجب ذلك، والقرية ليست كذلك.

٧: سهوله المعاملات وعدم التدقيق في أمرها في المدينة، وذلك لأن كثره الشأن فيها لا يسمح بالدقه، بخلاف القرية حيث قله الشأن فيها فتكون مسرحاً للدقه.

٨: ضعف مراقبه الأهل والأولاد في المدينة، وشدها في القرية، إذ سعه المدينة من ناحيه، وكثره شغل الإنسان فيها من ناحيه ثانيه، تجعل الأولاد ونحوهم بمنأى عن عين الأب والأم، ثم إن أشغالهما يمنعان من المراقبه الدقيقه،

وبالعكس من كلا الأمرين القرية.

٩: في المدينة الدخل أكثر والأرباح أوفر، بخلاف القرية، وذلك من جهة ارتفاع مستوى المعيشة في المدينة، دون القرية من ناحية، ومن جهة وجود النقد أكثر في المدينة مما يجعله أكثر ابتداءً، وبالعكس من ذلك القرية.

١٠: التحرك الاجتماعي في المدينة عمودياً وأفقياً، حيث مختلف المؤسسات، ومتفاوت الدرجات، فيتمكن الإنسان أن ينتقل من وظيفته إلى وظيفته، كما يتمكن أن يصعد من مرتبه نازله إلى مرتبه رفيه، وأحياناً بالعكس، وليس كذلك القرية، ولذا يكون هناك الجمود.

١١: أخطار المدينة أكثر، من حيث السرقة والسطو والاختطاف والدهس وغيرها، حيث كثرة السيارات وتنوع الناس، وإمكانية المفسد من الاختفاء في بحر الناس، بخلاف القرية في كل ذلك.

١٢: كثرة الفساد في المدينة، من زنا ولواط واستعمال المخدرات ونحوها بخلاف القرية، وذلك للأسباب التي تقدمت في البند الحادى عشر.

١٣: زياده الحر والبرد في القرية، لقله العائق لهما من الأبنية والعمارات، بخلاف المدينة لكثرة العائق، ولذا يمكن الاستفادة من طبيعه أكثر في القرية من المدينة.

١٤: تشتد النزاعات القومية والطائفية والعرقية وغيرها في القرية دون المدينة، وذلك لأن المدينة بحضارتها الكثيره ترقق من المشاعر، وتعطى رؤيه أوسع، بخلاف القرية في ذلك.

١٥: تجعل القرية أفرادها أبعد عن عين الحكومه ومتناولها، حيث تضعف أجهزه الحكومه في القرية، وحيث القرابه والصدقه الشديده في القرية،

مما يستر بعضهم على بعض، وليس كذلك المدينة، ولذا تشد القرية من أزر التنظيمات المناوئة للحكومه.

ولا يخفى أنه تختلف المدن والقرى الساحليه، والجبلية، والغابيه، والسطحيه فى بعض تلك الجهات، كما أن حركة التهريب فى الساحليه، والحرب فى الجبلية والغابيه، وغيرهما تختلف اختلافاً كبيراً، كما أن المدن الصناعيه تختلف عن غيرها من بعض الحيات المتقدمه، وكذلك بالنسبه إلى القرية.

الدين والمسكن

الدين والمسكن

ثم لا يخفى أن الدين _ الأعم من الأخلاق _ الذى هو الإطار الصحيح للعالم السليمه، وللآخره السعيده، تختلف إمكانيه تمسك الإنسان به فى القرية من المدينه، وفى مدينه عن مدينه، وقرية عن قرية، وعدم التمسك به كاملاً يوجب خبالاً فى الحياه، بله الآخره، كما قال سبحانه: {ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشه ضنكاً} (١).

ولذا كان اللازم:

١: أن يسكن الإنسان فى محل هو أقرب إلى إمكانيه تطبيق الدين، سواء سكنه الدائم، أو سكنه لأجل علم أو غيره.

٢: أن يهتم القائمون بالدين فى تنظيم وسائله بما يجعل الناس أقرب إلى الأخذ به، مثل أن تبنى فى كل مدينه وقرية مدرسه دينيه، وأن تنشر الكتب والنشرات فى الأحياء الصناعيه، وأن يبنى المسجد فى المراكز العماليه، وأن يهتم لاستعمال وسائل الإعلام كالصحف والراديو والتلفزيون، لأجل بث الدين وتذكير الغارقين فى أعمالهم بالموازين الدينيه، مما يوجب السعاده الدنيويه والأخروييه.

ص: ٢٧١

بناء المدن

(مسأله ٢٧): من الطبيعي أن ينظم الإنسان حياته حسب:

١: ما يقربها إلى حاجاته.

٢: ويبعدها عن الأخطار.

فإن غريزه البقاء تعطى للإنسان هذه النظرة، ولذا يبني الإنسان داره حيث توفر له الأمور السابقيه، وكيفيه تراكم الاجتماع تتبع ذلك، ولذا تبني المدن حوالى أمثال:

١: المساجد وسائر محلات العباده لكل أمه.

٢: المؤسسات الاقتصاديه بفروعها سواء.

أ) التقديه كالمصارف.

ب) أو الإنتاجيه كالمعامل.

ج) أو الاستهلاكيه، كمحلات الأكل واللباس وما أشبه.

٣: المؤسسات العلميه كالمدارس والمعاهد والمكتبات.

٤: مراكز القوه، مثل محل وجود العشيره، ومنطلقات القوه الحكوميه، ومحل تجمع الحزب ونحوه، مما يعطى للإنسان قوه الدفاع.

والغالب فى المدن أن تتشكل من أقسام مثل:

١: قسم السكن.

٢: وقسم الأخذ والعطاء كالأسواق.

٣: وقسم الإنتاج كالمعامل والمصانع.

٤: قسم دوائر الدوله، فى بعض البلاد.

وإنما يجعلون المدن كذلك، للراحه فى المسكن، وتجمع الحوائج فى قسم التعامل، وإخراج الضوضاء إلى ناحيه فى قسم الإنتاج، وتجمع الاحتياجات الإداريه فى مكان آخر، وهكذا.

أقسام المدن

أقسام المدن

ثم إن الغالب فى المدن أن تبني على أقسام:

١: المدينه المركزيه الشعاعيه، بأن يكون للمدينه مركز واحد، ثم تبني من عند ذلك المركز، فتتسع حسب الشعاع المنبثق من المركز.

٢: المدينه المتعدده المراكز، وهى أن تكون للمدينه مراكز، حتى لا توجب الصعوبات الناجمه من المركز الواحد، وفى كثير من الأحيان حيث تلتصق القرى بعضها ببعض توجد المدينه المتعدده المراكز، والاتساع يكون حينئذ من شعاع المراكز لا من شعاع المركز الواحد.

٣: المدينه القطاعيه ذات المركز الواحد، فالمركز وإن كان واحداً، إلا أنها تبني قطاعات، لا دائريه شعاعيه كالقسم الأول.

فشعاع من المركز سكنى، وبيتعد هذا الشعاع بكثره المساكن، وشعاع من المركز للدوائر الحكوميه، وشعاع للمدارس، وشعاع للأسواق وهكذا، وبذلك لا تكون القطاعات فى بعد واحد، كالدائره بل يكون شعاع كل جهه حسب امتداد حاجه ذلك الشعاع.

وهذا القسم من المدينه يريد الاحتفاظ بفائده كل من القسمين السابقين بدون أضرارهما، حيث إن تعدد المراكز يوجب التبعر، ووحده امتداد الشعاع توجب الصعوبه.

ثم إن كل مدينه حسب بنائها تحتاج إلى مؤهلات خاصه، مثلاً المدينه

ذات المركز الواحد تتكسد البضائع ومرافق الاجتماع في محلات واسعه في المركز، وتتداول أبنيه ناطحات السحاب بسراديبيها العميقه في أطراف المركز وهكذا، بينما ليس كذلك المدينه ذات المراكز، إذ تقسم الحاجات حسب انقسام المراكز.

كما أن التحولات الاجتماعيه تؤثر تأثيراً مناسباً في وضع المدن وتغير من ملامحها، مثلاً- قبل صنع السيارات كانت الأزقه والشوارع الضيقه، أما بعد اختراعها فقد تغيرت معالم المدن، وقبل صنع الطائره كانت تصنع حول المدن الأسوار، حفظاً لها من المهاجمين بالسهم والسيوف، أما بعد صنع الطائره لم يبق للصور فائده، فأخذت المدن تتكشف وتخرج من قوقعتها، وهكذا بالنسبه إلى جملة من الصنائع الأخر.

المدن الكبيره، المشاكل والحلول

المدن الكبيره، المشاكل والحلول

ثم إن المدن الكبار أخذت تعاني من مشاكل جمه سبب كبرها لتلك المشاكل، أمثال:

١: عدم سعه المدينه بقدر سعه الأفراد، فمثلاً كانت أرض المدينه لكل فرد بمقدار خمسين ذراعاً، ثم صارت بمقدار عشره أذرع لكثره النفوس، وعدم توسعها التوسع المطلوب.

٢: تزايد الضوضاء.

٣: عسر التنقل سواء للإنسان أو لحاجياته.

٤: تلوث البيئه لكثره الملوثات التابعه لكثره النفوس.

٥: تكثر الجنايات، حيث إن الجاني يتمكن أن يختفي بسرعه، وغير

ذلك، كما تقدم.

أما كيف يمكن حل مشكلات المدن الكبرى، فهو بأمور:

١: المواظبه الكامله بسعه أرض البلد بقدر كثره السكان، بعد ملاحظه الوجهه الصحيحه فى احتياج كل فرد إلى الكميّه اللازمه من الأرض.

٢: جعل المرافق بقدر الحاجه، مع توزيع المرافق توزيعاً عادلاً، فإذا احتاج كل ألف إنسان إلى خباز وطبيب وحمام عمومى مثلاً، جعل ذلك مع أن يكون كل ذلك فى وسط الجماعات، لا أن يكون عشره من محلات الخبازه فى ناحيه، وتسع نواحي بحاجه إلى الذهاب إلى تلك الناحيه، إلى غير ذلك.

٣: إخراج المعامل والمحطات والكراجات والدوائر الحكوميه وما أشبهه عن البلد، ببعد ملائم لا يسبب الإزعاج بعداً، ولا الصعوبه قريباً.

٤: منع السيارات الشخصيه وسيارات الأحمال وما أشبهه عن العبور فى الأماكن المزدحمه.

٥: تصغير وسائل الحمل والنقل بقدر الإمكان، سواء للإنسان أو للحمل حتى لا تحتاج إلى أكثر من القدر المحتاج إليه واقعاً.

٦: الدقه الكامله فى سلامه البيئه، بالحدائق العامه والنافورات، والساحات العامه وكثره الأشجار، والمياه النظيفه فى داخل المدينه وخارجها، والمنع عن استعمال السيارات للأدهان الملوته، وما أشبه ذلك.

٧: الحيلولة دون توسيع المعامل وما أشبهه، والدقه فى تنظيف المدينه والحوانيت ونحوها.

٨: تنظيم المرور تنظيماً دقيقاً، وصنع الجسور والأنفاق، والطائرات العموديه لأجل عدم صعوبه الانتقال.

ص: ٢٧٥

٩: شدة الرقابه على الفساد، وقايهً وعلاجاً، أمثال السطو والسرقه والدهس وبيوت الدعاره وغير ذلك.

١٠: المنع عن الضوضاء، أمثال أصوات السيارات والمعامل والقطارات والمكبرات والأجراس، وغير ذلك.

١١: إعطاء حاجات القريه، حتى لا ينساب أهلها إلى المدينه _ وقد تقدم الخلاف فى أن توسيع أيهما على حساب الآخر أفضل.

١٢: تكثير التثقيف الموجب لقله المشاكل بمختلف الوسائل، والتي منها جعل أسابيع للصحه، وللنظافه، وللمرور، وللتجميل، وللزارعه، وللوقايه، وغير ذلك.

ص: ٢٧٦

بحث في الجمعيه

(مسأله ٢٨): الجمعيه عباره عن جماعه يرتبط بعضهم ببعض، إما بسبب وحده المحل، أو الوحده السياسيه، أو الوحده القوميه، أو الوحده الدينيه، أو الوحده العرقيه، أو غير ذلك.

والكلام فيها في نواحٍ متعدده:

أ: توزيع الجمعيه.

ب: تركيب الجمعيه.

ج: حركه الجمعيه.

توزيع الجمعيه

توزيع الجمعيه

١) أما التوزيع، فهو عباره عن تقسيم الجمعيه باعتبار المكان أو العمر أو الجنس أو ما أشبه ذلك، وفائده هذا التوزيع جعل خصائص لكل جماعه جماعه، مثل بيان خصائص الأطفال أو الشباب أو الكهول، فإن ذلك يساعد لكشف الأسباب والمسببات لحل المشاكل، فإن حلول مشاكل الأطفال غير حلول مشاكل الشباب، وهكذا.

ولذا إذا قسمت الجمعيه باعتبار المكان لوحظ المكان ولم يلحظ العمر، والمكان يشمل مختلف الأعمار، بينما العمر يشمل العمر الخاص في مختلف الأمكنه، وربما يلاحظ الأمران، مثل نشاط الشباب منضماً إلى حراره الطقس في منطقه كذا، حيث إن حل المشكله حينئذ غير حل المشكله للشباب في الطقس

البارد، أو للشيوخ في الطقس الحار، وهكذا.

تركيب الجمعيه

تركيب الجمعيه

ب) وأما التركيب، فهو الهيئه الناشئه من جميع الأقسام، كالمجتمع الفلاني مثلاً مركب من القوميات المختلفه والأديان المختلفه، فالحلول يجب أن تكون حلاً وحدوياً أو أشكالياً، مثلاً قد يراد نجاه إيران المسلمه من استعمار بريطانيا، وقد يراد نجاه الهند التي يعيش فيها ثلاثمائه دين، فإن نجاه كل بلد منهما بشكل غير نجاه البلد الآخر، وهكذا في سائر التراكيب.

حركه الجمعيه

حركه الجمعيه

ج: أما حركه الجمعيه، فهي على قسمين:

(١) الحركه الكميّه، أى زياده ونقص الأفراد.

(٢) الحركه الكيفيه، أى تبدل كيف الجمعيه بدون زياده أو نقص الأفراد.

وكلتا هاتين الحركتين وإن كانت ملازمه للأخرى، مثل حركه الثمره حيث إنها كميّه كيفيه، إلا أن الملاحظ قد يلحظ الكم وقد يلحظ الكيف، ثم بعد ذلك يأتي دور اللحاظ الثانى، مثلاً- زياده أو نقص عدد الجمعيه تلازم تغير الكيفيه أيضاً، وكذلك العكس.

الحركه الكيفيه

الحركه الكيفيه

فالحركه الكيفيه عباره عن:

(١) كثره أو قله الولاده، سواء كان السبب الثقافه، مثل ثقافه تكثير النسل

أو تقليله، وثقافته تعدد الزوجات أو وحدتها، أو كان السبب المناخ أو الاقتصاد، أو غير ذلك.

(٢) وكثره أو قله الأموات، بنحو من الأسباب المتقدمه.

(٣) وطول العمر أو قصره، وهذا غير الثاني، فإن بينهما عموماً من وجه، إذ قد يكثر الأموات مع طول العمر، وقد يكون مع قصر العمر، وقد يكثر العمر مع قله الأموات.

الحركه الكميّه

الحركه الكميّه

أما الحركه الكميّه، فهى:

١: بالتبعر، وهو ما لم يكن تحت ضابط وهدف منظم.

٢: بالهجره، وهى ما كان تحت ضابط وهدف منظم، وكل منهما إما بالمطارده أو بالاختيار، كما أن كلاً من الاختيارين، إما لأجل دفع محل السكنى، أو لأجل جذب المحل الجديد.

ومن الواضح أن الهجره توجب تقليل الحركه فى المحل الأول، وتكثيره فى المهجر، كما أن من الواضح تلازم قله الكم لقله الكيف فى الأول، وكثرته فى الثانى.

والهجره الاختياريه غالباً تكون:

(١) للعلم، حيث يوجد أو يكثر فى المهجر.

(٢) أو للدين، كما هاجر المسلمون إلى المدينه المنوره.

(٣) أو للرزق، حيث تشح الأرزاق فى البلد الأول، وتكثر فى الثانى.

(٤) أو للكيان، كما فعلته إسرائيل الغاصبه.

(٥) أو للعدو، حيث يدهم _ أو يخاف دهمه _ البلد الأول.

٦) أو للمرض، حيث يكون المحل الأول موبوءاً.

والغالب أن يهاجر المهاجرون إذا كانت الهجره اختياريه، وكان المهجر الممكن الوفود إليه متعدداً، إلى المهجر المناسب لهم في المناخ، ولا فرق في ما ذكرناه من الهجره، أن تكون داخل خريطه سياسيه أو خارجها.

فالأول: كما إذا ذهب إلى بلد آخر في داخل القطر.

والثاني: كما إذا ذهب إلى بلد أجنبي.

ثم الهجره الاختياريه أحياناً تجب، كما إذا كانت في طلب الإيمان، أو التخلص من بلد لا يتمكن الإنسان فيه من إقامة شعائر الإسلام، أو في طلب العلم الواجب، أو الرزق الواجب، أو الصحة الواجبه، أو ما أشبه ذلك.

كما أنها أحياناً تحرم، كما إذا كانت عكس الصورة الأولى.

وأحياناً تكون حسب الأحكام الثلاثة الأخر.

والهجره قد تطلق أيضاً على الهجره عن الصفات السيئه والمعاصي، كما ورد في الحديث: «والمهاجر لمن هاجر السيئات»^(١).

وقال علي (عليه السلام): «والهجره قائمه على حدها الأول، ما كان لله في أهل الأرض حاجه، من مستسر الأمه ومعلنها، لا يقع اسم الهجره على أحد بمعرفه الحججه في الأرض، فمن عرفها وأقر بها فهو مهاجر، ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحججه فسمعتها أذنه ووعاها قلبه»^(٢).

ص: ٢٨٠

١- مكارم الأخلاق: ص ٤٣٨.

٢- بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٩٩.

ثم إن الهجرة قد كثرت في العصر الحاضر من القرية إلى المدينة، وذلك لسهولة التنقل من ناحيه، ولتأخر القرية، ولكثرة المال والعلم والصناعة في المدينة من ناحيه ثانيه، ولذا أخذت المدن في التوسع والقرى في الانكماش بل والاختفاء أحياناً.

وقد تقدم الكلام في حسن تخريب القرى وتوسيع المدن وعكسه، لكن مما لا كلام فيه أنه ما دامت القرى متأخرة، يكون الإقبال على المدن كثيراً.

وحيث إن بعض المدن الصناعية، لا طاقة لها في استيعاب أكثر، وسهل المراوده إليها، أخذ أهل القرى يسعون إليها بمختلف وسائل النقل نهاراً، ويرجعون إلى قراهم ليلاً، حتى أن بعض تلك المدن يعد الوافدون إليها كل يوم بالملايين، وهذا الأمر وإن سبب تبعثر العائلة، وحرمان الإنسان عن التمتع بالتجمع العائلي المتين، إلا أن السعى وراء المال ونحوه حال دون ذلك التمتع.

الأرض والسكان

(مسأله ٢٩): أغلب سكان الأرض تركزوا في النصف الشمالي من الكره الأرضيه، أما في النصف الجنوبي من الكره الأرضيه، وهو زهاء ثلث اليابسه من الكره الأرضيه، فقد تركز فيه عشر مجموع البشر.

أما قارات الأرض، فأسيا من أكثرها سكاناً، حيث يقطنها زهاء نصف البشر، كما أن في أوروبا يقطن زهاء ربع البشر.

أما من حيث الألوان، زهاء نصف البشر ذو لون أبيض، وهؤلاء يسكنون في بعض نواحي آسيا وإفريقيا الشماليه وأوروبا وأمريكا والهند.

وزهاء ربع البشر ذو لون أصفر، ويسكنون في بعض آسيا وجزر البحر الهادي، ويعد من الصفر الإسكيمو، والهنود الحمر في أمريكا.

أما ذو اللون الأسود وهم ما يقارب عشر البشر فيسكنون في إفريقيا وأمريكا وأستراليا وبعض جزر البحر الهادي.

تراكم السكان وأسبابه

تراكم السكان وأسبابه

أما تراكم السكان فهو في ثلاث مناطق من الأرض، وهي:

١: الهند والسيلان والبرما.

٢: اليابان والصين الشرقيه.

بينما أكثر بقاع الأرض وبالأخص شمال آسيا وأمريكا، وقلب أمريكا الجنوبيه وأفريقيا واستراليا، يسكنها قله من البشر، وبين الكثره والقله يسكن شمال الولايات المتحده الأمريكيه وبعض جزر آسيا وأمريكا اللاتينيه.

ومع أن المناخ ليس السبب الوحيد فى تراكم الجمعيه وعدمه، إلا من له تأثيراً كبيراً فى ذلك، سواء كان المناخ:

١: باعتبار الماء والهواء.

٢: أو باعتبار الارتفاع عن سطح البحر وانخفاضه.

٣: أو باعتبار سهوله الأرض وصعوبتها

فالأرض ذات الماء القليل والهواء الشديده البروده أو الحراره لا تصلح للسكنى، حيث يصعب العيش فيها من جهه الإنسان ذاته، أو من جهه عدم النبات والحيوان الملازمين لحياه الإنسان.

والارتفاع والانخفاض مؤثر فى حياه الإنسان أيضاً، حيث تختلف اليابسه ارتفاعاً وانخفاضاً، فما يقارب نصف اليابسه يرتفع عن سطح البحر، بمقدار ألف قدم، بينما يصل الارتفاع فى بعض النواحي كالنواحي الأستوائيه وتبت إلى خمسه عشر ألف قدم، وفى عكسه يصل أحياناً إلى أقل من الألف.

ثم إن أموراً متعدده لها مدخليه فى تكون المدن وكثره التجمع:

١: الماء والهواء والأرض: حيث إن حسن هذه الأمور تجلب الناس، لأن الإنسان يقيم حيثما يرى الرفاه، وحسن الثلاثه المذكوره تعطى الرفاه، حيث يستفيد الإنسان من الهواء والماء، ويتمكن من الزرع ورعى الحيوان فى الأرض الجيده ذات المناخ الحسن، وتعطى الطبيعه جمالها، فى أمثال هذه المناخات.

٢: الدين: فإن من طبيعته الإنسان تطلب الدين، فإذا كان محلاً مرتبطاً بالدين التف الناس حوله وكثروا ولذا حدثت مدينه كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء، وكثر الناس حول هذه البقاع، وكذلك المشهد وقم وغيرها.

٣: مقابله الأعداء، حيث إن الثغور ونحوها توجد ويكثر أفرادها من أجل ذلك، كما حدثت الكوفة في أول الفتح الإسلامي، وكذلك حدثت في أواسط العراق، حيث إن أهالي الكوفة بعد على (عليه السلام) تشيعوا، وبذلك لم يتمكن بنو أمية من إقرار أمنهم في العراق، فاضطروا إلى جعل بعض جيش الشام قرب الكوفة التي كانت عاصمه المنطقه الشرقيه للبلاد الإسلاميه آنذاك.

٤: تقدم الاقتصاد، حيث إنه إذا تحسن الاقتصاد في بلد جلب الناس حوله، كما نشاهده في العصر الحاضر في بعض بلاد الخليج، حيث تفجرت ينابيع النفط، فجذبت الناس حول نفسها، مع عدم مساعده الماء والهواء والأرض، حيث إن الإنسان ليس مقهوراً للطبيعه، بل يقهرها بحيث يتمكن من سكنها برفاه.

دور الثقافه في ازدياد الأفراد

دور الثقافه في ازدياد الأفراد

ثم إن تقدم ثقافه الاجتماع، يوجب تكثر أفراد المجتمع، وذلك لأن العلم يوجب:

١: تقدم الاقتصاد، فإن الاقتصاد يبني على:

(أ) الزراعه.

(ب) والصناعه.

(ج) والتجاره.

(د) والحيازه.

وكلها تتحسن وتتقدم بواسطه تقدم العلم، وقد تقدم أن الاقتصاد الحسن يوجب تجمع الأفراد.

ص: ٢٨٤

٢: وكثره الولاده، حيث إن عدم الولاده مبنى على:

أ) عدم الزواج.

ب) قله الزواج.

ج) عدم الاستيلاء.

وكل ذلك ينتفى بسبب التقدم الثقافى، حيث التقدم الاقتصادى الموجب لإمكانيه الزواج، والتقدم الثقافى الموجب لفهم الحياه، وأن الزواج من أسباب الرفاه، ولذا قال سبحانه: {إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله} (١)، فإن الزوج إذا عرف أن وراءه مسؤوليه العائله يكدح أكثر، كما أن الزوجه حيث لها علاقه بالزوج والأولاد تكدح لرفاه حياتهم، ومن المعلوم أن التعاون يوجب التقدم الاقتصادى، فالزواج يسبب الغنى من جهه الاندفاع النفسى، ومن جهه التعاون العملى.

ثم الأولاد بدورهم أيضاً يتعاونون فى الرفاه الاقتصادى للعائله.

هذا بالإضافة إلى أن الزواج يقف سداً دون الأمراض النفسيه فى كلا الطرفين، والأمراض الجسديه، فقد ثبت فى علم النفس أن عدم الزواج يوجب العقد النفسيه، والأمراض الجسديه حيث إن عدم الزواج يوجبها كما ثبت فى علم الطب.

هذا بالإضافة إلى أن عدم الزواج يوجب الانحراف والشذوذ الجنسى، وكلاهما مبعث الأمراض الكثيره، والتي بدورها تحطم الاقتصاد، من جهه أن المريض لا يتمكن من العمل، ومن جهه أن المريض يحتاج إلى صرف المال لشفاؤه أو لعدم ترديه أكثر.

ص: ٢٨٥

وقد حرض الإسلام على كثره الأولاد، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «تناكحوا تناسلوا تكثروا، فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط»^(١).

وربما يتوهم أن الكره الأرضيه لا تتحمل كثره البشر من حيث المساحه ومن حيث المواد، وفي كلا الأمرين نظر، حيث إن أغلب مساحه الأرض فارغه الآن، بالإضافة إلى إمكان سكنى البحار، وسكنى الجوى، بسبب البيوت الأقماريه، وأما المواد فهى كافيه لعشرات أضعاف البشر الحالى، وهم زهاء أربعه مليارات ونصف، كما يمكن زراعه البحر وغير ذلك.

إن الذى حال دون كفايه البشر هى الأنظمه الرأسماليه والشيوعيه، حيث الاستغلال الفاحش، وصرف كثير من خيرات البشر فى وسائل التدمير، والحيلوله دون نمو الكفاءات بسبب كبت الحريات، لا بالنسبه إلى العالم الثالث فحسب، بل بالنسبه إلى نفس العالمين الشرقى والغربى أيضاً، أما العالم الشرقى فنظامه مبنى على ديكتاتوريه البروليتاريا، وأما العالم الغربى فرأس المال يكبت الحريات، وقد ذكرنا بعض تفصيل ذلك فى (الفقه الاقتصاد) و(السياسه).

الثقافه وقله الموت

الثقافه وقله الموت

٣: قله الموت غير الطبيعى، فإن الموت غير الطبيعى يقلل من أفراد المجتمع، فإن نسبه الموت إلى الولاده على ثلاثه أقسام:

أ: التساوى، وفي هذه الصوره يبقى المجتمع ثابتاً لا يزيد ولا ينقص.

ب: أكثرية الموت، وفي هذه الصوره يأخذ المجتمع فى النقص.

ج: أكثرية الولاده، وفي هذه الصوره يأخذ المجتمع فى الزيادة.

ص: ٢٨٤

وإذا تقدمت الثقافه دفع المجتمع الموت غير الطبيعى بوسائل الوقايه وبوسائل العلاج، وحينذاك لا يكون الموت غير الطبيعى، وحيث إن الولاده بطبعها _ كما دلت الإحصاءات بل هو ملموس لكل ملاحظ _ أكثر من الموت، يأخذ المجتمع فى الكثره، أى التقدم الكمى.

وقد قرر الإسلام لزوم الوقايه، حتى أن خوف الضرر يمنع من الوضوء والغسل، ومن الصلاه قائماً ونحوها، ومن الصوم ومن الحج، إلى غيرها، كما قرر لزوم العلاج، حتى بأشد المحرمات كالخمر ولحم الخنزير، كما ذكره فى كتاب (الأطعمه والأشربه) وغيره.

الثقافه وطول العمر

الثقافه وطول العمر

٤: طول العمر، فإن الثقافه توجب طول عمر الإنسان حيث:

أ: توفر وسائل الوقايه.

ب: ووسائل العلاج.

ج: وما يسبب تنميه الحياه، فإن الإنسان قابل لأن يطول عمره مئات السنوات، وقد ورد فى الأحاديث، أن العمر فى زمان الإمام المهدي (عجل الله فرجه) يطول كثيراً، ولعل ذلك لتقدم الثقافه والاقتصاد حينذاك، حيث ترتفع وصايه الديكتاتوريين عن البشر كما فى الحال، فالثقافه تعم وتتقدم، والرفاه يكون شاملاً ولعل ما قيل من أن السماء تمطر جراداً ذهباً كناية عن التقدم الاقتصادى الكبير.

وقد دلت جمله من التواريخ، وأيدته الآيات والروايات، أن أعمار البشر فى فتره كانت طويله، بل أحياناً طويله جداً، قال تعالى: ﴿فَلَبِثْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

ص: ٢٨٧

إلا خمسين عاماً» (١)،

وقال علي (عليه السلام): «من كان أطول منكم أعماراً» (٢).

نعم في بعض فترات التاريخ قلّ العمر، حتى أن بعض العلماء ذكر أن في العصر الفلاني وصل العمر إلى ثمانيه عشر سنه، ووصل في القرون الوسطى في البلاد الأروبيه إلى ثلاثه وثلاثين، وفي العصر الحاضر تختلف البلاد طولاً وقصراً، ففي البلاد التي يكون فيها رفاه أكثر ووقايه وعلاج أحسن، يمتد العمر أكثر من امتداده في بلاد ليست كذلك، ولذا ذكرت إحصاءات أن طول العمر في أمريكا وأوروبا أكثر من طوله في آسيا وإفريقيا.

وقد حرض الإسلام على طول العمر حتى ورد في الأدعيه: «وطول عمري في خير وعافيه»، والظاهر أن الادعيه بالإضافة إلى كونها طلباً من الله سبحانه، بأن يفعل تعالى الأسباب الغيبية لذلك، إلماع إلى تهيئه وسائل المطلوب، مثل: (اللهم أغن كل فقير، اللهم أشبع كل جائع، اللهم اكس كل عريان، اللهم اقض دين كل مدين، اللهم فرج عن كل مكروب» (٣)، إلى غير ذلك بأن يساهم الإنسان في تلك الأمور، لا أن يدعو بقلقه اللسان فقط، ثم يأخذ طريقه ولا يهتم بشيء.

الانفجار السكاني والتخطيط الدقيق

الانفجار السكاني والتخطيط الدقيق

بقي شيء، وهو تصاعد نفوس البشر كماً، إذا لم يصادف التخطيط الدقيق

ص: ٢٨٨

١- سورة العنكبوت: الآية ١٤.

٢- نهج البلاغه: الخ ط ٢٢٦.

٣- مستدرك الوسائل: ج ٧ ص ٤٤٧ ب ١٤.

لتصاعد تلبية الحاجيات، سبب مشاكل جمه، والمعارض الوحيد للتخطيط الصحيح الدقيق هم الحكومات الغربيه والشرقيه بما فى فلكهما، لا بالنسبه إلى البلاد المستعمره فحسب، بل بالنسبه إلى شعوب بلاد الشرق والغرب أيضاً.

أما روسيا، فأغلبيه الناس لا ينالون حتى حوائجهم الأوليه، وأسوأ منها البلاد التى استعمرتها روسيا.

وأما أمريكا فما لا يقل من خمسه وعشرين مليوناً فيها فقراء، على ما صرح به مستشار الأمن القومى لها، فإذا كان ذلك حال أغنى البلاد، فما هى حال بلاد أوروبا، وبالأسوأ حال مستعمرات تلك البلاد، فإن الاستعمار من الخارج والاستغلال فى الداخل يذران البلاد بلاقع.

ومادام العلم والحكم والثروه لم تحرر، ترتطم البشريه فى مشاكل جمه، لا بالنسبه إلى الضيوف الجدد من المواليد، بل بالنسبه إلى الجيل المعاصر أيضاً.

وكيف كان، فاللازم أن تتصاعد تلبية الحاجيات تصاعداً هندسياً، كما يتصاعد المواليد تصاعداً هندسياً، أما أن تتصاعد تلبية الحاجيات تصاعداً عددياً فتلك هى الكارثه.

واللازم فى الخطه التى توضع لتصعيد تلبية الحاجيات أن تكون خطه سباعيه:

أ) إعطاء الأمور بيد الناس، بدل أن تكون بيد الحكومات فإن الناس أعرف بسد حاجاتهم، مثلاً الدوله تعلن احتياج البلاد إلى مطارات وقطارات ومعامل ومواصلات وتلفونات وما أشبه، وتحدد الأرباح ومدته استيفائها، ثم تدع كل تلك إلى الناس ليؤسسوها، وتشرف حتى لا يجحف البناء لها.

وفى مثل هذه الخطه:

١: خفه حمل الدوله حتى تتمكن من القيام بمهامها خير قيام.

٢: إطلاق الحريات.

٣: ظهور الكفاءات.

٤: إعطاء الحاجيات.

٥: إبقاء الوثام بين الدوله والأمة، إذ الكبت والديكتاتوريه وعدم وصول الناس إلى حاجاتهم من أقوى أسباب الانفجار والثوره.

(ب) توسيع المدن، بما يكفى لمدته خمسين سنه مثلاً.

(ج) تهيئه وسائل التعليم والتربيه.

(د) تهيئه وسائل الصحة.

(هـ) المواصلات الكافيه.

(و) توسعه أجهزه الدوله، كالأمن والقضاء والنجده وما أشبه.

(ز) تهيئه لوازم الحياه الأوليه، كالمأكل والمشرب والملبس، والثانويه كالكماليات والحدائق وغير ذلك.

هل الأرض تكفى

هل الأرض تكفى

والأرض قابله للسكنى والزراعه وغيرها، فمجموع مساحه اليابسه زهاء خمسه عشر مليون هكتار، والقدر المزروع فى الحال الحاضر زهاء سبعة فى المائه، والمعلوم أن الاستفاده الكيفيه من تلك السبعه أيضاً ليست بالمستوى المطلوب.

فإذا فرض زراعه الكل وبالمستوى المطلوب، لكفى مقدار عشرين ضعف البشر الحالى، هذا مع الغض عن إمكان زراعه البحر.

والوسائل الصناعيه موجوده وبالإمكان تكثيرها، مما يسبب سهوله

الزراعة، ومن الواضح أن الزراعة لا- تعطى حاجيات الأكل فحسب، بل وكثيراً من الحاجيات، أمثال الأخشاب للبناء، والقطن ونحوه للباس، إلى غير ذلك، انظر كتاب (آفاق لا تحد) ونحوه.

أما المسكن، فالشركات الأهليه غير الاستعماريه ولا الاستغلاليه، بإمكانها أن تهيأ للكفل فى مده قصيره.

قال سبحانه: {الم نجعل الأرض كفاتاً * أحياءً وأمواتاً} (١).

نعم، المعادن غير الدوريه أخذت فى النفاذ، إلا أن من الممكن وضع برنامج صحيح لها لتكفى لما لا يقل من ألف سنه، ثم نواه الأرض كلها معادن، بالإضافة إلى إمكان الاستفاده بعد ذلك من سائر الكواكب.

وأما سعه سطح الأرض لاستيعاب الضيوف القادمين، ولو كانوا عشرات المرات أكثر من الجيل المعاصر، فتعلم من أن كثيراً من الأراضي القابله للسكنى باثره فى الحال الحاضر، بالإضافة إلى إمكانه التجمع، فمثلاً يسكن فى كل كيلومتر مربع فى:

١: بريطانيا كل (١٩٥) شخصاً.

٢: وفى الهند (٩٠).

٣: وفى الصين (٤١).

٤: وفى الولايات المتحده (١٧).

٥: وفى الاتحاد السوفيتى (٨)، إلى غير ذلك.

فيمكن أن يكون الجميع كبريطانيا، بل هى أيضاً قابله للتجمع الأكثر مع عدم الضغط، هذا بالإضافة إلى ما تقدم من سكنى البحر والفضاء.

ص: ٢٩١

١- سورة المرسلات: الآيه ٢٥.

وكيف كان، فارتفاع وانخفاض سطح المعيشه وليد عوامل خمس:

أ) القانون الصحيح، فإنه هو الذى يوجب تصفيه داخل الإنسان، وتنظيم خارجه، وذلك لا يوجد إلا فى السلام، كما دل عليه الدليل.

قال سبحانه: {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخره من الخاسرين} (١).

وقال عز وجل: {فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً} (٢).

إلى غيرهما من الآيات والروايات.

ب) المنابع الطبيعیه، ومن الواضح أن المنابع الطبيعیه المخلوقه فى الأرض كافیه لكل البشر، إلا أن التقسيمات الجغرافيه الناشئه من الجهل والاستعلاء سببت غنى منطقه وفقر منطقه، بل من الممكن الاستفاده من نور الشمس وشلال الماء ومجرى الهواء لتشغيل مختلف المعامل بدل الوقود، بل صنع الطعام أيضاً.

ج: الاختراعات، فإن المكتشفات الحديثه تساعد على ترفيع مستوى المعيشه، وإعطاء الرفاه الكافى للمجتمع، فإن وسائل الزراعه الحديثه ووسائل صنع الطعام من مختلف الأشياء والاستفاده من الشلالات وغير ذلك توجب ترفيع مستوى المعيشه، والعالم يلهث _ فى الحال الحاضر _ لإرجاع الوقود الذى يتبدد فى الهواء، ويقال: إنه إذا وصل العالم إلى ذلك، تقدمت الحضاره بما يساوى مائه ألف سنه، انظر (صدمه المستقبل).

ص: ٢٩٢

١- سورة آل عمران: الآيه ٨٥.

٢- سورة نوح: الآيه ١٠.

د) النظام الاجتماعي، فإنه إذا كان صحيحاً بما سبب تنسيق المجتمع، كان سبباً لترفع مستوى المعيشة.

هـ) كثره وقله الجمعيه، فإنهما مع الأساليب الصحيحه يعينان على ترفع المستوى أيضاً.

فهذه العوامل الخمس معاً تعين مستوى المعيشه، ارتفاعاً أو انخفاضاً.

ص: ٢٩٣

المؤسسات الاجتماعية

(مسألة ٣٠): الاجتماع البشرى مع تبعث أفراد له تنسيق، وكل يعمل فى ذلك التنسيق.

١: لأجل أن البشر خلق هكذا، فهو يحب العمل فى ضمن المجموعه.

٢: ولأجل أن التقدم وقضاء الحوائج إنما يكون بالعمل التنسيقى، وهذا التنسيق يتحقق حتى مع تعارض أفراد بعضهم مع بعض، وكذلك فى داخل الاجتماع، تعمل المؤسسات بتنسيق، أى إن كل مؤسسه تكون مع المؤسسه الأخرى فى تنسيق.

فمثلاً المؤسسه الاقتصاديه تقوم بتوفير الجهات الاقتصاديه لمؤسسه تربويه، والثانيه تقوم بتوفير الجهات التربويه للأولى، وهكذا.

وهذا التنسيق، سواء كان بين أفراد الاجتماع، أو بين المؤسسات، أو بين الأفراد والمؤسسات، يسمى بالنظم وبالنظام، وهذا النظم هو روح الاجتماع، بل يمكن أن يقال بالتساوى بين الأمرين، فالنظام يساوى الاجتماع وبالعكس.

والفرق بين النظم والنظام: أن الثانى وليد الأول، وإن كان ربما يطلق كل واحد منهما مكان الآخر، وكما أن الإنسان له فكره وقول وسيره وعمل، وأن الثالث عبارته عن كيفيه امتداد حياته، والرابع عبارته عن فعله

وإنتاجه، كذلك المؤسسة لها تلك الأمور الأربعة، إذ المؤسسة تنطوي على فكره خاصه، كالفكره الثقيفيه، ثم الدعايه والإعلان، ثم منهجها في حياها نفسها، ثم إنتاجها وعملها.

ومن الواضح أن تغيير فكره المؤسسة يؤثر في الثلاثه الأخر، فإذا كانت مؤسسه اقتصاديه نقديه، ثم نظمت نفسها لتكون مؤسسه اقتصاديه تجاريه، تغيرت كل أساليبها الثلاثه الأخر.

المؤسسه والأعراف الاجتماعيه

المؤسسه والأعراف الاجتماعيه

والمؤسسه تبقى حيه ما دامت تعمل، فإذا تركت العمل ماتت وتلاشت.

والمؤسسه حالها حال الفرد، في أنه قد يكون يعمل طبق الموازين العرفيه، وفي هذا الحال تدوم المؤسسة، أما إذا عملت المؤسسة على خلاف العرف السائد، كأن تعمل مؤسسه اقتصاديه في البلاد الرأسماليه على طبق الموازين الاشتراكيه، فإنها تعد منحرفه.

فإن دامت في الانحراف، فإما أن يغلقها الاجتماع بمختلف الوسائل والسبل، والتي أخيرها القوه، وإما أن تتمكن من إثبات نفسها بسبب ما لها من مقومات اجتماعيه، وإذا بقيت غيرت من الاجتماع بعض الشيء على لون نفسها.

وذلك لأن الاجتماع لا يتحمل وجود المخالف، فرداً أو مؤسساً أو جماعاً، فهو يغير المنحرف أولاً بالنصح والإرشاد، وثانياً بالاستهزاء والهمز وما أشبه، وثالثاً بالتفرق من حوله حتى يذوى تلقائياً، وأخيراً بالقوه، مثل سجن المنحرف أو قتله، وغلق المؤسسة المنحرفه وهكذا.

نعم إذا تمكن المنحرف عن الاجتماع أو المؤسسة كذلك إثبات صحه طريقته مما أفنع الاجتماع بذلك جلب الاجتماع إلى نفسه، وكذا نرى تقلب الاجتماع بسبب المصلحين، كما

نرى تقلبهم بسبب من يلبس ثوب الإصلاح، وإن كان كلاهما رمياً أول عملهما بالانحراف.

بين المؤسسه والمؤسسات الأخرى

بين المؤسسه والمؤسسات الأخرى

وكما تعمل المؤسسات فى المجتمع معاً، كذلك تعمل أجزاء المؤسسه الواحده معاً، حالهما حال أجزاء بدن الإنسان، وعملهما على ثلاثه أقسام:

١: العمل فى زمان واحد بدون رتبه، مثل أن تعمل مؤسسه اقتصاديه إلى جنب عمل مؤسسه سياسيه.

٢: العمل فى زمان واحد مع الرتبه كان تعمل مؤسسه الحلج فى رتبه متقدمه على عمل مؤسسه النسيج، وإن كانتا تعملان فى زمان واحد.

٣: العمل فى زمانين كعمل مؤسسه حصد القصب قبل عمل مؤسسه صنع السكر.

ومثالها فى البدن عمل العين والأذن معاً، وعمل القلب قبل عمل الشرايين رتبه، وعمل الجفن قبل عمل العين بالنظر، وإذا كان العمل رتبياً يلزم ملاحظه التنسيق، لا أن يعمل أحدهما أكثر، فإن ذلك يوجب فوضى فى عملهما، فإذا عمل المتقدم أكثر لم يطق المتأخر الاستيعاب، وإذا عمل المؤخر أكثر لزم توقفه عند عدم وصول الوقود اللازم إليه.

والمؤسسات على قسمين:

أ) قسم يحتوى على عدده أفراد لهم عمل واحد.

ب) وقسم يحتوى على عدده مؤسسات صغيره، إما تعمل كل فى اتجاه واحد عام، أو فى عدده اتجاهات، مثلاً مؤسسه الخياطه تعمل فروعها فى أمور شتى، مثل القص والخياطه والكى وما أشبه، والإطار العام للكل واحد، بينما مؤسسه تربويه كبيره يعمل فرع منها فى المدارس، وفرع فى التمثيليات، وفرع فى الطباعه، وهكذا.

ص: ٢٩٦

واللازم في المؤسسة ملاحظه أمرين:

١: التنسيق في العمل والنمو والضمور.

٢: ملأ الفراغ بالقدر الممكن، فإذا كانت مؤسسه سياسيه لها فروع، الترييه السياسيه، والدعايه، وتكثير الأفراد، وجمع المال، كان اللازم أن يحصل فرع المال على مقدار من المال يكفي للفروع المذكوره، كما أن على فرع الترييه أن يربى بقدر الأفراد المنخرطين في فروع المؤسسة، وهكذا، فإذا ضمّر المال مثلاً قللوا من الكل، وإذا نمت المال أنموا من الكل، وكذلك الحال في سائر الفروع.

أما بالنسبه إلى ملأ الفراغ: فإن المؤسسات لها إمكانيات تختلف سعهً وضيقةً حسب قوه وضعف المؤسسة، والغالب أن المؤسسة لا تملأ فراغاتها، ولا تستغل قدراتها، وبذلك تهدر الطاقات، بما لو استغلت أتت بثمار طيبه.

مثلاً إذا كانت المؤسسة تربويه ولها عشره أعضاء كان لأولئك مقدار عشره في المائة من الوجاهه لجمع المال ولجذب الشباب، لكنهم يصرفون خمسه في المائة من تلك الوجاهه، فتبقى الخمسه الباقيه معطله وهكذا.

والقدره على ملأ الفراغ غير أعمال تلك القدره، فاللازم على المؤسسة وضع المنهاج الكامل لاستنفاد تلك القدرات، وملأ فراغ تلك الطاقات، وبذلك تكون المؤسسة آخذة في التقدم والصعود.

ومن المعلوم أن قدره المؤسسة ليست بقدر قدره أفرادها فرداً فرداً، بل تتضاعف القدره أضعاف قدره كل فرد فرد، فإذا كانت قدره عشره أفراد مبعثرين بقدر تربيه مائه فرد _ كل فرد يربى عشره _ كانت قدره العشره المجتمعه

بقدر تربيته خمسمائه فرد مثلاً. ينظرون في عشره صفوف، ويتبادل أفراد المؤسسه في الصفوف المذكوره، حسب المنهاج المدرسى المنظم، وبذلك تكون النتيجة خمسه أضعاف نتيجة الأفراد المبعثرين.

ثم اللازم على القائمين بالمؤسسه، أن يلاحظوا أن لا يتجاوزهم الزمان، فإذا تجاوزهم الزمان يلزم عليهم أن يلائموا مؤسستهم مع الزمان، وإلا كان صرفاً للطاقات البشريه والماديه فى غير موردها، حتى إذا كان الزمان مر بمقدار واحد فى المائه، يلزم اللحوق بالزمان، وإلا- كان هدرأ بمقدار ذلك الواحد، مثلاً مؤسسه للمواصلات بين بلدين تستعمل سيارات كبيره، ثم تغير الزمان وأخذت السيارات الصغيره تستعمل هناك، فإن بقاء المؤسسه على حالتها السابقه لا ينتج إلا هدر طاقات المؤسسه.

أنواع المؤسسات

أنواع المؤسسات

وكل مؤسسه تصنف فى الصنف الذى تعمل لأجله، فالمؤسسه التى تعمل لأجل ترفيع المستوى الثقافى، تصنف فى ضمن المؤسسات الثقافيه، وما تعمل لأجل الوقايه والعلاج، تصنف فى ضمن المؤسسات الصحيحه، وهكذا.

والصعب فى الأمر أن تصنف المؤسسه فى نطاق عمل، بينما هى تعمل لأجل شىء آخر، كما هو الحال فى الأعمال الأمنيه والأحزاب السريه، حيث إن الحزب مثلاً يعمل لأجل تبديل السلطه إلى سلطه ملائمته فى نظر المؤسسه، بينما يضطر أعضاؤها إلى تغطيه أعمالهم بغطاء تجارى أو ثقافى أو ما أشبه، وعلى مثل هذه المؤسسه العمل المضاعف سرأ واقعاً، وعلناً تغطيه.

والمؤسسه:

١: قد تؤسس لأجل التوجه إلى داخلها، مثل العائله، ومؤسسه الرياضه

ص: ٢٩٨

البدنيه، حيث إنهما تتوجهان إلى داخل المؤسسة، ولا هم لهما خارج أفراد العائله، وخارج الأفراد فى المؤسسة الرياضيه.

٢: وقد تؤسس لأجل الخارج، كالمؤسسه الصحيه للأطباء، والمؤسسه الدفاعيه للمحامين، حيث إن ههما علاج الفقراء من المرضى، والدفاع عن المعوزين من المظلومين.

وتقسم المؤسسات إلى ثلاثه أقسام:

(١) المؤسسة الرسميه وهى المؤسسات الحكوميه المرتبطه بإداره البلاد والعباد.

(٢) المؤسسة شبه الرسميه، وهى التى تشترك فيها الحكومه والأهالى.

(٣) المؤسسة غير الرسميه، وهى التى أسسها الأهالى، وهذه الأسماء على هذه المؤسسات اصطلاح، كما هو واضح.

والغالب أن المؤسسات الحكوميه تخلو من العطف والنشاط والحركه الحاره، وذلك لأن الموظفين فى أكثر الأوقات يريدون بالوظيفه المعاش أو المكانه الاجتماعيه التى تحصل لهم بسبب انتسابهم إلى الدوله، وبذلك يتمكنون من نيل مكانه مرموقه بقدر رفعه الوظيفه، ومن تمشيه أمورهم، ولذا لا يهتمون بعد ذلك بالعمل.

وهذا الجمود يكثر فى الحكومات الديكتاتوريه، ويقل فى الحكومات الاستشاريه، حيث تنافس الأحزاب المتصارعه على الحكم، بينما المؤسسات غير الرسميه على العكس من المؤسسات الرسميه، والمؤسسات شبه الرسميه متوسطه بينهما.

وعلاج أن يكون أفراد المؤسسة بالمستوى المطلوب من العمل:

١: وجود الإيمان فى باطن الإنسان، فإن الإيمان من أشد المحفزات للخدمة والعمل والتقدم، ولا يعادله شىء، ولذا كان للمؤمنين بالله واليوم الآخر _ على طول التاريخ _ نشاط وحرارة غريبان.

٢: رقابه الدوله رقابه حكيمه.

٣: رقابه الطرف الآخر من حزب أو مؤسسه أو ما أشبهه، فإن وقوع الإنسان فى التنافس يعطيه دفعا كبيرا.

٤: أن يكون سعى الإنسان لنفسه، سواء من جهه العلم، أو من جهه القدره، أو من جهه المال، أو من جهه الشهرة، أما أن يعمل الإنسان ليكون سعيه فى كيس الدوله كما فى الحكومات الشيوعيه، أو فى كيس الرأسمالي كما فى الحكومات الرأسماليه، فذلك مما يثبط الإنسان عن العمل.

ثم المؤسسسه أما أن تنشأ للعلاقات الأوليه، مثل العائله فإنها مؤسسسه أنشئت من جهه العلاقه الأوليه بين الزوجين والآباء والأولاد، وأما أن تنشأ للعلاقات الثانويه مثل إداره الدوله، حيث إنها تنشأ لا بذاتها، بل باعتبار تنظيم الاجتماع وحفظ العداله، والغالب أن المؤسسسه الأوليه يكون بين أعضائها الحراره والنشاط والحب، بينما المؤسسسه الثانويه يكون بين أعضائها الجمود إلا بقدر ما يفرضه العمل من التبادل والتآلف.

وربما تنشأ فى داخل مؤسسسه ثانويه مؤسسسه أوليه، حيث يكون بين جمله من أعضاء تلك المؤسسسه الثانويه صداقه وتآلف وحب، وفى هذه الصوره تنشأ المؤسسسه الثانويه، حيث إن نشاط المؤسسسه الأوليه التى فى داخلها يبعث على التحرك والاندفاع، ولذا تحاول المؤسسات الثانويه إيجاد هذا النوع من النشاط فى داخلها، بسبب منظمه رياضيه، أو كشافه موسميه، أو

تدريب على الكارثيه والسلاح، أو جعل جوائز فى مجالات تنافسيه، أو نحو ذلك.

ثم المؤسسه:

(١) قد تنشأ لإعطاء الحاجات الأوليه للإنسان، مثل المؤسسات الدينيه، حيث إن الدين فطرى للإنسان، وحتى الذين ينكرون الدين كالطبيعيين فإنما يغيرون الاسم، وإلا فهم يعترفون بدين مبعثه الطبيعه، بينما المتدينون اصطلاحاً كالمسلمين يعترفون بدين ينبعث عن الله سبحانه، ومثل المؤسسات الاقتصاديه ونحوها، حيث إنها تعطى الحاجات الاساسيه للإنسان، ولذا فهذه المؤسسات موجوده حتى فى سكان الكهوف والغابات.

(٢) وقد تنشأ لإعطاء الحاجات الثانويه.

أ: سواء كانت سهيمه فى تقديم الحضاره، كالمؤسسات الثقافيه والصناعيه والأخلاقه والتربويه.

ب: أو لم تكن، كالمؤسسات التى تنشأ لأجل السياحه والسفر والسباحه والفن وما أشبه.

الانشطار والاندماج فى المؤسسه

الانشطار والاندماج فى المؤسسه

وحيث إن الإنسان ذو أبعاد، فالمؤسسه التى تعنى ببعد واحد من أبعاد الإنسان لابد لها من:

(أ) الانشطار حيث ترى الحاجه إلى الاختصاص، مثلاً- المؤسسه الطبيه لعلاج بدن الإنسان، لا- يمر عليها زمان إلا وتنشطرالى مؤسستين، إحداهما للروح والعلاجات النفسيه، والأخرى للجسد، وهكذا المؤسسه الجسديه تنشطر

ص: ٣٠١

إلى مؤسسه للأطفال وأخرى للكبار وهكذا.

ب) والاندماج حيث يدخل الارتباط بعد في الارتباط ببعده الآخر، ففي مثال المؤسسة الطبيه تندمج في مؤسسه الصيدله، لأن الطبيب بحاجه إلى التيقن من الدواء لغرض سلامه المريض، أو تندمج في مؤسسه السياسه، حيث تحتاج المؤسسة إلى من يدافع عن آرائها، وذلك شأن السياسى، مثلاً ترى المؤسسة الاحتياج إلى التعقيمت الصحيه لظهور بواذر الوباء، فإذا لم يكن للمؤسسه جناح سياسى، لم تصل المؤسسة إلى هدفها، فلا بد لها من جعل ذلك الجناح، وهكذا.

نفوذ الطبيه فى المؤسسات

نفوذ الطبيه فى المؤسسات

وحيث إن المؤسسات غالباً بحاجه إلى الحمايه السياسيه وإلى المال، لا لبقائها فقط، بل لنموها وتقدمها، تسرع الطبيه المنحرفه إلى الدخول فى المؤسسات.

وقلنا: (المنحرفه)، لأن التفاوت السليم، وهو ما كان بقدر حق الإنسان، لا خوف منه، بل اللازم وجوده، وإلا كان خلاف إعطاء كل ذى حق حقه.

وأحياناً تتحول المؤسسة التى وضعت لخدمه الناس إلى مؤسسه تكون وبالأعلى الناس، مثلاً جماعه يؤسسون محلات تعاونيه لغرض إيصال البضاعه إلى الناس بالقيمه العادله، وإذا بالرأسماليه المنحرفه تدخل أنفها فى المؤسسة وتتوسع حتى تأخذ المؤسسة بيدها، وتكون المؤسسة حينئذ آله لامتصاص المزيد من أموال الفقراء، لتكون دوله بين الأغنياء.

وكذلك أحياناً تؤسس مؤسسه لتثقيف أولاد الناس، وإذا بالدكتاتوريه تدس أنفها فى المؤسسة، لتحتكرها لأجل دعايتها، ولأجل أن تمتص منها الدم

الجديد، ليكون وقوداً للمزيد من كبت الناس وإرهابهم وتقويه سلطانها.

ولذا يجب على أصحاب المؤسسات الخيرية، أن يهتموا بجعل الشروط والمواثيق لثلاثاً- تنقلب المؤسسه إلى ضد أغراضهم الشريفه.

الفقراء والمؤسسات

الفقراء والمؤسسات

ومع ذلك يبقى شىء، وهو أن الطبقة الفقيره الذين ظلموا بتحالف الدوله مع الرأسماليه، أو باستيلاء الدوله على رأس المال، وفى كلا الحالين أكلت أتعابهم، هى بنفسها تنسحب عن ميدان تأسيس المؤسسات أولاً، وعن ميدان البقاء فى المؤسسات بعد أن أسوها.

وذلك لأن اشتغال هذه الطبقة بأمور معاشها لا يدع لها وقتاً للاشتراك، فلا تؤسس، وإذا أسست تنسحب بسرعته لتملاً مكانها الطبقة الغنيه التى يسير أمر معاشها بيسر، لكن هذا أيضاً تابع لأخذ الفرص من الطبقة الفقيره قبل ذلك.

فالمهم علاج المشكله جذرياً، حتى يكون لكل أتعابه فى جو صالح، فإن العلم والقدره والمال إذا فقدت فى طبقه، ووجدت فى أخرى، كانت الخيرات للثانيه وحرمت منها الأخرى، فإن المؤسسسه تحتاج إلى العلم وإلى القدره وإلى المال، وحيث لم تكن الثلاثه متاحه لكل من يسعى استغلها جماعه، وحرمت منها جماعه، وبذلك يحرمون أيضاً، عن سائر آثار هذه الثلاثه.

هذا من ناحيه، ومن ناحيه أخرى: الطبقة الفقيره لا- تقدر على المؤسسات الرفيعه، مثل المؤسسات الحريه حيث تحتاج إلى السلاح، والمؤسسات الثقافيه حيث تحتاج إلى العلم، والمؤسسات الماليه حيث تحتاج إلى المال، وهذه الطبقة محرومه عن كل ذلك، فإن المؤسسسه لا توضع إلا فى الجو المناسب لها، فمؤسسسه البنوك من نصيب الأغنياء، ومؤسسسه صنع الجامعات

من نصيب كبار المثقفين، ومؤسسه استخراج السلاح وتنظيمه من نصيب كبار العسكريين.

كبر المجتمع يتطلب كثره المؤسسات

كبر المجتمع يتطلب كثره المؤسسات

والمجتمع كلما صار أكبر وصارت حرياته أكثر، صار أكثر تعقيداً، وكلما كثر تعقيد المجتمع احتاج إلى مؤسسات أكثر، فإن المجتمع الحر ينتج ويصنع أكثر، لأن حريه الظهور تفسح أمام الكفاءات، وكلما كان الإنتاج والصناعة أكثر كان التعقيد أكثر.

مثلاً- البلد الذى لا- حريه فيه للثقافه لا- مجله له ولا- صحيفه ولا راديو ولا تلفزيون ولا نوادى ثقافيه، ولا مطابع وما يتبعها، مثل محلات بيع الكتب، والمكتبات، ومعامل التجليد، وهكذا.

أما البلد الذى له هذه الحريه، فتخرج فيها عشره صحف، كل صحيفه تحاول تحسين مطالبها، وتكثير قرائها، فإذا دخلت الصحافه فى حياه البلد كثررت أعمال أهل البلد قراءه وكتابه و...

وبذلك يتعقد الاجتماع، ويحتاج إلى مؤسسات صحافيه، ومؤسسات لحمايه المستهلك عن الأفكار المنحرفه، وعن غلاء الصحف، وهكذا بالنسبه إلى سائر فروع الثقافه، وكذلك فى سائر أقسام الصناعه والإنتاج.

ولهذا السبب لا يكون تعقيد فى الأمم البدائيه، ولا مؤسسات كثيره، بل المؤسسات الواحده كانت تكفى لنجاح عدّه أمور، مثلاً كانت العائله تؤدى التربيه والتعليم، وصنع الغذاء والكساء والمسكن، بل وحتى صنع المركب، حيث كانت لها دواب تتوالد بما يكفى الأولاد فى المستقبل.

وربما يتوهم أن معنى ما ذكرناه مطلق تعقيد الحياه، حتى بالنسبه إلى أشغال الناس فى الدوائر المعينه، فإذا رأوا أن ثبت ملكيه دار يحتاج إلى صرف ساعات من الوقت فى الدوائر، قالوا: إنه من تقدم الحياه الموجب للتعقيد.

لا، ليس الأمر كذلك، فهناك تعقيد ناشئ من جهه الحريه والتقدم، وتعقيد ناشئ من جهه سوء التربيه والغرور والاستغلال، فالتعقيد الملازم للتقدم هو القسم الأول، كما مثلناه فى أمر الثقافه، حيث إن الحاجه الجديده المولوده من التقدم تعقد الحياه بقدرها.

أما القسم الآخر من التعقيد فهو ناشئ عن الأمور الثلاثه:

(١) سوء التربيه، فمثلاً- فى السابق كان يقتنع عند بيع الدار بورقه يكتب عليها اعتراف البائع والمشتري، وشهاده نفرين من أهل المنطقه، أما حيث ساءت النيات وكثر الاحتيال، احتاج الأمر إلى ضبط أكثر، مما أورث تعقيداً جديداً، وعلاج ذلك تحسين التربيه الاجتماعيه، لرد ثقه الناس بعضهم ببعض.

(٢) الغرور، فإن الحكومات الديكتاتوريه تحتاج إلى المصنفين، فيعطون كراسى لمن يصفق لهم، وكل كرسى يزيد الأمر تعقيداً، ولذا أخذت الدوائر تنتفخ بصوره مدهشه، وقد حدد الخبراء احتياج دوله فى العالم الثالث إلى مائتى ألف موظف، بينما كان لها مليون وألف موظف، وقال الخبراء: إنه ما دام أن الرئيس يريد المصنفين، فلا علاج لمرض تضخم الوظائف والموظفين.

(٣) والاستغلال ثالث أئافى التعقيد الفارغ، حيث إن الديكتاتوريين

يحتاجون إلى مال أكثر لإداره أمورهم من ناحيه، وإلى المصنفين الذين هم بحاجة إلى المال أيضاً، ولا يمكن استغلال الناس إلا بالتعقيد وكثره الدوائر، لتتمكن من امتصاص الأموال في اللف والدوران الذي يطوف الدوائر.

وبهذا النوع من التعقيد _ القسم الآخر _ تهدر الأموال والأعمار والكرامات، وهذا النوع من التعقيد يسبب:

أ: تضخم الدوائر المحتاج إليها، أمثال دائره القضاء، ودائره الجبايه، ونحوهما.

ب: إحداث دوائر جديده لا حاجه إليها، أمثال دوائر الكمارك وغيرها.

ج: ثم في الدول الديكتاتوريه، يأتي دور دوائر آخر تزيد الأمور تعقيداً، هي الدوائر المشرفه على أعمال أخذتها الدوله من أيدي الناس بألف حجه مكذوبه، وإنما أخذتها لتزيد من غرورها واستغلالها، أمثال دوائر القطارات والمطارات والمعامل ونحوها.

فإن الدوله الصحيحه هي التي تدع الناس يعملون بقدر طاقاتهم، وإنما شأن الدوله الإشراف لعدم الإجحاف، وتكميل النواقص، مثلاً تحتاج البلاد إلى عشرين مطاراً، وألف مدرسه، فتعلن الدوله أن للناس أن يبنوا تلك ويديروها، بشرط أن لا يجحفوا في أخذ الأجور ونحوها، فإذا لم يقم الناس إلا بصنع عشر مطارات قامت الدوله بصنع الباقي وهكذا.

وبذلك يخف كاهل الدوله، وتشتغل كل الطاقات الممكنه، وتعطى كل حاجات الشعب، بينما الدول الديكتاتوريه تستأثر بكل شيء لنفسها، لملئ غرورها، ولاستغلال الناس أكثر فأكثر، وبذلك تهدر طاقات الناس الخلاقه، وتبقى الحوائج معطله، ويكثر التعقيد، ويزيد الصلف.

ثم حيث إن الطبقة الفقيره تشتغل بأمرور معاشها، ولا- فائض من الوقت والمال لها، ليس لها مجال في بعض المؤسسات أمثال المخيمات الكشافه، والفرق الرياضيه وأمثالها، إلا نادراً، وبالعكس من ذلك فالطبقه الغنيه كثيراً ما يكون فرد منها عضواً في أكثر من مؤسسه، حيث له فائض المال والوقت مما يؤهله لمثل ذلك.

ولا- يخفى أن المؤسسات العامله في خدمه الإنسان، مهما كانت معاييها في الأجواء العالميه المعاصره، فهي أمور حسنه، يلزم الإكثار منها، لأنها تعطى ما لا تعد ولا تحصى من الحاجات، مما لو أغلقت بقيت تلك الحاجات معطله، نعم يلزم تهذيبها حسب القدره.

ص: ٣٠٧

بحوث فى الاقتصاد الاجتماعى

(مسأله ٣١): نلمع فى هذه المسأله إلى أنه كيف بدأ الاقتصاد فى المجتمع، وكيف تطور، ولماذا وجدت المؤسسات الاقتصاديه، وما هى الكيفيه الاقتصاديه فى العصر الحاضر، عصر المعامل والمصانع، ومن أين المشكله، وما هو الحل.

حاجات الإنسان

حاجات الإنسان

طبيعه الإنسان التى خلقها الله سبحانه، فيه الاحتياج إلى الأكل واللباس والمسكن والزواج والعقيده، لأن الإنسان بدون الأكل يموت، واللباس يقيه الحر والبرد، والمسكن يقيه الحيوانات، بالإضافة إلى أنه يقيه الحر والبرد والأعداء... والزواج حاله اندفاعيه فى الإنسان لا يتمكن أن يصبر عليها، والعقيده فطريه، فإنه حيث يرى الكون ينقدح فى ذهنه كيف وجد، ومن أوجده، وإلى ما يكون آخره؟

فمن احتياج الإنسان إلى الأكل نشأ صيده الحيوانات، واقتطافه فواكه الأشجار والأعشاب، ورعيه للحيوانات كالأغنام، وزرعه، ولا فرق بين أن يكون ألهم ذلك، كما يعتقد أهل الأديان، أو تدرج إلى الزرع والرعى، فإنه فى كلا الحالين احتياج فى مأكله إلى كل ذلك.

ومن احتياجه إلى اللباس صنع الجلد والورق والصوف وما أشبه

لباساً.

ومن احتياجه إلى المسكن، اتخذ الكهف والكوخ، وصنع بيوتاً في الغابه، ودوراً من الجلد، والثلج كما في الإسكيمو، كما صنع دوراً من الطين ونحوه.

ونشأ من احتياجها إلى الزواج أحكام بهذا الشأن.

كما نشأ من العقيدة العباده والخضوع لمن رآه إلهاً.

وقد أحدث الإنسان لرفع حاجاته آله الصيد، وآله قطع الأشجار، وآله الطبخ، ووجد السبيل إلى النار، كما أن نزاعه _ وهو طبيعي للإنسان _ هداه إلى آله المحاربه، ومن كل ذلك حدثت أحكام السلم والحرب، وأحكام القضاء، وأحكام التبادل، وأحكام الزواج والطلاق، وأحكام الولاده والموت، وأحكام تقسيم المال لدى الموت.

ومن الاحتياج إلى مسائل الحفظ والدفاع والهجوم وقطع المنازعات وما أشبه، حدثت الحكومه، كما أن من فطره الإنسان الملكيه الخاصه، ولذا حدثت الأحكام الخاصه بذلك.

كما أن سفره وحضره في البر والبحر، هداه إلى تذليل الحيوانات لحمله كالفرس، وصنع السفن، ومن هنا تولدت الموازين الاقتصاديه.

تكامل جوانب الحياه

تكامل جوانب الحياه

وحيث قام الدليل على الإله وأنبيائه (عليهم السلام) فالمتدينون يصدقون بأن الله ألهم أنبياءه (عليهم السلام) كيفيه الحياه وأحكامها، نعم لا شك في حصول التكامل في كل جوانب الحياه حتى وصلت النوبه إلى خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله)، حيث قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁽¹⁾، وحيث لم يكن همّ الأنبياء (عليهم السلام) صنع مواد الحياه اهتموا بالجانب

ص: ٣٠٩

الذى بعثوا له، أى تعليم الإنسان الحياه السعيده فى الدنيا والآخره.

وإنما تكاملت الحياه الاجتماعيه والاقتصاديه و... تدريجاً إلى أن وصلت إلى هذه الحاله التى نشاهدها من الوسائل والأسباب والآلات، أما توهم الإنسان المتسلسل من نسل القرده، وتدرج الحياه على ما ذكره دارون وماركس، فقد قامت الأدله العلميه على أنهما عاريان عن الدليل، بل الأدله الأكيده متوفره على خلافهما.

عصر الآله

عصر الآله

ومنذ قرون قريبه أخذت المعامل والمصانع، ووسائل التجاره تملأ مكان الوسائل السابقه اليدويه وغيرها، وقد هدى الإنسان إلى صنع الوسائل المذكوره من أجزاء لا شيئاً واحداً، لما فى جعلها أجزاء من فوائده، مثل:

١: سهوله صنع الأجزاء وتركيبها، بخلاف صنعها بدنأ واحداً.

٢: واحتياج البدن الواحد إلى أزمنه متطاوله فى صنع كل بدن بدن، بينما يمكن صنع ملايين الأجزاء لألوف الأبدان فى زمان واحد، أو أزمنه قصيره، وذلك بصنع قوالب كثيره للأجزاء، وإفراغ تلك القوالب للأجزاء مره واحده، أو ما أشبه ذلك.

٣: الحمل والنقل للأجزاء سهل، بينما حمل الأبدان _ فى الآلات الكبيره _ صعب جداً.

٤: يمكن تكميل الآله بتكامل أجهزتها، بينما إذا كان لها بدن واحد كان التكميل صعباً وموجباً لتبديل الجهاز.

٥: إذا عطب الجهاز يمكن تبديل ما عطب من أجزائه، أما إذا كان بدنأ

واحداً كان الإصلاح صعباً، أو لم يمكن إصلاحه مما يسبب ضرر المستهلك.

٦: يمكن لمن رأس ماله قليل أن يوجد الأجزاء، بينما إذا كان بدنأ واحداً لم يتمكن من ذلك إلا أصحاب الرأسمال الكبير، أو بالاشتراك فى الأجهزة الكبيره.

٧: لا يتمكن من يصنع الأجزاء من الضغط الاستعماري أو الاستغلالي على المستهلك، حيث تتوفر الأجزاء، بينما إذا كان بدنأ واحداً كان بأيدي قله، مما يمكنهم من الضغط والاستعمار والاستغلال.

٨: إذا عطب الجهاز الكبير بما لا يمكن إصلاحه، يمكن الاستفاده من أجزائه غير المعطوبه، بينما لم يكن الأمر كذلك إذا كان بدنأ واحداً، إلى غيرها من الفوائد.

المعامل تقضى على محوريه العائله والعشيره

المعامل تقضى على محوريه العائله والعشيره

وقبل صنع المعامل كان الاقتصاد _ غير التجارى والزراعى _ يدور حول العائله، حيث إن العائله كانت هى وحده العمل، فهى تغزل، وهى تنسج، وهى تربي الدواجن، وهى تطحن فى المطاحن الحجرية وهكذا.

لكن حيث جاء دور المعمل، تبدل وضع الاقتصاد ووضع العائله، فالاقتصاد تحول من الاقتصاد العائلى إلى الاقتصاد المعملى، والعائله تبدلت من العائله المجتمعه إلى العائله المتفرقه، حيث إن أفرادها أصبحوا مشتتين فى معامل متعدده، وكثيراً لا يرى بعضهم بعضاً إلا بالليل، أو فى كل أسبوع مره، وهكذا.

وكذلك تبدل الوضع فى العشائر للسبب السابق، وبسبب آخر هو أن الولاء فى العشائر كان لشيخ العشيره، حيث إنه المبعث الطبيعى للأولاد

والأحفاد ومن إليهم، فلما كثرت الثقافه من ناحيه، وتفرق أفراد العشيره فى المصانع من ناحيه ثانيه، تحول الولاء من العشيره إلى ولاء النقابه بالنسبه إلى العمال، وإلى ولاء الحزب بالنسبه إلى المثقفين، حيث إن الثقافه لم تدع مجالاً للولاء العشائرى المبني على اللحم والدم، فإن الثقافه مرتبطه بالروح، والروح مقدم على الجسد.

لكن يجب أن يعرف أن التحول المذكور من العائله والعشيره، كان بسبب عدم تمكن الإنسان من استيعاب العلم فى العصر الحاضر، والسبب أن الإنسان خرج عن كونه محوراً، وجعلت ماده بدل الإنسان المحور، وبذلك حرم الإنسان عن دفع العائله ودفع العشيره.

واللازم أن يرجع الإنسان إلى المحوريه، بأن تنظم الحياه على كيفيه إرجاع الإنسان إلى مكانته، وجعل ماده خادمه له، لا العكس، وهو ممكن بأن تجعل الوحده العائليه مرتبطه بالمعمل، مع إعطاء العائله أكبر مهله للاجتماع بتقليص ساعات العمل، وكذلك تجعل الوحده العشائريه مرتبطه بالحزب، وكذلك الأمر بالنسبه إلى النقابه، وبذلك يتنعم الإنسان بالدفع الروحى بالإضافة إلى تنعمه بالماده وخيراتها.

والظاهر أن مثل ذلك غير ممكن ما دامت الرأسماليه تلتهم الطاقات، وتستثمر المساعى، حيث الساعات الطويله للعمل، والأجور الزهيده، ونقص الرأسماليه كلا قسميها الشيوعيه الشرقيه والرأسماليه الغربيه، فإن كليهما تستهلك سعى العاملين، وتستثمر الإنسان تحت أغطيه مختلفه.

الصناعه فى خدمه التجاره والزراعه

الصناعه فى خدمه التجاره والزراعه

ثم إن الصناعه لم تقدم حياه الإنسان فى قسم الصناعات فقط، بل قدمتها

فى قسمى التجاره والزراعه أيضاً، حيث الآلات الحاسبه والتلفونات ووسائل الحمل والنقل وغير ذلك، كما أن وسائل الحرث والزرع والحصاد وما أشبه قدمت الزراعه تقدماً كبيراً، ولذا تهتم الدول بالصناعه قبل اهتمامها بالزراعه، حيث إن الأولى تحسن الثانيه دون العكس.

تحولات عصر الصناعه

تحولات عصر الصناعه

وفى عصر الصناعه حدث تحول كبير:

(١) باندثار الوسائل السابقه، وإخلائها مكانها إلى المعامل الحديثه.

(٢) ظهور مؤسسات جديده، أمثال الشركات والنقابات والبنوك ونحوها.

(٣) ظهور الرأسماليات الكبيره الموجهه للاستغلال والاستعمار.

فإن الرأسماليه المنحرفه سببت استغلال الإنسان، مما سبب ظهور طبقتين حادتين، طبقه الرأسماليين وطبقه الفقراء، وبذلك حدث رد فعل عنيف وخاطى ضد رأس المال، هو ظهور الشيوعيه، حيث أعطت رأس المال بيد الدوله، أى جمعت فى يده خاصه المال والقوه، بعد أن كانت بيد فئتين، وبذلك بلغت مأساه الإنسان إلى أبعد درجه متصوره.

الاستعمار وليد الرأسماليه

الاستعمار وليد الرأسماليه

أما كيف سببت الرأسماليه الاستغلال والاستعمار، فذلك من جهه أنها نفذت فى السياسه والقانون والأحزاب والصحف وما أشبه، فجعلت توجه الحياه حسب ما تشتهى، من بقاء رأس المال المنحرف وزيادته، فلم تجد الطبقة العامله فى الزراعه والصناعه، بل وحتى مثل الموظف والمعلم

ص: ٣١٣

ونحوهما، من ينتصر لها ضد انحراف رأس المال.

كما أن قوه رأس المال سببت قوه السلاح والدعايه وما أشبه، مما وجدت السبيل إلى بلاد الأجنب واستعمارها، من غير فرق فى ذلك بين الرأسماليه المنحرفه الغربيه، والرأسماليه الأ-كثر انحرافاً الشرقيه، وإنما نقول الأكثر انحرافاً، لأن الأولى تغلفت ببعض الحريه، بينما الثانيه رفضت ذلك وتظاهرت بالديكتاتوريه.

الإسلام هو الخلاص

الإسلام هو الخلاص

والطبقه الفقيره _ وهم الأكثرية الكاسحه من البشر _ وكذلك طبقه المستعمره، لا علاج لهم فى التخلص من شرور الرأسماليه بقسميها، ومن شرور الاستعمار الشرقى والغربى، إلا بالمنهج الذى وضعه الإسلام، لا للمال فحسب، بل ولسائر الشؤون.

ومرادنا الآن التكلم فى المال، والمنهج هو:

(١) أن يكون المال بإزاء خمسه أشياء: (العمل الفكرى، والجسدى، والمواد، والعلاقات، وشروط الزمان والمكان)، وبذلك يكون المال بقدر السعى ونحوه، فلا تحدث الرأسماليه الكبيره.

(٢) أن يكون الرأى محترماً، فالحكم وسائر الشؤون بأكثرية الأراء الحره.

وبهذين تختفى الرأسماليه الوالده، والشيعيه الوليده، وتنتهى مأساه البشر من هذه الجبهه.

ضروره التوازن بين المستوى الصناعى والزراعى

ضروره التوازن بين المستوى الصناعى والزراعى

ثم إن تقدم الصناعه أوجب تأخر الزراعه، إذ المعامل جلبت إلى نفسها

ص: ٣١٤

كثيراً من أهل القرى والأرياف، حيث الأجور المترفعه والأتعاب الأقل من أتعاب الزراعة، وحيث إن المدينة تتوفر فيها ما لا يتوفر في القرية من مختلف أسباب الحضاره، وهذا التأخر في الزراعة سبب جوع الإنسان، وقد ذكرت بعض الإحصاءات أن ربع أهل العالم يعيشون جائعين.

ولا علاج لهذا الأمر إلاّ بجعل مستوى الزراعة مساوياً لمستوى الصنائه من جهة الأجور، ومن جهة الجهد، بالإضافة إلى توفير وسائل الحضاره الممكنه في القرية، حتى لا تكون المدينة أرجح من القرية بحد الإغراء، وذلك ممكن بالدعاه لمحاسن القرية التي تفقدها المدينة، و... مما يسبب حفظ التوازن ولو بقدر بين المدينة والقرية.

وإن لم يعالج هذا الأمر علاجاً جذرياً لزيد عدد الجائعين في العالم عاماً بعد عام، فقد دلت الإحصاءات على الانتقال الكبير من القرى والأرياف إلى المدن، حتى أن الصين في عام ١٩٤٠م كان تسعون بالمائه من جمعيتها يسكنون القرى، بينما تبدل ذلك في الحال الحاضر، وفي أمريكا في عام ١٧٩٠م كان سكان القرى والأرياف ما يقارب من سبعة وتسعين في المائه، بينما انعكس الأمر بعد ذلك، وهكذا.

الدين وعصر الآله

الدين وعصر الآله

ثم إنه لما أخذت الصنائه مكان الزراعة والأعمال اليدويه، حدث تحول كبير في العالم المسيحي والبوذي ونحوهما، فإن الناس لما هجروا الأرياف إلى المدن وكثرت الثقافه، نشأ جيل مثقف عرفوا خواء دينهم، وأنه لا يلائم العلم ولا يصلح للحياه، وقد زاد الأمر عرفانهم قضايا محاكم التفتيش وتحالف

الحكام مع علمائهم المنحرفين ضد الناس ونحوها، مما سبب ابتعادهم عن الدين، وحسبانهم أنه خرافة وارتجاع واضطهاد للشعب، وجاءت نظريات دارون وفرويد وماركس ومن أشبههم لتحاول قلع الدين عن جذوره.

وبذلك وقع الإنسان في مشكله لا مثل لها في التاريخ منذ أن حفظ، وقد حاولت الكنيسة رد الاعتبار، لكن عدم انسجامها مع العقل، وعدم وجود برامج عملية لها لتأمين حياة الناس، وجنوحها إلى الفخفخة والأبته حالة دون ذلك، اللهم إلا صورته اعتبار زائف هو إلى الشكليات أقرب منه إلى الحقائق، وزاد الأمر إعضالاً. أن الكنيسة أصبحت طليعه الاستعمار، انظر (التبشير والاستعمار) مما نفر الناس أكثر.

وقد اجتاحت هذه الموجه _ موجه الإلحاد والانحلال _ العالم الإسلامي في حين غفله من الحكام والقاده، فظن بعض المسلمين أن دينهم مثل دين الكنيسة، بينما الإسلام:

١: دين العلم.

٢: وله برامج تقدميه للحياه أبداً.

٣: ولم يكن يصادق الظالمين، بل كان ضدهم على طول تاريخه.

٤: ولم يكن في يوم ما استعمارياً.

وعلى هذا، فاللازم على المفكرين والقاده فرز الحسابات، حتى يعرف المتمردون خطأهم الكبير في اتباع المستعمرين، ويفهموا أن الغرب إنما تحرر نسبياً يوم أن رفض الدين، وأما المسلمون فقد استعبدوا كلياً يوم أن رفضوا الدين، سواء كان الرفض كلياً، أو في الجملة، وإذا عرفوا ذلك رجعوا إلى دينهم الذي فيه سيادتهم وسعادتهم.

ص: ٣١٤

الأخطبوط الرأسمالى يمتد إلى الريف

الأخطبوط الرأسمالى يمتد إلى الريف

ثم إن نظام رأس المال يؤثر فى القرية لأجل ما يلى:

١: تبديل الزراعة الحيويه بالزراعه الاستغلاليه، مثلاً- القرية تزرع القمح لأجل الأكل، لكن رأس المال يريد زراعه القطن لأنه أربح له، وبذلك يجوع الناس ليمتلاً كيس رأس المال.

٢: بيع الصنائع لهم، وجعلهم أسواقاً استهلاكيه، لتقدر على رأس المال الأرباح.

٣: تدويل النقد بينهم، ليستفيد من التلاعب بالنقد، ومن أرباح النقد الذى يوضع فى البنوك، ومن الضرائب التى توضع عليهم، حيث إنه لو لم يتداول بينهم النقد لم يعرف قدر أموالهم، كما لم يستفد رأس المال من الضريبه على بضائعهم لصعوبه تحويل البضائع إلى النقد.

٤: تخليه القرية واستنزاف أهلها، لأجل استخدامهم فى الصناعات، واستثمارهم بأجور هى أقل من حقهم الحقيقى، ولا يهتمهم بعد ذلك أن يفسد الزرع، ويختل التوازن بين القرية والمدينه.

مضاعفات النظام الرأسمالى

مضاعفات النظام الرأسمالى

ثم إن النظام الرأسمالى:

(١) أفسد جو العائله والعشيره.

(٢) وجعل العمل خواءً لا معنى له، ولا اشتياق إليه.

(٣) وسلب العامل حقه.

ص: ٣١٧

٤) وأفسد العلاقة بين العامل والآخر.

٥) كما أفسد العلاقة بين بائع المواد ومشتري البضاعة وبين الرأسمالي.

١: إما افساده جو العائله والعشيره فلما تقدم.

٢: أما جعل العمل خواءً، فلأن العامل في داره أو في معمله الصغير اليدوي ونحوه، كان يرى كل العمل مبدءاً وختاماً، لأنه كان يكمل العمل من أوله إلى آخره وكان في ذلك لذه الإتمام، ولذه السيادة والتسلط على العمل، أما في المعمل الكبير، فقد أصبح العامل لا علاقته له بالعمل، من جهة أنه لا يرى مبدأه ولا منتهاه، وقد صار بعمله الروتين كآله صغيره في المعمل، يلهث ساعات طويله، بلا شوق ولا علاقته.

٣: وأما سلب العامل حقه، فلأن المالك له حقه بقدر الأمور الخمسه السابقه، وباقي الربح حق العمال، بينما العمال لا يتقاضون إلا بقدر لا يكفيهم حتى لأولياتهم، وإنما أتعابهم للرأسمالي، وإلا فمن أين له هذا الثراء الطويل، أما نقابات العمال فلا أثر لها في جو المجلس والحزب والقانون والقضاء، إذ كلها في خدمه الرأسمالي.

٤: وحيث علم العامل بأنه مسلوب الحق فسدت علاقته بالآخر الذي يسلبه حقه.

٥: وأما فساد العلاقة بين الثلاثه، فلأن كل واحد من بائعي المواد ومشتري البضاعة يعلم بغبن الرأسمالي لهما، ولا علاج لهما من جهة تحالف الرأسماليين، في أن لا يشتروا الخام إلا بما يشاؤون، ولا يبيعوا إلا بما يريدون.

وإذا اشتروا الخام من البلد وباعوا البضاعة عليه، كان ضرراً مزدوجاً على البلد، واستغلالاً مزدوجاً للبلد.

والعلاج لكل ذلك: أن يكون للعامل حقه، ولصاحب العمل حقه، ولصاحب المواد والمشتري للبضائع حقهما، وينظم الأمر بحيث يرجع إلى المعمل الحاله الإنسانيه التي كانت للعائله وللمعمل الصغير إبان إنتاجهما، فيما كانا وحده العمل، وبكلمه واحده: أن يمنع الإجحاف، وأن يكون الإنسان المحور بدل أن يكون المحور المال.

وإلا فنظام الرأسمالي الأعم من الشيوعى _ لأنه من أبشع أقسام الرأسماليه _ أوجب المآسى العديده، والتي منها:

١: فقر أكثر سكان المعموره.

٢: والجوع إلى حد الموت لملايين الناس.

٣: والبطاله فى قطاعات كبيره من البشر.

٤: وهدم العائله.

٥: والفساد، حيث تضطر الفقيرات والأولاد الفقراء إلى بيع أبدانهم للذنه من ناحيه، ويفتح الرأسماليون المواخير ومراكز الشذوذ للمزيد من المال من ناحيه أخرى.

٦: والطبقية الحاده فى كل من النظامين الغربى والشرقى.

٧: وإشعال الحروب.

٨: والثورات.

٩: والانقلابات.

١٠: والاستعمار بمختلف أشكاله.

وليست النجاه بما زعمه الغرب من إيجاد النظام الاشتراكى الديمقراطى، كما فعلوا فى اليابان وفرنسا، ولا بما زعمه الشرق من المشى خطوات إلى

ص: ٣١٩

الرأسماليه والحريه، فإن كلا الأمرين لا يقطع جذور المشكله والتي تقدم من أنها الإجحاف، وكون المال المحور، وقد ذكرنا تفصيل جذور المشكله وعلاجها في كتاب: (فقه الاقتصاد) بما لا داعى إلى تكراره.

المنطق الرأسمالى والمنطق الشيوعى

مضاعفات النظام الرأسمالى

أما استدلال الرأسماليين _ بكلا قسميه الغربى والشرقى _ لصحة رأس المال، فلا يعدو أن يكون عدم تقييم للواقع.

فقد استدل الغربيون:

(أ) بأن اختلاف الطبقات من طبيعه الإنسان.

(ب) وأن كثره أموال الرأسماليين هى مقتضى ذكائهم، بينما الطبقة الفقيره لا ذكاء لها مثل أولئك، ولذا تأخروا.

(ج) وأن رأس المال مخزن للأعمال الكبيره، فلو قضى عليه توقف التقدم.

(د) وأنه لو لم يؤذن للرأسمالى أن يسير قدماً، بأن حدد، لم يكن له شوق فيخسر الإنسان طاقاته الخلاقه، ولا يربح بإزاء ذلك شيئاً.

ما استدل الشريون: بأنه لو لم يكن المال: الإنتاج والتوزيع بيد الدوله، تحت ظل حكومه ديكتاتوريه يكون كل الناس عمالاً لها، لاستغل المال الأثرياء، ويكون ذلك بضرر أكثره الشعب.

مناقشه المنطقين

مناقشه المنطقين

وفى كلا الدليلين نظر، إذ:

(أ) ليس اختلاف الطبقات من طبيعه الإنسان، ومن أين يمكن إثبات

ذلك، بل الاختلاف فوق الحق ظلم، وأكل لأموال الناس بالباطل، والظلم خلاف طبيعه الإنسان.

ب) وهل كثره أموال الرأسمالي بقدر ذكائه، إن هذا شيء دل الإحصاء على خلافه، بل الوجدان أيضاً يدل على عدم صحته.

ج) والأعمال الكبيره إنما تقام بالمال لا- برأس المال المنحرف، ويمكن تجميع المال بالشركات التي يساهم فيها أصحاب الحقوق، لا الذين استغلوا أموال الناس تحت رايه رأس المال.

د) وهل يشوق الملايين بإعطائهم حقهم، أو يشوق قله باستغلال سائر الناس، وأيهما أكثر إنتاجاً، وأحمد عاقبه، ثم إذا أعطينا المال بيد الدوله ألم نجمع إلى مآسى الرأسماليه: الاستغلال، مأساه الديكتاتوريه، وأليس هذا الحال كالفرار من الرمضاء إلى النار.

مآخذ على النظامين الغربى والشرقى

مآخذ على النظامين الغربى والشرقى

ومن المآخذ على نظام رأس المال الغربى، ونظام رأس المال الشرقى، أن الأول يوجب الأزمه الاقتصاديه المنتهيه إلى بطاله وجوع كثير من العمال، والثانى يجيع العامل والفلاح دائماً، بدون أن يقدروا على الاعتراض والشكايه.

أ) أما الأزمه، فهى تنشأ من زياده العرض على الطلب، حيث إنه:

١: ليس للأثرياء تخطيط منسق فى الإنتاج.

٢: ولا- نظام صحيح للاقتصاد، بأن يعطى العمال قدر حقهم، فيقوم كل ثرى بإنتاج البضائع، مما يوجب زياده البضائع على الحاجه، وحينذاك ينزل السوق، ويرى الثرى أنه لا فائده من الإنتاج، فيوقف العمل ويترد العمال،

وبذلك تنتشر البطالة، ولا يجد العامل ما يقوت به نفسه وعائلته.

وقد عالج الغرب هذه المشكله علاجاً جانبياً، بإعطاء العمال بسبب النقابات، عند الأزمه شيئاً قليلاً يقيت به نفسه وعائلته، لكن ذلك لا يعالج البطاله، كما لا يعالج هدر الطاقات الإنتاجيه، وربما يعالج ذلك بالتخطيط المنسق للإنتاج، لكن ذلك لا يعالج هدر الطاقات الإنتاجيه أيضاً، إذ الطاقه كبيره، والاحتياج أقل، فإما أن يوزع هدر الطاقات إلى أمد بعيد، وإما أن يجمع هدر الطاقه لأيام الأزمه.

مثلاً إذا كان الاحتياج بقدر سته أشهر من العمل، فالسته الأخرى زائده عن الحاجه، ولا فرق في ذلك بين أن توزع السته الزائده على طول السنه، كأن يعمل في يوم ويترك في يوم، أو يعمل سته أشهر ويترك سته أشهر.

ب) وأما الإجماعه، فإن الشرق جمع بين رأس المال والدوله، وبذلك يستغل العامل والفلاح، بإعطائهم شيئاً قليلاً من إنتاجهم، واستثاره بنفسه لبقية الإنتاج، والشىء القليل لا يكفى لحاجات العمال والفلاحين، وبذلك يجوع العامل والفلاح طول عمره، ولا يقدر حتى على الاعتراض، حيث إن الخصم هو الحكم.

والنتيجه فى النظامين واحد، وإن كان بينهما فرق صورى، فالنظام الرأسمالى الغربى فيه شىء من الحريه الصوريه، وشىء من الشبع فى قبال الإجماعه والبطاله فى أيام الأزمه، والنظام الرأسمالى الشرقى فيه إجماعه دائمه، ودكتاتوريه مطلقه فى قبال عدم البطاله وعدم الأزمه.

جوهر المشكله

جوهر المشكله

وجوهر المشكله فى النظامين:

ص: ٣٢٢

١: عدم إعطاء العامل والفلاح حقهما.

٢: وعدم توزيع المال توزيعاً عادلاً، فالثروه جعلت لكل البشر المعاصر والآتى، بينما النظام الشرقى والغربى يأخذ كل حق الجيل الحاضر وشيئاً كبيراً من حق الجيل الآتى، ثم يصرف بعضاً مما أخذه على الشعب، ويصرف بعضه الآخر فى الفساد والإفساد وبالحرّوب والإسراف ونحوها.

مثلاً أوقف والد بستاناً على أولاده الحاضرين وأولاده الآتين، ولنفرض أنهم عشره أجيال، فى كل جيل عشره، والبستان يعطى فى كل عام ألف دينار، بحيث إذا وزع الناتج توزيعاً عادلاً، كان لكل ولد مائه دينار، إلى آخر الأجيال، فإذا آجر الجيل الأول البستان لمائه سنه، ولنفرض أن عشره أجيال تدوم مائتى سنه، بخمسه آلاف دينار، ثم ثلاثه من الجيل الأول استبد بأربعه آلاف وسبعمائه وتسعين ديناراً، كان معنى ذلك (أولاً) استهلاك هؤلاء الثلاثه حق أربعه أجيال آتية، و(ثانياً) استهلاك هؤلاء الثلاثه بعض حق سبعة من جيلهم، أى أعطى الثلاثه لكل من السبعة: ثلاثين، بينما كان حق كل واحد من السبعة: مائه.

فإذا أردنا العداله فى الثروه يلزم:

(١) أن نلاحظ حق هذا الجيل فى الثروات المختزنه فى الأرض حتى لا يؤخذ أكثر من حقهم تعدياً على حقوق الأجيال الآتية.

(٢) توزع هذه الثروه على النطاق العالمى، لا النطاق القطرى، حتى لا يبقى جائع وفقير.

(٣) يوزع الإنتاج على العامل والمدير وغيرهما، كل بقدر حقه، لا أن يستبد الرأسمالى الغربى والدوله الشرقيه بأكثرية سعى العمال والفلاحين.

ص: ٣٢٣

وعند ذلك لا يكون:

١: فقر.

٢: ولا اسراف.

٣: ولا ظلم الجيل والأجيال.

٤: ولا البطاله.

٥: ولا الأزمه.

٦: ولا فساد، وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى كتاب الاقتصاد.

وهذا الأمر ممكن:

أ: إذا دخل الإيمان بالله والخوف من الحساب القلوب.

ب: واتبع النظام الإسلامى فى المعاملات والانتفاع بالمباحات وفى غيرهما مما يرتبط بالمقام من القوانين الإسلاميه.

قال سبحانه: {خلق لكم} (١).

وقال تعالى: {ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين} (٢).

وقال عز من قائل: {ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشه ضنكاً} (٣).

ولا يخفى أن الضنك لا يصيب الفقراء فقط بذنب الأغنياء، بل يصيب الأغنياء المنحرفين أيضاً الضنك من نوع آخر:

(١) ضنك الفقراء حولهم.

(٢) وذنك السأم، ولذا يكثر فيهم الانتحار، بل قد دلت بعض الإحصاءات

ص: ٣٢٤

١- سورة البقره: الآيه ٢٩.

٢- سورة الإسراء: الآيه ٢٦.

٣- سورة طه: الآيه ١٢٤.

على أن أعداد المنتحرين من أولاد الأثرياء أكثر من أعدادهم من أولاد الفقراء.

(٣) وضنك الكبرياء والغرور، حيث تضيق الأرض عليهم بما رحبت، من جهة المنافسات، ورؤيه النفس فوق مقدارها.

(٤) وضنك الخساره أحياناً.

(٥) وضنك حفظ المال وإنمائه.

(٦) وضنك الضرائب.

(٧) وضنك تشتت العائلة، حيث إن الأغنياء تشتت عائلتهم غالباً، لأن اعتماد كل فرد على العائلة تتحول إلى اعتماده على الشروه.

(٨) وضنك أمراض الأغنياء، أمثال: السمنه وقرحه المعده والسكر والمفاصل والنقرس.

(٩) وضنك اختلال الأولاد، حيث إن إكثارهم من الملدات يؤثر في نسلهم.

(١٠) وضنك إحاطه عداة الفقراء بهم.

هذا بالإضافة إلى: {ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً} قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى} (١).

لكن هذه الأنواع من الضنك، إنما هي إذا لم يؤمن بالله، أو لم يأخذ المال من حله، أو وضعه في غير حله، وإلا كان المال نعمه وأسباب الرفاه، وقد سماه الله سبحانه (خيراً) في آيات متعددة، وفي الشعر المنسوب إلى الإمام (عليه السلام):

ص: ٣٢٥

١- سورة طه: الآية ١٢٤.

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتماعا

وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

ثم إنه قد زعم بعض علماء الاجتماع أن المذهب البروتستانتى إنما ظهر حلاً وسطاً بين الدين المسيحى والمدنيه فى عصر الصنائه ورأس المال، وعلمه بأن مذهب الكاثوليك لم يكن يلائم عصر رأس المال، لأنه لم يكن يبيح الرأسماليه والربا والصنائه.

لكن الاطلاع على تاريخ البروتستانت ينفى ذلك، فإنه ظهر فراراً من احتكار الكاثوليك الدين للأخبار والرهبان، ومن التشديد غير المستند إلى كتابهم الذى كان يمارسه العلماء المسيحيون، ولذا أخذ لوثر فى ترجمه الكتاب وأباحه للكل، خلافاً لتشديد البابا ضده، ثم كان الكاثوليك يبيح الرأسماليه والربا، ولذا كانت أموال الكنيسه تجمع من أمثالهما.

نعم، لا شك أن رأس المال أولد:

١: امتداداً بالصهيونيه.

٢: ورد فعل بالشيوعيه.

وأكثر فجائع العصر الحاضر مستند إلى هذا المثلث: الوالد وولده، وكل الثلاثه مشتركه فى:

(١) امتصاص الثروات.

(٢) الإفساد لها.

(٣) امتصاص أتعاب الناس ببدل أقل من العداله.

(٤) ويتبع ذلك الفقر والمرض والجهل والفوضى، وهدم العائله وإشاعه المفاسد الأخلاقيه، والتأخر للأغلبيه الكاسحه من الناس.

وإن كانت تختلف اختلافاً غير جوهرى، فالشيوعيه أكثر ديكتاتوريه وإجاعه،

ص: ٣٢٤

والرأسماليه أكثر استعماراً واستغلالاً، والصهيونيه أكبر مكرراً وأكثر عنصريه، وحيث ذكرنا فى كتاب (الفقه _ الاقتصاد) أضرار الشيوعيه والرأسماليه، وفى كتاب (هؤلاء اليهود) أخطار الصهيونيه، فلا- حاجه إلى إعاده الكلام حول أضرار الثلاثه، بما هو خارج عن علم الاجتماع الذى بصده هذا الكتاب.

ثم إن بعض علماء الاجتماع الذين تأثروا بالرأسماليه قالوا: إن الأزمه الاقتصاديه كما تقدم تفصيلها، وإن كانت ضاره من جهه، إلا أنها نافعه من جهه أخرى، وهى أنها توجب تصفيه العمال، بإخراج المرضى والشبيه والكسالى وما أشبه، لأنه إذا انتهت الأزمه استرجع أصحاب المعامل الصالحين من العمال فقط.

ويرد على هذا الكلام:

أولاً: إن الأزمه توجب البطاله والتأخر فى المعيشه لعشرات الألوف من الصالحين للعمل، فما ذنب هؤلاء.

وثانياً: إن اللازم سن قانون إحاله غير الصالحين إلى التقاعد، لا الانتظار بهم إلى أيام الأزمه، فما ذنب الشبيه والمرضى حتى يعملوا ويحملوا فوق طاقتهم إلى أيام الأزمه.

الاقتصاد الإسلامى

الاقتصاد الإسلامى

بقى شىء، وهو أن الإسلام له طريق آخر فى الاقتصاد، هو غير الرأسماليه الغريبه والشيوعيه والاشتراكيه والتوزيعيه، وهذه الطريقه مستقاه من الكتاب والسنه والإجماع والعقل، وهى تعطى:

ص: ٣٢٧

١: توزيع الثروه توزيعاً عادلاً، بحيث لا يأكل جيل حق جيل، ولا جماعه حق آخريين من معاصريهم.

٢: عدم اكتساب الثروه بالاستغلال، أو صرفها في ما يضر ويفسد.

٣: عدم بقاء فقر وحاجه معطله.

٤: جعل الثروه لتقدم الكل، وذلك لأنه حيث يكون التوزيع عادلاً: كل بقدر حقه، تظهر الكفاءات الموجهه للتقدم العام.

أما الثروه في الحال الحاضر، فلا توجب إلاّ تقدم الرأسماليين ومن إليهم، أو أعضاء الحزب الشيوعى ومن في فلكتهم، وبذلك بقيت أكثر الكفاءات الإنسانيه معطله.

وكما أنه إذا كان العلم خاصاً بجماعه، يحرم البشر من طاقات الآخريين العلميه الكامنه.

وكما أنه إذا كان الحكم استبدادياً بيد قله، كتبوا الناس فلم تظهر طاقاتهم.

كذلك الثروه، فإنها حيث تكون بيد قله، لا- تظهر الطاقات الكامنه في الآخريين، وفي الحال الحاضر حيث إن كلاً من الحكم والعلم والمال بيد قله من البشر، حرم الإنسان من مواهب كامنه لا تعد ولا تحصى، وضرر ذلك لا يرجع إلى المحرومين فقط، بل إلى الحارمين أيضاً، إذ الاختراع والاكتشاف وأسباب الصحه وغيرها، ليست نصيب بعض البشر، بل نصيب الكل، فما لم يظهر منها يحرم الكل منه.

(مسأله ٣٢): الحكومه عبارته عن الإدارة، صغيره كانت أو كبيره، بدائيه أو معقده، وحتى عائلته تسكن وحدها فى غابه أو كهف، لابد وأن يكون أحد أفرادها بمثابة الحكومه، حيث يفصل النزاع، ويرد المعتدى، ويقضى بين المتنازعين، ويفعل ما يقدم العائله، وهل تفعل الحكومه الكبيره المعقده فى الحال الحاضر إلا تلك الأمور.

نعم الأمم الابتدائيه تحتاج إلى الحكومه احتياجاً أقل من احتياج الأمم المتحضره، وقد ورد فى الأحاديث أن الخليفه كان قبل الخليفه، وفى القرآن الحكيم: {وإذ قال ربك للملائكه إني جاعل فى الأرض خليفه} (١١).

وإنما يكون احتياج الأمم الابتدائيه إلى الحكومه أقل، لأمر:

١: قله الجماعه الابتدائيه، مثل سكان الكهوف والغابات، وجماعات الرعى والصيدان على سيف البحار، وما أشبه ذلك، فإن الجماعه القليله، قليله روابطها ونزاعاتها وآخرين معها، وهكذا.

٢: قله الملكيه وبدائيه التعامل، فإن كثيراً من الأمور المحتاجه إلى الحكومه فى الأمم المتحضره، إنما تنشأ من كثره الملك وكثره التعامل.

٣: وحده الدين والعقيده والفكره فى الأمه البدائيه، فلا اختلاف تنتهى

إلى المنازعه بما تحتاج إلى الحكومه.

٤: كما أن عدم وجود المدينه ونحوها، يقلل من الاحتياج إلى الحكومه، حيث لا نظم فى حاله عدم وجود المدينه، فلا حاجه إلى وجود النظام وحافظ النظام.

الحكومه فى الأمم البدائيه

الحكومه فى الأمم البدائيه

وفى الأمم الابتدائيه، تبتدى الحكومه بكبار القوم، وفى مجلس استشارى، كما كانت (دار الندوه) فى مكه المكرمه كذلك، إلا إذا كانت عشيره واحده مثلاً، فأمر الحكومه منوطه بالكبير، سواء كان كبيراً سنناً وهو الغالب، أو الكبير علماً ونحوه، ولذا كان الكهان والعرافون فى الجاهليه مرجعاً فى المنازعات ونحوها.

والعقاب فى الحكومات البدائيه يشبه العقاب فى الحكومات المتحضره، مع بعض الفوارق، فالضرب والشتم والاستهزاء والطرده والحرمان عن مثل الإرث والمقاطعه، وأحياناً السجن والقتل والمصادره عقوبات بدائيه، كما أنها عقوبات فى العصر الحاضر.

الحكومه فى العصر الحاضر

الحكومه فى العصر الحاضر

والحكومه فى العصر الحاضر، عباره عن مؤسسات متعدده، تحتويها مؤسسه كبيره تنسق بينها، تقوم بالأمور التاليه هى:

١: النظم.

٢: رد اعتداء بعض على بعض.

ص: ٣٣٠

٣: التقدم.

٤: الدفاع.

وهذه الأمور تقوى الحكومه، حيث إن الاجتماع يحس بالاحتياج إلى الحكومه من خلال ممارستها للأمور التاليه أكثر فأكثر، وبالأخص الدفاع فى حال الحرب مع الأعداء، إذ يشعر الاجتماع بالاحتياج الشديد، حيث إنهم يرون أنه لولا الحكومه، يكون كل شئ لهم فى خطر، ولذا يبذل الناس فى حال الحرب ما لا يبذلون فى حال السلم، وقد اشتهر أن (الحرب من جنون التقدم).

الاحتياج إلى الحكومه

الاحتياج إلى الحكومه

ومما تقدم يظهر الاحتياج إلى الحكومه على كل حال، لا أنها من ولائد الملكيه الشخصيه، كما يقوله الماركسيون، إذ قد عرفت الدليل على خلاف كلماتهم، وقولهم هذا يشبه قول فرويد من أن أساس الحكومه القضيه الجنسيه، وقول ثالث أن أساسها حب الاستيلاء والشهره.

وبذلك يظهر اعتباطيه أن الملك الخصوصى يسبب تقسيم الاجتماع إلى طبقتين، طبقه الأثرياء، وطبقه الفقراء، وأن الأولين يوجدون الحكومه لأجل حفظ أملاكهم، ولأجل استغلال الأخرين، ولأجل تحطيم المقاومه التى يبديها الآخرون رغبه فى التخلص من نير الأولين.

ثم إنه قد تصطلح (الدوله) مرادفه للحكومه، وقد تستعمل عبارته عن الأعم من الحكومه، حيث تشمل الدوله: الأمه والأرض والطبقه الحاكمه، فإذا لم تكن أرض أو أمه أو طبقه حاكمه لا تسمى دوله.

ص: ٣٣١

أسباب تعقد الحكومه فى العصر الحاضر

ثم إن الحكومه فى العصر الحاضر، صارت أصعب من الحكومه فى العصر السابق، لأمرين:

١: للصناعه وكثره النفوس.

٢: للصلف والغرور.

بيان ذلك: إن الصناعه أوجبت كثره الحاجات، والحاجه تحتاج إلى تمهيد السبيل والنظم والتنسيق وما أشبه، مثلاً سفر الإنسان فى الحال الحاضر، صار أضعاف سفره فى زمان الدواب. والسياره والطائره والقطار والفندق وما أشبه صارت بكثره هائله، وكل تلك الكثره بحاجه إلى النظم وفتح الطريق أمامها، بصنع المطارات والمحطات والكراجات والفنادق وأنظمه المرور وأنظمه المنازعات المرتبطه بها وغير ذلك.

وكثره الجمعيه أوجبت مشاكل جديده، حيث يلزم فتح الطرق، وتهيئه الوسائل مثل المدارس والمصحات ودور العجزه وما أشبه، مثلاً إذا كانت مدينه فيها مائه ألف بحاجه إلى عشر طرق عامه، كل طريق بعرض خمسين ذراعاً، فإذا ارتفعت نفوس المدينه إلى خمسمائه ألف احتاجت إلى خمسه أضعاف ذلك طرقاتاً وسعاً، وهكذا الكلام فى المدارس وغيرها.

أما الصلف، فلأن الحكومات أخذت تحد من الحريات، وتريد التوسعه، وتريد المصنفين، وبذلك أوجبت لأنفسها مشاكل معقده، حيث دست أنفها فى كل شىء، ولم تترك الناس يعملون كما يشاؤون، وتكون الدوله رقيه عليهم فقط، وإدارتها الاستعماريه والاستغلاليه أوجبت لها مشاكل جدد.

كما أن توظيف المصنفين أوجب مشاكل أيضاً، مشكله كون الوظيفه غطاءً، ومشكله تحصيل

المال لأجلهم، ومشكله إدارتهم، وإلى آخرها.

بينما الحكومه إذا عقلت ورجعت إلى وظيفتها الحقيقيه، من الأمور الأربعة المتقدمه، لم تتعقد إلا ثلث التعقد الحالى، حيث إن نصف تعقدها بسبب الصناعه والجمعيه يزول، وكل تعقدها بسبب الصلف يزول، وذلك لأن إعطاء حريه الثقافه والصناعه والزراعه والتجاره وما أشبه للناس يرفع عن كاهل الحكومه مشكلات كبيره، فالناس بينون المدارس والمستشفيات والمصانع والمطارات وغيرها، لكن الحكومه تشرف لعدم إجحاف أصحاب تلك الأمور على الناس.

فأى لزوم لأن تكون هذه الأمور تابعه للدوله، بل إذا أعطيت الحريه للناس فى هذه الأمور، استفاد الاجتماع فوائد جمه، هى:

١: ظهور الكفاءات والطاقات الكامنه.

٢: العمل الدائب، حيث إنه فرق بين الموظف الذى لا يعمل إلا بقدر الواجب ببلاده وجموده، وبين من يركض لنفسه ليل نهار.

٣: وصول الحاجات إلى كل الناس، حيث التنافس الحر بين التجار وأصحاب تلك المشاريع، لأن كلاً يريد فتح السوق لنفسه.

٤: قله الأثمان وما أشبه، للتنافس الحر أيضاً.

٥: عدم بقاء الأيدى العاطله، فتختفى البطاله، ولا يخفى ما فى ذلك من الفوائد.

٦: عدم نظر المجتمع إلى الدوله بكراهيه، حيث لم تحدد الدوله حرياتهم وطاقاتهم.

٧: عدم وجود الطبقيه الحاده.

ص: ٣٣٣

٨: عدم توتر الاجتماع بالمظاهرات والإضرابات.

٩: اختفاء الأمية والمرض والجهل والجريمة، وذلك لأن الاجتماع بكلمة يركض لإصلاح نفسه، ووصولها إلى أقل قدر ممكن.

وبذلك يظهر أن تحويل كل الأمور من أيدي الناس إلى أيدي الدولة، كما يفعله الماركسيون، أو تحويل بعض الأمور إلى يد الدولة، كما يفعله الرأسماليون خطأً، وعليه فاللزام على الدولة أن تكون المراقب لا المباشرة، نعم إذا بقي فراغ سدته الدولة، وبذلك تريح وتستريح.

لا لتكثير الدوائر

لا لتكثير الدوائر

فما اتخذتها الدول الحديثه من تكثير الدوائر، والتدخل في كل الشؤون سببت مشكلات جمه منها:

(١) تعقد الأمور.

(٢) تجميد الطاقات، لما تقدم من أن من طبيعه الموظف الجمود.

(٣) الإضرار بالاقتصاد.

(٤) خنق الحريات والكفاءات.

(٥) الروتين القاتل للطاقات.

أما تعقد الأمور، فلأن كثيراً من الأشياء احتاجت إلى تقرير الدوله لها، بينما لم تكن في السابق كذلك، مثلاً السفر بالطائره والقطار أو ما أشبه احتاج إلى إجازة الدوله، بينما السفر بالدواب لم يكن كذلك، والبناء احتاج إلى إجازة الدوله، بينما لم يكن في السابق كذلك.

وأما تجمد الطاقات، فلأن هؤلاء الموظفين كان عليهم أن يسعوا في تكثير الإنتاج أو الثقافه أو العلاج _ بأن يكونوا أطباء _ وهكذا، والآن هم

ص: ٣٣٤

جمدوا فى إداره وظائف الدوله، وأمامى تقرير يقول:

إن موظفى أمريكا فى عام ١٩٥٠م (١١)، كانوا (١/١) مليون، بينما ارتفعوا فى عام ١٩٥٥م (٤/٧)، إنه لا شك أن بعضهم زادوا لزياده الجمعيه، أو لأجل تقدم الصناعه، أما الكثره من الزائد فليسوا إلا لأجل الصلف والغرور.

وأما الإضرار بالاقتصاد، فلأن المنتج صار مستهلكاً، حيث إن الموظف منتج بطبعه، أما إذا صار موظفاً فقد تحول إلى مستهلك.

وأما خنق الحريات وتجميد الكفاءات، فلأن الوقت الذى يصرفه الشعب فى تحصيل الإجازة للسفر والإقامه والبناء والعمل والزراعه والصناعه والتجاره وغيرها _ بينما يلزم أن تكون كلها حره، كسائر الأعمال الحره _ خنق لحرية، بالإضافة إلى كونه ضرراً باقتصاديات البلاد، حيث إن هذه الأوقات يجب أن تصرف فى الإنتاج، بالإضافة إلى أن الذهاب إلى الدوائر ومصارف الدائره والرجوع إلى البيت وما أشبه، كلها تلتهم المال.

ثم إن الدوله لا تأذن لبعض الطالبين بأن يتاجر أو يزارع أو ما أشبه ذلك، لعدم توفر الشروط القانونيه، الموضوعه صلفاً لا بحق، وذلك تجميد لطاقت كثيره فى الأمه، حيث إنه إذا كانت الحريات، تفتقت تلك الطاقات عن مواهب كامنه، واكتشافات انتفع بها البشر.

والروتين أو كتابنا وكتابكم، حيث تحول هذه الدائره المراجع إلى دائره أخرى، وهلم جراً، شىء يوجب السأم، وبلاده العمل، والتضجر من

ص: ٣٣٥

١- حيث إن التاريخ المدون فى الكتب التى نقلت منها هذه الاحصائيات هو تاريخ ميلادى، ولعدم إمكان تطبيق ذلك على التاريخ الهجرى لعدم ذكر الأشهر غالباً، لذلك تركنا التاريخ كما هو. منه (دام ظله).

الدولة، فبينما وضعت الدولة لتخدم الناس، صارت تستخدم الناس، وبينما وضعت لحل المشكلات، صارت تزيد المشكلات، وتعقد المشكلات، وهكذا.

وربما يقال: إن تعقيد الأمور للوقايه، والوقايه خير من العلاج.

وفيه: إنه هل تمنع الدولة الناس ليلاً من التجول إلا من حصل على الإجازة، أو تبيح التجول كما هو الحق الطبيعي للإنسان، وإذا سرق سارق أو ما أشبه عاقبته على سرقة؟

إن الفرق بين إعطاء الحرية وعلاج الفساد، وعدم إعطاء الحرية خوفاً من الفساد، كالمثال الذي ذكرناه.

اعتذارات زائفه

اعتذارات زائفه

ومما تقدم ظهر زيف اعتذار الدول الحاضره، عن كثره موظفيها:

١: بكثره الجمعيه.

٢: وبمعطيات الصنعا، مثلاً السياره تحتاج إلى قوانين المرور، وهى بحاجة إلى موظفين، وهكذا التلغراف والتلفون وغيرها.

٣: وبالمظاهرات وبالاضرابات التى واكبت الحرية الحديثه بسبب الديمقراطيه، حيث إنها تحتاج إلى العلاج، وذلك لا يمكن إلا بالموظفين.

٤: وبأن هدم النظام بالانقلابات العسكريه وما أشبه صار كثيراً، ولذا نجد الانقلابات فى كثير من البلاد، فالدوله مضطره لحفظ الأمن بواسطه أجهزه كثيره.

٥: وبكثره الجريمه من السطو والاختطاف والقتل وما أشبه، وذلك بحاجة إلى أجهزه جديده للحيلولة دونها، بالإضافة إلى تكثير أجهزه القضاء للعقاب والفصل.

ص: ٣٣٦

٦: بأنها لتسهيل الحياه، أمثال: شركات التأمين، مما لم تكن سابقاً، وهي أيضاً بحاجة إلى موظفين لضبطها وتطبيق القوانين عليها.

وجه الزيف:

أ) إن كثره الجمعيه وتقدم الصناعه، وإن كانا بحاجة إلى موظفين، إلا أن سهوله الحياه بسبب معطيات الصناعه قللت من الموظفين، فإذا لوحظت تلك الزيادة بنسبه هذه القله، صار الفارق صفراً، أو دون الصفر، حيث إن الاحتياج إلى زياده عشره، بينما الاستغناء عن اثني عشر مثلاً، مما يلزم أن نستغنى عن بعض الموظفين الذين كنا سابقاً قبل الصناعه وكثره الجمعيه _ بحاجة إليهم.

مثلاً قبل عصر السياره، كان البلد الذي نفوسه مائه ألف، بحاجة إلى مائه كناس للبلديه، أما بعد صنع سيارات الكنس، صار البلد الذي نفوسه مائتا ألف بحاجة إلى عشره كناسين فقط، حيث تسرع سيارات الكنس في تنظيف المدينه، وكذا بالنسبه إلى إناره المدينه، وإيصال الماء إليها، ونحو ذلك حيث إن ماكنه الكهرباء والماء أغنتا عن جمله من الموظفين، وكذلك بالنسبه إلى سيارات النجده، والأفراس الدوريه سابقاً، وهكذا.

إذاً: فلنجعل الاستغناء بالآله مكان الاحتياج لأجل الآله، وحينذاك يظهر أن الاستغناء يأخذ رقعه أكبر _ في خريطة الموظفين _ من الاحتياج.

ب) والمظاهرات والإضرابات، إنما هي بسبب ظلم الحكومات، إما بعدم إعطاء الناس حقهم في الحوائج، وإما في الآراء، بعدم إعطاء الحريه للاشتراك في الانتخابات، حيث قله يستبدون بالحكم، وهو ظلم لآراء الآخرين، سواء كان الاستبداد علنياً، كحكومات الشيوعيين والانقلابيين والوراثيين، أو مغلفاً كالغالب في الديمقراطيين، فاللازم دفع الحيف، لا- إبقاؤه وتكثير الموظفين لأجل قمع طلاب العداله.

ص: ٣٣٧

ج) وأما التطلع إلى هدم النظام، فذلك إما للظلم وهو الغالب، كما تقدم في بند (ب)، وإما لحب السلطه، فذلك موجود وإن لم يكن ظلم، لكن الثاني لا يوجد إلا في قله، ومن الممكن علاج أولئك القله بما يعالج به سائر المجرمين، وذلك لا يحتاج إلى زياده موظفين.

ولهذا الذى ذكرناه من أن الغالب كون الانقلاب لأجل الظلم، ترى كثره الانقلابات، أو محاولاتها فى البلاد التى هى أقرب إلى الظلم، وأبعد عن العدالة الاجتماعيه.

ولا يخفى أن الانقلابات العسكريه التى رأيناها منذ ثلاثين سنه، لم يكن حتى واحده منها نابعه من ذات البلاد، بل كانت انقلابات شرقيه أو غربيه أو مزدوجه، وكلها أتت بالأسوأ مما قبل الانقلاب، حيث إن الاستعمار أحكم قبضته على البلاد أكثر فأكثر، والانقلاب العسكري مهما برر له أصحاب الانقلاب، لا يوافق ديناً ولا عقلاً، إذ كيف يتسلط جماعه من أصحاب الدبابات على الأمم بدون رضاها واستشارتها، بينما الحكم عقلاً وشرعاً يجب أن يكون مستنداً إلى اختيار الأمم، فى غير الأنبياء والأئمه (عليهم السلام) حيث إن هناك اختيار الله تعالى، وليس لإنسان الخيره إذا قضى الله أمراً.

ثم كيف تعترف الدول بالحاكم الجديد، أليس ذلك لأن الغرب والشرق قسموا العالم، فإذا حدث انقلاب من أحدهما، تحت قفاز الجيش وما أشبه اعترفوا به، لأنه فى فلكهم، ونصبوه ليحمى مصالحهم، وهل يقر الشرق والغرب بأن ينصب إنسان معلماً فى مدرسه ليدرس أربعين طفلاً بدون سوابق واختبارات وما أشبه، فإن قالوا: نعم، أجيب: بأن قوانين التعليم فى كل العالم لا يسمح بذلك، وان قالوا: لا، يقال: فكيف لا يسمح ذلك لمعلم أربعين طفلاً، ويسمح ذلك لحاكم عشرات الملايين أحياناً، أليس ذلك دليلاً

على مؤامره العالمين، ومن فى فلكهما ضد شعوب العالم الثالث.

والمشكلة لم تنشأ من الخارج، وإنما من داخل بلاد العالم الثالث، والتي منه العالم الإسلامى، وهى عدم الوعى، فلماذا يسلم ملايين الناس أنفسهم لحفنه عسكريين، لا يتجاوزون أحياناً بضعة ألوف، بل أقل، ولماذا لا يتساءل العالم نفسه: لماذا لا يحدث انقلاب فى أمريكا وبريطانيا وفرنسا و...، بل وحتى فى إسرائيل ذات الملايين القليله؟

هل لأن هناك لا أطماع لأعدائهم، أو لأنه لا مغامرين يحبون الحكم، أو لوعى تلك الأمم ضد مثل هذا الشىء، حتى إذا غامرت جماعه واستندت إلى مؤامره أعدائهم رفضتها شعوبهم، وقدموا الانقلابيين إلى المحاكم، حتى يحكم عليهم بمثل ما يحكم على قطاع الطرق والسلايين.

ومشكلة الاستعمار المستغل، ومشكلة المغامرين المتآمرين مع الاستعمار ستبقى فى العالم الثالث، إلى أن يحصل الوعى لشعوب هذا العالم، ويكون الحكم فيه تبعاً للانتخابات الحره، فى إطار الشروط المقبوله للحاكم، والتي منها استجماعه لشرائط الإسلام فى العالم الإسلامى، وسندكر فى آخر هذه المسأله كيفيه إعادته الحكم الإسلامى إلى بلاد الإسلام بإذن الله تعالى.

(د) وأما كثره الجريمه، فهى تابعه لأمر:

١: عدم الإيمان الرادع الداخلى للإنسان عن الجريمه.

٢: الحرمان، مثل الفقر الموجب للمرض والجهل وعدم الزواج وما أشبه.

٣: المغريات الموجبه لسهوله ارتكاب الجريمه.

٤: تمكن الانفلات من العقاب، لما فى المحاكم من الالتواءات

ص: ٣٣٩

والمنعطفات، والجريمه ستبقى بل تزداد ما دامت هذه العوامل باقيه، سواء كثر الموظفون أم لا، فالمهم إصلاح الجذور، لا قطع الفروع، فهو كمستنقع يعطى الأمراض والجراثيم، فليس الحل تكثير الأطباء وتوفير الأدوية، وإنما الحل علاج المستنقع.

هـ) ويبقى أخيراً، أمثال التأمين والبنوك وما أشبهه، مما حدثت في العصر الحاضر.

وفيه: إنه لماذا الحكومات تستولى على مثل هذه الشؤون حتى تحتاج إلى كثره الموظفين، ألم يكن من الأفضل أن تكون هي بأيدي الناس، مع رقابه الدوله حتى لا يجحفوا، كما ذكرناه في السابق.

طريق الخلاص

طريق الخلاص

وعلى هذا، فاللازم على الشعوب الواعيه أن تضع البرامج الصحيحه لأجل إنقاذ أنفسها عن هذا الاختلال في ميزان الحكومات، بأن يقلل من الموظفين حتى يصلوا إلى الحد اللازم، وينقلوا البقيه إلى القطاعات العامه، ويجعل هذا التعديل تدريجاً في مده مناسبه، لئلا يختل التوازن.

فتشكل لجان خاصه في كل وزاره ووزاره، لأجل ملاحظه الفائض من الموظفين، وملاحظه الحريات المهدوره للناس، فتعطى للناس الحريات، وبقدره يسحب الموظف المرتبط بتلك الحريه المهدوره، مع جعل ذلك الموظف في شأن يناسبه لئلا يبقى عاطلاً.

مثلاً بيع المطارات للناس، مع اشتراط عدم إجحاف المشترين على الناس الذين يريدون السفر، وجعل مراقب في الدوله لذلك، وموظفو المطارات إن شأؤوا وشاء المشترون بقوا على أعمالهم، لكن العمل حينئذ للناس، وإلا وجدوا لهم عملاً مناسباً، ولو

مستقلاً كترتبه الدواجن، وإذا لم يكن للموظف رأس مال لذلك، أعطته الحكومه قرضاً لمدته معقوله حتى يسدده أقساطاً في تلك المده، وهكذا.

ويجب أن لا- يخدع الإنسان بأن زياده الدوائر، وزياده الموظفين تحول الدوله من الدوله السياسيهاالى الدوله الانتاجيه، وهى تحول ضرورى، إذا أردنا دفع الاميه، وايصال العلاج إلى كل الشعب، وتحسين معيشه الفقراء و... إذ هذا الكلام صرف خيال لا واقع له، فإن زياده الموظفين والدوائر قد عرفت مفاستها، وتسميه الدوله [بالانتاجيه] لا تغير من الواقع شيئاً.

نعم الدوله فى حاله الحرب تحتاج إلى تحديد معتدل من حريات الناس، لأجل إداره الحرب، كما أنها كذلك فى حاله الطوارئ، كالأمراض والزلازل ونحوهما، والضرورات تقدر بقدرها، كما أنها فى حاله السلم بحاجة إلى وزاره الحرب بقدر ما يحفظ السلام، واستعداداً لحرب ممكنه، ولكن هذا أيضاً غير تكثير الدوائر والموظفين بصوره مطلقه، مما استدل به أنصار زياده الدوائر والموظفين.

والحاصل: إن هذا الدليل الثانى، والدليل الأول _ الحكومه الإنتاجيه _ أخص من المدعى.

وعلى ما ذكرناه، فاللازم أن يجعل الأصل الحريه للشعب، ثم يجعل تقليل هذه الحريه بقدر الضروره، لا أن يجعل الأصل الحكومه الإنتاجيه وتمنح بقيه الحريات للناس.

واللازم على الشعوب التى تتمتع ببعض الحريات:

(١) استرداد بقيه حرياتها عن دولها، وفى المثل: (الحق يؤخذ ولا يعطى)،

وقد قال علي (عليه السلام): «لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حراً» (١).

٢) الاهتمام لإسقاط الديكتاتورية في سائر الحكومات، لتقوم مقامها الحكومات الاستشارية، كما أسقطت الشعوب ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية وروسيا الستالينية، و:

أ: سواء كانت الدولة ديكتاتورية بحتة كروسيا.

ب: أو دكتاتورية نصفية، وهي التي فيها انتخابات، ولكن رئيس الدولة يبقى رئيساً، بأى اسم كان، ويعين من بعده خليفته، ولو كان ذلك تحت أغطيه براقه.

ج: أو ديكتاتورية مغلفه بالجماعات الضاغطة، والدعاية العريضة، وتدخل رأس المال ونحوها، مما تحرف إرادة الناس في الانتخابات بإيجاد الأجواء المكذوبه، ولو تبدلت الحكومه من أعلى رئيس فيها كأمریکا.

كيفية إنقاذ المسلمين

كيفية إنقاذ المسلمين

وأخيراً، فإن كيفية نجاه المسلمين بإيجاد حكومه واحده لهم، تكون بالاختيار الحر لرئيسها المرضي لله، ويكون الأحكام إسلاميه بحته، ليعيش المسلمون تحت ظلها في أمن ورفاه وسياده وتقدم، هي:

١: بالتنظيم الإسلامي العالمى، سواء في بلاد الإسلام أو غيرها، ولعل ما يحتاج إليه من التنظيم في إقامه مثل هذه الحكومه هو عشرون مليون منظم، يدخل فيه مختلف الأحزاب والتنظيمات الإسلاميه الحالیه، كأجنحه عامله لأجل ذلك الهدف السامى المتفق عليه.

ص: ٣٤٢

٢: بالتوعية الإسلاميه العالميه، توعيه سياسيه اقتصاديه اجتماعيه إيجاباً، و ضد الاستعماريه والتجزئيه سلباً.

٣: بالسلم فى الحركه، حتى يمكن أخذ الزمام، قال سبحانه: {ادخلوا فى السلم كافة} (١)، وقال تعالى: {كفوا أيديكم وأقيموا الصلاه} (٢).

٤: بالجماهيريه، بأن لا يصبح التنظيم صنماً، وإلا كان ذلك يساوق سقوطه.

٥: بالاستغناء عن البضائع والأفكار الشرقيه والغربيه، كل ذلك وإن طالت المده، والله الموفق المستعان.

كيفيه التوعيه والتنظيم

كيفيه إنقاذ المسلمين

ثم إن كيفيه الشروع فى التوعيه والتنظيم أن تشكل نواه مركزيه مهمتها الأمران المذكوران، فتبعث إلى العالم ما لا يقل من ألف عضو، لينظم كل فى محله تنظيمياً لأجل الحكومه الإسلاميه الواحده، بعد تربيته النواه لأولئك الأعضاء تربيته خلقيه وعمليه، فيشرع كل فرد فى إنماء نفسه بضم أعضاء آخرين إليه.

أما التوعيه فهى بفتح ما لا يقل من مائه مجله ومائه مكتبه، لكل مكتبه ما لا يقل من مائه ممثل، يكون جميعهم عشره آلاف مركز لبيع الكتب المعنيه بهذا الأمر، واللازم أن تتواجد فى كل مكتبه من الأصول والممثلات،

ص: ٣٤٣

١- سوره البقره: الآيه ٢٠٨.

٢- سوره النساء: الآيه ٧٧.

كتب الاقتصاد والسياسه والاجتماع، والكتب ضد التخلف والاستعمار، وبذلك ينمو الوعي تدريجاً.

وإلى جانب كل ذلك، تكون من مهمه الأعضاء، استدراج الأحزاب والمنظمات والجمعيات والصحف والمكتبات وسائر وسائل الإعلام والمفكرين إلى هذه الفكره، حتى يجمع الكل فى شلال واحد.

وإنما شرطنا (السلم) فى الحركه، لأن العالم المدجج بالسلاح لا يمكن للتنظيم المذكور أن يقابله بالسلاح، إذ عدم وجود السلاح فى الطرفين بنسبه متعادلله، يوجب سقوط ذلك التنظيم.

كما أن اشتراط (الجماهيريه) لأجل أن لا يصبح التنظيم صنماً يوالى ويعادى فى سبيل التنظيم مما يفقده الجماهيريه، وكل حركه لا تسندها الجماهير خليفه بأن لا تكون حتى جمعيه خيريه كبيره.

ولقد كان من أسباب سقوط غالب الحركات الإسلاميه _ أى عدم وصولها إلى الحكم مع أنها تعمل زهاء نصف قرن أو أكثر _ الصنميه، مما أخاف الجماهير من وصولهم إلى الحكم، فحاولوا بينهم وبينه بمختلف الوسائل.

وإننا نرى أن حركه الأنبياء (عليهم السلام) كانت تتسم بالسلم والجماهيريه، حيث إنهم كانوا يسالمون حتى وهم فى أوج قدرتهم، كما فعله الرسول (صلى الله عليه وآله) عند فتح مكه وغيره، إلا لدى قصوى حالات الاضطرار، وكذلك فعله على (عليه السلام) بعد أن ظفر بأصحاب الجمل والنهروان، كما أن الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يقبلون حتى الأراذل، فى اصطلاح الكفار والمنافقين.

أولاً: لاستدراجهم إلى الطريق السوى.

وثانياً: لاكتساب الجماهيريه، فهل الأفضل أن يعاديك إنسان ظاهراً

وباطناً، أو باطناً فقط، أما قوله سبحانه: {هم العدو} (١) و{فى الدرك الأسفل} (٢) فالمراد الكشف عن الحقائق، وأن لا يخدع الإنسان بظاهر المنافق، لأن أن يطرده.

التنظيم الإسلامى وعوامل الاستقطاب

التنظيم الإسلامى وعوامل الاستقطاب

واللازم على التنظيم الإسلامى أن يكون مغرباً، يأتى علماً وعملاً بما يسبق العالم، وإلا فالناس لا يتركون ما هم فيه من الرفاه إلى الأسوأ بنظرهم، وكذلك فعله الرسول (صلى الله عليه وآله)، حيث أعطى العلم والألفه والرفاه والسياده والحرية لعالم كان غارقاً فى الجهل والانشقاق وصعوبه العيش، واستعباد طبقه لجماهير الناس، ولذا أقبلوا إليه (صلى الله عليه وآله) فى وقت قصير.

ولذا فاللازم أن يعطى التنظيم الإسلامى فى العصر الحاضر ما يفقده العالم المتحضر، من حرية الإنسان، وكون عمل كل إنسان لنفسه، والأخوه لكافه بنى الإنسان.

فإن من طبيعه الناس أن لا ينضوا تحت لواء المتعجرفين الذين يجعلون آراءهم فوق آراء الآخرين، والذين يصعبون الحياه على الناس.

ولذا قال سبحانه: {يريد الله بكم اليسر} (٣).

وقال تعالى: {و شاورهم فى الأمر} (٤).

وقال عز شأنه: {فبما رحمه من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا

ص: ٣٤٥

١- سورة المنافقون: الآية ٤.

٢- سورة النساء: الآية ١٤٥.

٣- سورة البقره: الآية ١٨٥.

٤- سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

من حولك} (١).

وفى دعاء الإمام السجاد (عليه السلام): «اللهم سددنى لأمن أعارض من غشنى بالنصح، وأجزى من هجرنى بالبر، وأثيب من حرمنى بالبذل، وأكافئ من قطعنى بالصله، وأخالف من اغتابنى إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنه، وأغضى عن السيئه» (٢).

واللازم أن يكون هذا المنهج، هو منهج التنظيم كتابهً وقولاً وعملاً، إذ لا يكفى أن يقول الإنسان للناس كونوا كذا، أو أن يكتب فى كتبه حسن منهجه، ثم يكون عمله خلاف ذلك، فإن الإنسان يُقاس قوله بعمله، ولذا ورد فى الحديث: «كونوا دعاه الناس بغير ألسنتكم» (٣).

وقال (عليه السلام): «لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له، الناهين عن المنكر العاملين به» (٤).

وقبل ذلك قال القرآن الحكيم: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} (٥).

كيف يتم تأمين البعد المالى؟

التنظيم الإسلامى وعوامل الاستقطاب

يبقى السؤال فى أنه من أين هذا القدر الكبير من المال، لإداره ولو مقدمه التنظيم والوعى، أى ألف شخص، ومائه مجله، وعشره آلاف ممثليه، والارتباط بالإعلام والمفكرين.

والجواب: إن الأمر تدريجى تصاعدى، والمال فى البلاد الإسلاميه

ص: ٣٤٦

١- سورة آل عمران: الآيه ١٥٩.

٢- الصحيفه السجديه: دعاء مكارم الأخلاق.

٣- بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٣٠٣.

٤- نهج البلاغه: الخطب ١٢٩.

٥- سورة الصف: الآيه ٢.

كثير جداً، فاللازم على النواه العامله أن تجد إلى المال سيلاً، ولو بقدر متوسط من المال، تنميها في التجاره ونحوها، حتى يكون المال دورياً، فمثلاً تحصل على مليون دينار، وتستثمر بما يعطى الربح كل عام، وبقدر الربح المذكور تتقدم إلى الأمور المذكوره، وهكذا.

ثم الله سبحانه وتعالى وهو أقوى الناصرين، من وراء العاملين المخلصين، قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ (٣).

التحرير يجب أن يكون شمولياً

التحرير يجب أن يكون شمولياً

وربما يقال: لا يمكن تحرير بلد واحد، فهل يمكن تحرير كل بلاد الإسلام مره واحده.

وفيه: إن المشكله إنما نشأت من إرادته تحرير بلد واحد، فهل يمكن أن يقوم بلد واحد على قدمه ويستمر استقلاله في وسط بحر من المناوئين من مستعمري الشرق والغرب وعملائهم في البلاد الإسلاميه، والكل يعلم أن البلاد الأروبيه وأمريكا تحتوى على أكثر من تسعمائه مليون متحالف، وروسيا تحتوى على أكثر من ربع مليار، وهكذا.

وربما يظن بأنه يمكن تحرير بلد بلد، تنظيراً لعمل الرسول (صلى الله عليه وآله) حيث

ص: ٣٤٧

١- سورة الطلاق: الآية ٢.

٢- سورة محمد: الآية ٧.

٣- سورة آل عمران: الآية ١٦٠.

حرر بلداً بلداً، وفيه: إنه تنظير مع فارق، فإن الرسول (صلى الله عليه وآله) عمل في عالم متفكك، والآن ارتبط العالم بعضه ببعض، فإذا لم يتحرك العالم الإسلامى بكله لم يتمكن أن يقف على قدمه.

نقاط فى كيفية العمل

نقاط فى كيفية العمل

واللازم لأجل استقامه الأمر، أمور:

١: أن تجعل النواه البادئه بالعمل نفسها ميزاناً للحكم، لا أن تنهياً لتسلم الحكم، حيث إن العاملين المخلصين إذا مارسوا الحكم لم يتمكنوا من تقويم الحكم، وبذلك يفوتهم الهدف الذى هو تطبيق حكم الإسلام كاملاً غير منقوص.

٢: أن يصب الحكم بحيث توزع القدره، ولا يبقى مجال للديكتاتوريه، فإن من طبيعه القدره أن تطغى إلا فى المعصوم (عليه السلام)، وقد قال على (عليه السلام): «من ملك استأثر»^(١).

وإن لم يفعل ذلك ينتهى الحكم إلى مثل حكومه الأمويين والعباسيين، والحكم الدينى المنحرف أبشع من الحكم الدينوى المنحرف، كما رأينا فى الحكومتين وحكومه محاكم التفتيش وغيرها، فاللازم أن يكون لكل فئه مجله وجريده، وإذاعه وتلفزيون، وكلمه مسموعه، كل ذلك فى نطاق الاستشاره، إلى آخره.

٣: أن يكتب برنامج الحكم، فى سياسته وإدارته واقتصاده واجتماعه وعقوباته وحرياته ومعاملاته، وحكم الأقليات الدينيه وغيرها، وينشر على الجميع حتى يكون الحكم واضح المعالم، يختاره كل من يراه، لأنه يراه أفضل من

ص: ٣٤٨

برامج سائر الأحكام السائده فى العالم الحاضر.

الحكومه الإسلاميه الواحده والمؤامرات الاستعماريه

نقاط فى كيفيه العمل

وبعد كل ذلك، فهل يمكن قيام حكومه واحده إسلاميه، وهل تترك الحكومات المحليه والحكومات الاستعماريه _ خصوصاً والوفاق حاصل بينهما _ أن تقوم مثل هذه الحكومه؟

الجواب: نعم، ذلك ممكن بل واقع، إذا أخذ بهذه المقدمات المذكوره، أما الحكومات المحليه فإنها تذاب فى بحر تلك الحكومه الواحده قرب قيامها، فإن الحكومه ليست إلا مؤسسسه كبيره، فإذا واجهت مؤسسسه أكبر انهزمت من الميدان، شأن ذلك شأن كل حكومه أخذت مكان الحكومه السابقه فى العصر القديم أو الجديد.

وأما الحكومات الكبرى فلا تتمكن من تسديد ضربه قاضيه للحركه المذكوره، لا بنفسها ولا بعملائها.

أ: أما أنها بالمباشره لا تقدر، فـ:

(١) خوفها من تصادم القوتين الكبيرتين، أى أمريكا وروسيا.

(٢) إن الحركه لما ألقى السلاح من نفسها، ألقى السلاح من يد أعدائها، والمناوشات الجزئيه بالسجن ونحوه فضلاً عن أنها لا تزيل الحركه، فإنها لا توقف الحركه أيضاً.

(٣) إن الحركه منتشره، لا-ميدان خاص لمحاربتها، ولو حوربت فى جبهه خاصه لم يضرها ذلك، حيث الجبهات الأخر مفتوحه تعمل، وتمتد الجبهه التى تحارب فيها.

ص: ٣٤٩

ب: وأما أنها بوكلائها _ الحكومات العميله فى المناطق الإسلاميه المرتبطه بالغرب والشرق _ لا تقدر على مواجهه الحركه.

أولاً: لما تقدم من أنها تغرق فى بحر الحركه الواسعه، فلا تتمكن من أن تنجى نفسها، فكيف تتمكن من أن تحمى أسياها.

وثانياً: لأن الحركه واسعه، لا يضرها قيام حكومه صغيره ضدها، حيث تشتغل وتنمو سائر أجزاء الحركه، وتمد الجبهه المحاربه بالدعايه وغيرها.

أما الوفاق بين الحكومتين الشرقيه والغريه فلا يضر.

أولاً: لأنه مائع إلى أبعد حد، حيث إنه ليس عن هدف مشترك، بل حصيله الرعب النووى والاصطدام.

وثانياً: فالأقطاب صاروا أربعه، بإضافه دول أوروبا والصين، وفى وجود الأقطاب الأربعه يمكن العمل أحسن مما يمكن فى وجود قطبين، فإن توزيع القدره يجعل كل قدره عاجزه عن العمل بمقدار خوفها عن القدره الأخرى.

ولذا نرى أن الحكومه ذات الأحزاب لا تقدر من التعدى على الشعب، بقدر ما تقدره الحكومه ذات الحزب الواحد، إذ الأولى تخاف من المنافس، بينما الثانيه ليست كذلك.

ولأجل ما ذكرناه اشتهر فى الآونه الأخيره (قوه العجز) و(عجز القوه)، فالعزله عن السلاح قوه هائله، فى حال أنها عاجزه عن قوه السلاح، والقوه المتعدده الرؤوس عاجزه عن العمل، لخوف كل رأس عن الرأس الآخر.

ركائز البناء الحركى

ركائز البناء الحركى

ثم من أهم الأمور فى النواه المركزيه للحركه، أن تبنى نفسها وأفرادها على:

ص: ٣٥٠

١: أن يصمدوا أمام الصعوبات والإغراءات، فإن أول شيء يهدم الحركات: الاستجابة للإغراءات أو للمصاعب، فإذا ربيت الحركة على الصمود والاستقامة كان البقاء والنمو من نصيبها، والإنسان الصامد المستقيم يجلب أنظار الناس ويوجب التفاف الناس حوله، مما يسبب ربح الحركة بذلك ربحاً كبيراً.

٢: أن يشعر الكل بأنهم يتمكنون أن يعيشوا تحت ظل الحركة، لا في أمن وسلام فحسب، بل إن الحركة توجب نموهم وتوسيع آفاقهم.

ولذا فاللازم على الحركة أن تجد المخلص عن تناقضات الاجتماع، بالحزم والمداراه، «فما وضع الرفق على شيء إلا زانه، وما وضع الخرق على شيء إلا شانه» (١).

٣: أن تبني أبنيه متوازيه بين السياسة والاقتصاد والاجتماع، وضد التخلف والاستعمار و...، فإن أيه حركة أو حكومه لم تقدر على البناء المتوازي، كان مثلها مثل الطائره أو السياره التي لا موازاه بين أجنحتها وعجلاتها، فإنها آتله إلى السقوط والعطب، والله سبحانه المستعان.

ص: ٣٥١

١- سورة آل عمران: الآية ١٦٠.

المحتويات

المحتويات

المقدمه ٧ [١]

كيفية إعادته المجتمع الإسلامى . ٨ [٢]

تجنب الأخطاء حين العمل . ١٠ [٣]

مراحل التخطيط والعمل . ١١ [٤]

الميزانيه الدقيقه ١٢ [٥]

المعرفه ١٤ [٦]

المعرفه صحيحه وخاطئه ١٥ [٧]

سير الحركه الفكرية ١٥ [٨]

العاطفه ١٨ [٩]

العواطف المتحجره ١٨ [١٠]

الحقائق ثابتة ومتغيره ٢١ [١١]

ليست كل الأمور متغيره ٢٢ [١٢]

لا مدخلية للزمان فى الحقائق . ٢٣ [١٣]

المعرفه علميه وفلسفيه ٢٥ [١٤]

الواقع: تجربى وذهنى . ٢٦ [١٥]

الطريق إلى المعرفه ٢٨ [١٦]

مراحل المعرفه ٣٠ [١٧]

الإسلام والتفكير . ٣٣ [١٨]

وسائل المعرفة ٣٤ [١٩]

من أين الاجتماع. ٣٧ [٢٠]

بين الترابط والتباعد ٣٨ [٢١]

الإسلام يدعو إلى السلم ٤١ [٢٢]

أقسام التجمعات. ٤٢ [٢٣]

الجمهور والأمة ٤٥ [٢٤]

الاجتماع وشعبه ٤٦ [٢٥]

علاقه الفرد بالمجتمع ونحوه فى ضوء الإسلام ٤٨ [٢٦]

المجتمع المتخلف بؤره للذائل الخلقه ٤٩ [٢٧]

ص: ٣٥٢

الثقافه الاجتماعيه ٥١ [١]

الكفاءه ميزان التقدم ٥٢ [٢]

التحرك الأفقى والعمودى للمجتمع. ٥٣ [٣]

جماعات ضد الدوله ٥٥ [٤]

نظره على الانقلابات العسكريه ٥٥ [٥]

بين حكم السماء وحكم الأرض... ٥٧ [٦]

مراحل علم الاجتماع. ٥٩ [٧]

علم الاجتماع: الموضوع والمسائل والغرض... ٦٠ [٨]

مهمه علماء الاجتماع. ٦١ [٩]

علم الاجتماع النظرى والعملى. ٦٣ [١٠]

علم الاجتماع سعةً وضيقةً ٦٣ [١١]

علم الاجتماع من حيث السند ٦٤ [١٢]

علم الاجتماع وسائر العلوم ٦٤ [١٣]

ما يجب ملاحظته فى التحقيق الاجتماعى. ٦٥ [١٤]

مستلزمات إتقان التحقيق الاجتماعى. ٦٨ [١٥]

منطلق التحقيق. ٦٨ [١٦]

تشخيص مفردات البحث. ٦٩ [١٧]

اتخاذ النماذج المختلفه ٧٠ [١٨]

الانتخاب الدقيق للجمل. ٧٠ [١٩]

كشف الأسباب والمسببات والملازمات. ٧١ [٢٠]

العوامل المؤثرة في الفرد ٧٤ [٢١]

١: الجسم ٧٤ [٢٢]

٢: الغرائز. ٧٦ [٢٣]

٣: العقل. ٧٦ [٢٤]

٤: الوراثة ٧٧ [٢٥]

٥: القوم ٧٨ [٢٦]

٦: الدين. ٧٩ [٢٧]

٧: الثقافه ٨١ [٢٨]

٨: الأسوه ٨٢ [٢٩]

٩: المحيط الطبيعي. ٨٣ [٣٠]

١٠: المحيط الاجتماعي. ٨٤ [٣١]

ص: ٣٥٣

لا للأنايه والعصبيات. ٨٥ [١]

الزهد فى الدنيا ٨٧ [٢]

التأثير المتقابل بين المحيط الاجتماعى والمحيط الطبيعى. ٨٩ [٣]

قد تختلف معيشه الأبناء مع معيشه الآباء ٩١ [٤]

قوه الاجتماع تبعد الإنسان عن أضرار الطبيعه ٩٣ [٥]

أسس رقى المجتمعات. ٩٥ [٦]

المجتمع كلى متميز عن أفراده ٩٩ [٧]

الثقافه ١٠٢ [٨]

تكامل الثقافه ١٠٤ [٩]

تعقد الثقافه ١٠٥ [١٠]

تشابه المجتمعات. ١٠٦ [١١]

تاريخ الإنسان. ١٠٧ [١٢]

التنقيب عن الآثار التاريخيه ١٠٨ [١٣]

الهيكل العظمى للثقافه ١١٠ [١٤]

عوامل تشكل الجماعات. ١١٣ [١٥]

التسالم والتنازع فى الجماعات. ١١٤ [١٦]

النضج الفكرى يقلل النزاعات. ١١٦ [١٧]

أنواع التسالم ١١٧ [١٨]

طرح تحقيق الانسجام ١١٨ [١٩]

بين الجماعه والأعضاء والجماعات الأخرى. ١٢٠ [٢٠]

بين الفرد والجماعه ١٢٢ [٢١]

الانغلاق والانطلاق والانفلاق. ١٢٣ [٢٢]

دور الثقافه فى حركه المجتمع. ١٢٥ [٢٣]

الانضمام إلى الجماعات. ١٢٨ [٢٤]

موقف الجماعه تجاه المنضمين إليها ١٢٩ [٢٥]

الإسلام والحريه الثقافيه ١٣٢ [٢٦]

التعديل الاجتماعى. ١٣٥ [٢٧]

إشكال التعديل الاجتماعى. ١٣٦ [٢٨]

لكى يكون التعديل الاجتماعى ناجحاً ١٣٧ [٢٩]

المتوردون بين المحيط الطبيعى والمحيط الاجتماعى. ١٣٩ [٣٠]

مصدر التعديل الاجتماعى. ١٤٠ [٣١]

ص: ٣٥٤

- الجمع والجماعه ١٤٦ [١]
- الفرق بين الجمع والجماعه ١٤٦ [٢]
- العقل أم العاطفه ١٤٧ [٣]
- الإسلام يدعو إلى التعقل. ١٤٨ [٤]
- الانسجام بين أفراد الجماعه ١٥٠ [٥]
- تأثير الجماعه فى الفرد ١٥١ [٦]
- عوامل قوه الجماعه ١٥٢ [٧]
- منطلقات الجماعه ١٥٥ [٨]
- أقسام الجماعه ١٥٥ [٩]
- التوعيه الجماهيريه ١٥٧ [١٠]
- كيفية استكشاف العقيدته الاجتماعيه ١٥٨ [١١]
- داء التعصب الاجتماعى. ١٥٩ [١٢]
- الإعلام الصحيح والإعلام المزيف.. ١٦١ [١٣]
- طرق التزييف الإعلامى. ١٦٢ [١٤]
- كيفية مجابهه قوى الضغط المنحرفه ١٦٥ [١٥]
- الأدوار الاجتماعيه ١٧٠ [١٦]
- مقياس الرتب الاجتماعيه ١٧١ [١٧]
- مظاهر اختلاف الرتب. ١٧٣ [١٨]
- مناقشه فى نظريه المساواه ١٧٣ [١٩]
- مزايا الرتبه الاجتماعيه ١٧٦ [٢٠]

المكانه الاجتماعيه ١٧٧ [٢١]

القيمه الاجتماعيه ١٧٧ [٢٢]

المكانه الطبيعيه والمكانه المكتسبه ١٧٩ [٢٣]

الدور الاجتماعى. ١٧٩ [٢٤]

انتخاب الدور الأفضل. ١٨١ [٢٥]

ملاك الأدوار الاجتماعيه ١٨١ [٢٦]

الجماعات والأدوار. ١٨٢ [٢٧]

تحرك الإنسان فى رتبته ١٨٣ [٢٨]

ضروره الرتب. ١٨٣ [٢٩]

عوامل تكون الرتب. ١٨٥ [٣٠]

التفاوت الصحيح والتفاوت الباطل. ١٨٦ [٣١]

ص: ٣٥٥

تأثير الرتبه فى الإنسان. ١٨٨ [١]

الطبقيه المنحرفه تؤثر فى الحياه ١٨٩ [٢]

الفقر والحياه ١٩٠ [٣]

الفقر والأخلاق الفاضله ١٩٢ [٤]

الفقر والصحه ١٩٢ [٥]

الفقر والسلام ١٩٣ [٦]

الفقر والعلم ١٩٣ [٧]

الفقر والعمران. ١٩٤ [٨]

الفقر والحياه النظيفه ١٩٤ [٩]

الفقر والقدره ١٩٤ [١٠]

الاختلاف الفكرى بين الفقراء والأغنياء ١٩٥ [١١]

موقف الإسلام تجاه الفقراء ١٩٦ [١٢]

عوامل تكوين الشخصيه ١٩٩ [١٣]

الفطره والشخصيه ١٩٩ [١٤]

الوراثه والشخصيه ٢٠٠ [١٥]

دور المحيط الطبيعى فى تكوين الشخصيه ٢٠١ [١٦]

تأثير المحيط الاجتماعى. ٢٠٢ [١٧]

الثقافه صانعه الإنسان. ٢٠٢ [١٨]

الثقافه والحريه ٢٠٤ [١٩]

المسلمون والنبوغ العلمى. ٢٠٥ [٢٠]

العلم فى خدمه الإنسان. ٢٠٨ [٢١]

كيف تتكون الشخصيه؟ ٢١١ [٢٢]

تكون شخصيه الطفل. ٢١٢ [٢٣]

بين الضمير والمجتمع. ٢١٤ [٢٤]

مراحل تدرج الطفل. ٢١٥ [٢٥]

تصورات الإنسان عن نفسه ٢١٦ [٢٦]

الشخصيه الفرديه والشخصيه الاجتماعيه ٢١٩ [٢٧]

الشخصيه ماديه ومعنويه ٢٢٠ [٢٨]

تغير الشخصيه الماديه ٢٢٠ [٢٩]

أقسام الشخصيه المعنويه ٢٢٢ [٣٠]

أجواء نمو الشخصيه ٢٢٦ [٣١]

ص: ٣٥٦

طبيعته الحكم الدكتاتوري. ٢٢٨ [١]

اختلاف النفسيات. ٢٢٩ [٢]

الاهتمام بالتربيه والتثقيف .. ٢٣٠ [٣]

عوامل صياغه الشخصيه الفرديه ٢٣١ [٤]

١: الصفات النفسيه ٢٣١ [٥]

٢: الخصوصيات الجسديه ٢٣٢ [٦]

٣: المحيط الطبيعى. ٢٣٣ [٧]

٤: الوضع المعيشى. ٢٣٣ [٨]

٥: العمل الاجتماعى. ٢٣٤ [٩]

٦: التعليم ٢٣٥ [١٠]

اختلاف الاستجابه للمؤثرات. ٢٣٦ [١١]

التخطيط لإنماء الشخصيه ٢٣٦ [١٢]

التوجيه السليم لصفات الامه ٢٣٧ [١٣]

انحراف الشخصيه ٢٣٩ [١٤]

الانحراف ليس قدرأ ٢٣٩ [١٥]

انحراف الحكام ٢٤١ [١٦]

لا لفرديه الحكام ٢٤٢ [١٧]

موقف المجتمع من الانحراف .. ٢٤٣ [١٨]

عوامل الانحراف .. ٢٤٥ [١٩]

تأثير المجتمع فى الانحراف والاستقامه ٢٤٦ [٢٠]

الكبت والأمراض النفسية ٢٤٧ [٢١]

العائلة وانحراف الشخصية ٢٤٨ [٢٢]

دور الحرمان في الانحراف.. ٢٥٠ [٢٣]

تناقضات المجتمع تزرع الانحراف.. ٢٥١ [٢٤]

حربه الاستعمار تصيب حاملها ٢٥٢ [٢٥]

شروط عقاب المنحرف.. ٢٥٤ [٢٦]

كيف يعالج الانحراف؟ ٢٥٥ [٢٧]

إصلاح المجتمع الصغير. ٢٥٩ [٢٨]

إصلاح المجتمع الكبير. ٢٦٠ [٢٩]

دعائم إصلاح المجتمع. ٢٦٠ [٣٠]

١: الإيمان بالله. ٢٦٠ [٣١]

ص: ٣٥٧

- ٢: اقتسام القدرات. ٢٦٠ [١]
- القوانين الوضعيه تصنع الانحراف.. ٢٦٢ [٢]
- بين المدينه والقريه ٢٦٤ [٣]
- الاجتماع العام والاجتماع المحلى. ٢٦٥ [٤]
- بدء الحياه الإنسانيه ٢٦٦ [٥]
- القريه أم المدينه ٢٦٧ [٦]
- المدن المغلقه أم المفتوحه ٢٦٨ [٧]
- الفوارق بين المدينه والقريه ٢٦٨ [٨]
- الدين والمسكن. ٢٧١ [٩]
- بناء المدن. ٢٧٢ [١٠]
- أقسام المدن. ٢٧٣ [١١]
- المدن الكبيره، المشاكل والحلول. ٢٧٤ [١٢]
- بحث فى الجمعيه ٢٧٧ [١٣]
- توزيع الجمعيه ٢٧٧ [١٤]
- تركيب الجمعيه ٢٧٨ [١٥]
- حركه الجمعيه ٢٧٨ [١٦]
- الحركه الكيفيه ٢٧٨ [١٧]
- الحركه الكميّه ٢٧٩ [١٨]
- الهجره من الريف إلى المدينه ٢٨١ [١٩]
- الأرض والسكان. ٢٨٢ [٢٠]

تراكم السكان وأسبابه ٢٨٢ [٢١]

دور الثقافة فى ازدياد الأفراد ٢٨٤ [٢٢]

الثقافه وكثره الولاده ٢٨٥ [٢٣]

الثقافه وقله الموت. ٢٨٦ [٢٤]

الثقافه وطول العمر. ٢٨٧ [٢٥]

الانفجار السكانى والتخطيط الدقيق. ٢٨٨ [٢٦]

هل الأرض تكفى. ٢٩٠ [٢٧]

عوامل ارتفاع مستوى المعيشه ٢٩٢ [٢٨]

المؤسسات الاجتماعيه ٢٩٤ [٢٩]

المؤسسه والأعراف الاجتماعيه ٢٩٥ [٣٠]

بين المؤسسه والمؤسسات الأخرى. ٢٩٦ [٣١]

ص: ٣٥٨

مهمات المؤسسة ٢٩٧ [١]

أنواع المؤسسات. ٢٩٨ [٢]

الانشطار والاندماج فى المؤسسة ٣٠١ [٣]

نفوذ الطبقه فى المؤسسات. ٣٠٢ [٤]

الفقراء والمؤسسات. ٣٠٣ [٥]

كبير المجتمع يتطلب كثره المؤسسات. ٣٠٤ [٦]

التعقيد النافع والتعقيد الضار. ٣٠٥ [٧]

بحوث فى الاقتصاد الاجتماعى. ٣٠٨ [٨]

حاجات الإنسان. ٣٠٨ [٩]

تكامل جوانب الحياه ٣٠٩ [١٠]

عصر الآله ٣١٠ [١١]

المعامل تقضى على محوريه العائله والعشيره ٣١١ [١٢]

الصناعه فى خدمه التجاره والزراعه ٣١٢ [١٣]

تحولات عصر الصناعه ٣١٣ [١٤]

الاستعمار وليد الرأسماليه ٣١٣ [١٥]

الإسلام هو الخلاص... ٣١٤ [١٦]

ضروره التوازن بين المستوى الصناعى والزراعى. ٣١٤ [١٧]

الدين وعصر الآله ٣١٥ [١٨]

الأخطبوط الرأسمالى يمتد إلى الريف.. ٣١٧ [١٩]

مضاعفات النظام الرأسمالى. ٣١٧ [٢٠]

المنطق الرأسمالي والمنطق الشيوعي. [٢١] ٣٢٠

مناقشه المنطقين. [٢٢] ٣٢٠

مآخذ على النظامين الغربي والشرقي. [٢٣] ٣٢١

جوهر المشكله [٢٤] ٣٢٢

الاقتصاد الإسلامى. [٢٥] ٣٢٧

الحكومہ [٢٦] ٣٢٩

الحكومہ فى الأمم البدائيه [٢٧] ٣٣٠

الحكومہ فى العصر الحاضر. [٢٨] ٣٣٠

الاحتياج إلى الحكومه [٢٩] ٣٣١

أسباب تعقد الحكومه فى العصر الحاضر. [٣٠] ٣٣٢

لا لتكثير الدوائر. [٣١] ٣٣٤

ص: ٣٥٩

اعتذارات زائفه ٣٣٦ [٢٤٥]

طريق الخلاص... ٣٤٠ [٢٤٦]

كيفيه إنقاذ المسلمين. ٣٤٢ [٢٤٧]

كيفيه التوعيه والتنظيم ٣٤٣ [٢٤٨]

التنظيم الإسلامى وعوامل الاستقطاب. ٣٤٥ [٢٤٩]

كيف يتم تأمين البعد المالى؟ ٣٤٦ [٢٥٠]

التحرير يجب أن يكون شمولياً ٣٤٧ [٢٥١]

نقاط فى كيفيه العمل. ٣٤٨ [٢٥٢]

الحكومہ الإسلاميه الواحده والمؤامرات الاستعماريه ٣٤٩ [٢٥٣]

ركائز البناء الحركى. ٣٥٠ [٢٥٤]

المحتويات. ٣٥٢ [٢٥٥]

ص: ٣٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

